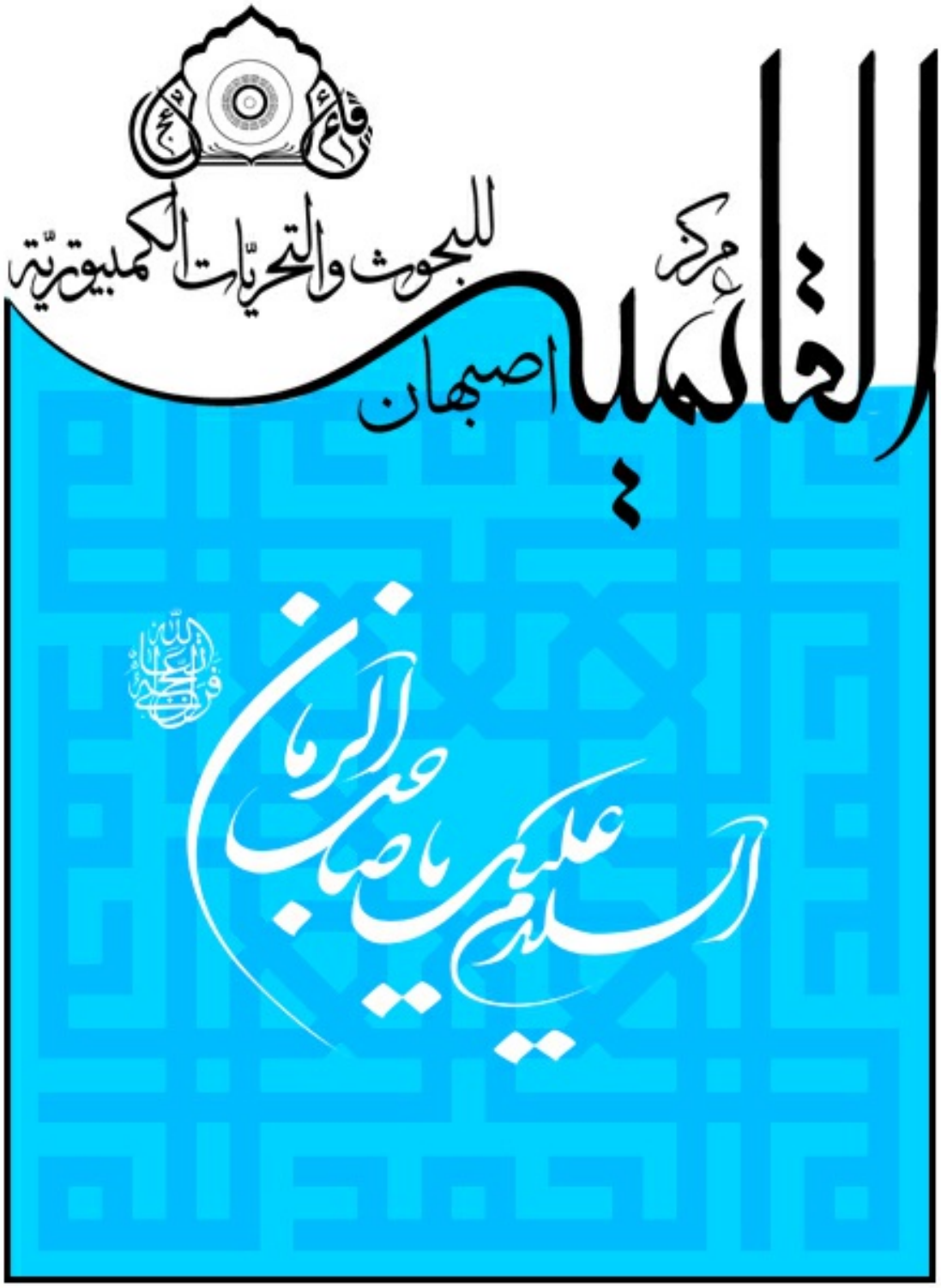

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مصر

و

اهل البيت (عليهم السلام)

علي الكوراني العاملي

بسم الله الرحمن الرحیم

مصر و اهل البيت (عليهم السلام)

كاتب:

على كورانى

نشرت فى الطباعة:

نورعلى نور

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
مصر و اهل البیت (علیهم السلام) ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۰
مقدمه ----- ۱۲
الفصل الأول: تفضیل النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) وعلی (علیه السّلام) لمصر علی غیرها ----- ۱۴
معانی تفضیل البلاد وأهلها ----- ۱۴
حدیث الصحابی عمرو بن الحمق الخزاعی رضی الله عنه ----- ۱۷
أحادیث نبویه أخری فی مدح مصر وأهلها ----- ۲۰
جواب ملک مصر المؤدب للنبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) ----- ۲۱
علاقه المصریین بعثمان وعلی (علیه السّلام) ----- ۲۴
تفضیل علی (علیه السّلام) لمصر علی بلاد الشام ----- ۲۶
مدح نهر النیل ----- ۲۷
الفصل الثانی: مصر فی خلافه عمر وعثمان ----- ۲۸
تم فتح مصر بدون قتال وأسلم قسم من أهلها ----- ۲۸
سبب ادعاء الحکام أن مصر فتحت عُنوه ----- ۳۴
أول حرکه رقابه علی نظام الحکم الإسلامی کانت مصریه ----- ۳۷
صبیغ التمیمی ناشط مصری وقع فی قبضه عمر ----- ۴۰
حرکه المصریین ضد الخلیفه عثمان ----- ۴۲
المحمدان یحرکان مصر ----- ۴۴
أرسل عثمان وفوداً الی مصر ----- ۴۸
معرکه ذات الصواری ----- ۴۹
ملاحظات ----- ۵۵
زاد نشاط المحمدیْن فی جیش ذات الصواری ----- ۵۸

طرد أهل مصر واليهم وبايعوا محمد بن أبى حذيفه ! ---- ٦٠
وأرسل أهل مصر رساله نصيحه الى الخليفه عثمان ---- ٦٢
وذهب المصريون فى جيش صغير الى عثمان ---- ٦٣
الحركه ضد عثمان من غير المصريين ---- ٦٤
محاصره الجيش المصرى لعثمان التى انجرت الى قتله ---- ٦٦
تظاهره المهاجرين والأنصار يهتفون باسم على (عليه السّلام) ---- ٧٧
الفصل الثالث: مصر فى عهد أميرالمؤمنين على (عليه السّلام) ---- ٨٠
اهتمام على (عليه السّلام) بمصر ---- ٨٠
مصر عند مقتل عثمان وخلافه على (عليه السّلام) ---- ٨١
الخطأ الذريع الذى وقع فيه قيس بن سعد ! ---- ٨٧
نقاط عن شخصيه قيس بن سعد بن عباده رضى الله عنه ---- ٩٢
ملاحظات ---- ١٠١
ولايه محمد بن أبى بكر على مصر: ---- ١١٢
أسره محمد بن أبى بكر رضى الله عنه ---- ١١٢
ولايه محمد بن أبى بكر لمصر ---- ١١٥
رساله أمير المؤمنين (عليه السّلام) الى أهل مصر ووالیهم ---- ١١٦
ملاحظه على هذه الرساله ---- ١٢٦
أجوبه أمير المؤمنين (عليه السّلام) على مسائل محمد بن أبى بكر ---- ١٢٦
كُتُب على (عليه السّلام) لمحمد بن أبى بكر تقع فى يد معاويه ---- ١٢٩
رساله محمد بن أبى بكر الى معاويه وجوابه ---- ١٣٢
رساله الإمام (عليه السّلام) الى محمد عندما عين الأشتر مكانه ---- ١٣٤
غزو معاويه لمصر بعد معركه صفين ---- ١٣٥
محاوله على (عليه السّلام) نصره محمد بن أبى بكر رضى الله عنه ---- ١٤٨
حزن أمير المؤمنين (عليه السّلام) على محمد بن أبى بكر ---- ١٥٤
منشور أمير المؤمنين (عليه السّلام) فى أبى بكر وعمر ---- ١٥٩
حزن أسماء على ابنها وعائشه على أخيها محمد ---- ١٦٠

معاويه خال المؤمنين ومحمد بن أبى بكر ليس خالهم ! ---- ١٦٢
لم يتهنأ ابن العاص بملك مصر ! ---- ١٦٥
شخصيه محمد بن أبى حذيفه رضى الله عنه ---- ١٦٨
ولايه مالک الأشتر على مصر ---- ١٨١
رساله الإمام (عليه السّلام) الى أهل مصر لما أراد معاويه غزوها ---- ١٨٣
رساله أخرى بعثها الإمام (عليه السّلام) الى أهل مصر ---- ١٨٦
شهاده مالک الأشتر رضى الله عنه ---- ١٨٧
حزن الإمام (عليه السّلام) على مالک الأشتر ---- ١٨٩
قبر مالک الأشتر رضى الله عنه فى مصر ---- ١٩١
عهد الإمام (عليه السّلام) الى مالک الأشتر ---- ١٩٢
اشاره ---- ١٩٢
هدف الحكم ---- ١٩٢
أصول الفكر والسلوک للحاكم ---- ١٩٢
كيف يجب أن تكون نظره الحاكم الى نفسه ؟ ---- ١٩٣
أهم صفات الحاكم محبه المواطنين كلهم ---- ١٩٣
خطأ شعور الحاكم بالصراع بينه وبين فئه من المواطنين ---- ١٩٣
كيف يجاهد الحاكم نفسه ويتخلص من غروره؟ ---- ١٩٤
موقف الحاكم الى جنب الجمهور وليس البطانه ---- ١٩٤
موقف الحاكم من المخابرات والمتملقين والنمامين ---- ١٩٥
صفات الوزراء الحسنه والسيئه ---- ١٩٥
محاسبه الوزراء ---- ١٩٦
سياسه إعطاء الحريه للمواطنين وحسن الظن بهم ---- ١٩٦
احترام العادات الإجتماعيه وتحسينها ---- ١٩٦
المشارون فى القضايا الإستراتيجيه ---- ١٩٦
طبيعه المجتمع وواقع كونه فئات وطبقات ---- ١٩٧
سياسه الحاكم مع القوات المسلحه ---- ١٩٨

سياسه الحاكم مع قاده الجيش الحكام ---- ١٩٨
سياسه الحاكم مع القوه القضائيه ---- ١٩٩
سياسه الحاكم مع ولاه المحافظات ---- ٢٠٠
جهاز المخابرات الخاص برئيس الدوله ---- ٢٠٠
السياسه الماليه والضرائبيه ---- ٢٠٠
الجهاز الإدارى الخاص بالحاكم ---- ٢٠١
سياسه الدوله مع التجار والكسبه ---- ٢٠٢
سياسه الدوله مع الطبقه الفقيره ---- ٢٠٢
سياسه الحاكم مع المراجعين ---- ٢٠٣
برنامج أمير المؤمنين (عليه التلام) لعمل الحاكم اليومى ---- ٢٠٣
لقاءات الحاكم المباشره مع الناس ---- ٢٠٤
سياسه الحاكم مع أقاربه وحاشيته ---- ٢٠٥
سياسه السلم والحذر مع العدو والإلتزام الكامل بالإتفاقيات ---- ٢٠٥
تحذير الحاكم من سفک الدماء ---- ٢٠٦
الخطوط العامه لسياسه الحاكم مع المواطنين ---- ٢٠٦
التثبت والإعتدال فى اتخاذ القرارات ---- ٢٠٧
كيف يكون الحاكم حاكم نفسه ويسيطر على غضبه؟ ---- ٢٠٧
دعاء أمير المؤمنين (عليه السّلام) للتوفيق فى تحقيق أهدافه فى الحكم ---- ٢٠٧
الإمام يرسل الملک الصالح والياً على مصر ! ---- ٢٠٨
الفصل الرابع: علاقه المصريين بأئمه العتره (عليه التلام) ---- ٢٢٠
فى عهد أمير المؤمنين (عليه السّلام) ---- ٢٢٠
سكن النسائى فى مصر وقتله أهل الشام ! ---- ٢٢١
مصر ملجأ العلويين المضطهدين ---- ٢٢٢
الكعبه لا تأكل ولا تشرب ---- ٢٢٤
زنديق يؤمن على يد الإمام الصادق (عليه التلام) ---- ٢٢٥
ذو النون المصرى يروى عن الإمام الصادق (عليه السّلام) فلسفه الحج ---- ٢٢٨

مصريون مع الإمام الرضا والجواد(عليه التلام) ---- ٢٢٩
مصريون يزورون قبر الإمام الرضا (عليه التلام) ---- ٢٢٩
مصريون يبحثون عن ولاده الإمام المهدى(عجل الله تعالى فرجه الشريف) ---- ٢٣٠
الفصل الخامس: المصريون ينصرون الإمام المهدى (عليه التلام) ---- ٢٣٢
مصر فى عصر ظهور الإمام المهدى (عليه التلام) ---- ٢٣٢
نجباء مصر وزراء الإمام المهدى (عليه التلام) ---- ٢٣٢
وفد مصر الذى يحمل البيعه للإمام المهدى (عليه التلام) ---- ٢٣٦
أمير الأمره فى مصر سنه ظهور المهدى (عليه التلام) ---- ٢٣٦
الإمام المهدى (عليه التلام) يدخل مصر ويجعلها مركزه الإعلامى ---- ٢٣٧
الأبقع الذى تسانده مصر ---- ٢٤١
دخول جيش المغرب الى مصر ---- ٢٤١
كذبه كعب فى أن الدجال من مصر ---- ٢٤٤
بغض كعب الأحبار لمصر وكذبه عنها ---- ٢٤٦
ختام فى مشاهد أهل البيت وذرياتهم فى مصر ---- ٢٤٨
تعقيب المرجع الشيخ الصافى على الموضوع ---- ٢٦١
فهرس موضوعات الكتاب ---- ٢٦٤
تعريف مركز ---- ٢٧٠

مصر و اهل البیت (علیهم السلام)

اشاره

سرشناسه : کورانی، علی، ۱۹۴۴ - م.Kurani,Ali

عنوان و نام پدیدآور : مصر و اهل البیت (علیهم السلام)/ تالیف بقلم علی الکورانی العاملی

مشخصات نشر : قم: نور علی نور، ۱۴۳۲ق.= ۲۰۱۱م

مشخصات ظاهری : ص ۱۷۳

یادداشت : عربی.

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس

موضوع : اهل بیت -- سرگذشتنامه--مردم مصر

رده بندی کنگره : BP۳۶/ع ۲خ ۶

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵

ص: ۱

اشاره

مقدمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد ، فقد لاحظت فى بعض أحاديث مدح الشام تعابير تشبه مفاهيم الإسرائيليات وتعصبات اليهود . ثم رأيت أن بعض هذه الأحاديث لايكتفى بمدح الشام حتى يذم الحجاز والعراق ومصر .

وقد انتقد السيوطى وهو محدث واسع الإطلاع ، المحدثين بأنهم ضعَّفوا بعض الأحاديث الصحيحه التى تمدح مصراً ، تحكُّماً وهوىً !

ثم رأيت أن أئمه أهل بيت النبوه (عليه السّلام) ردوا عدداً من أحاديث مدح الشام ، وكان ردهم أحياناً شديداً ، كأنه رد عدوان على الإسلام !

من ذلك ما رواه فى الكافى:۴/۲۳۹: « عن زراره قال: كنت قاعداً إلى جنب أبى جعفر (الإمام الباقر (عليه السّلام)) وهو مُحْتبٍ مستقبلَ الكعبه ، فقال: أما إن النظر إليها عباده . فجاءه رجل من بجيله يقال له عاصم بن عمر فقال لأبى جعفر: إن كعب الأحبار كان يقول: إن الكعبه تسجد لبيت المقدس فى كل غداه ! فقال أبو جعفر: فما تقول فيما قال كعب؟ فقال: صدق القولُ ما قال كعب ! فقال أبو جعفر: كذبت وكذب كعب الأحبار معك ، وغضب ! قال زراره: ما رأيته استقبل أحداً

بقول كـذبت غيره ، ثم قال: ما خلق الله عز وجل بقعه فى الأرض أحب إليه منها، ثم أومأ بيده نحو الكعبه ، ولا أكرم على الله عز وجل منها ، لها حرَّم الله الأشهر الحرم فى كتابه يوم خلق السماوات والأرض ، ثلاثه متواليه للحج: شوال وذو العقده وذو الحجه ، وشهر مفرد للعمره وهو رجب » .

وعنـدما تتبعت مصدر أحاديث الغلو فى مدح الشام ، وجدت أن ناشـرها كعب الأحبار وتلاميذه ، وحامل رايتها معاويه وأعوانه . لـذا قررت التوقف فى كل حـديث يمـدح بلاد الشام وأهلها ، وحتى بيت المقـدس وأهله ، حتى يثبت من طريق ليس فيها رائحه اليهود وبنى أميه .

وكـان آخر ما صادفته فى الموضوع من أحاديث أهل البيت (عليه السّـلام) حـديث صـحيح لعلى (عليه السّـلام) يفضل فيه مصـر وأهلها على الشام وأهلها ! فتعجبت منه وأهـديته الى صـديق عزيز من علماء مصـر، هو السـيد محمـد عامر حفظه الله ، فطلب منى بقيه أحاديث أهل البيت (عليه السّلام) فى الموضوع ، فأهديت له ما تيسر منها .

فعاودنى قائلًا إن أصـدقاءنا قالوا إن هذا الموضوع يحتاج الى كتابه بقلمك ، خاصه وأن مصـر تنفست بثورتها عَبَق الحريه ، وهو عبق أهل البيت (عليه السّلام) .

فأجبت طلبه بكتابه هـذا الموضوع ، آملًا أن يكون فيه خـدمه للعلم ، ورضاً لله تعالى ، ورسوله وأهل بيته الطاهرين ، صـلوات الله عليهم .

كتبه: على الكَوْرانى العاملى

غره رجب الأصب ١٤٣٢ه- . ٤/٦/٢٠١١م.

الفصل الأول: تفضيل النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) وعلى (عليه السّلام) لمصر على غيرها

معانى تفضيل البلاد وأهلها

١. قد يكون تفضيل البلد بسبب بقعه فيه ، كتفضيل مكه بسبب الكعبه والمسجد الحرام ، فعندما تقول مكه أفضل بقاع الأرض ، فإنك تُفضل البقعه لاساكنيها . وعندما تقول المدينه أفضل بقاع الأرض ، فأنت تقصد البقعه التى ضمت جسد رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أوبقعه مسجده ، ولا تقصد تفضيل كل بقاع المدينه ، ولا ساكنيها .

قال الشوكانى فى نيل الأوطار:٥/٩٩:«قال القاضى عياض: إن موضع قبره (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أفضل بقاع الأرض وإن مكه والمدينه أفضل بقاع الأرض، واختلفوا فى أفضلها ماعدا موضع قبره (صلّى الله عليه و آله وسلّم) فقال أهل مكه والكوفه والشافعى وابن وهب وابن حبيب المالكيان: إن مكه أفضل ، وإليه مال الجمهور . وذهب عمر وبعض الصحابه ومالك وأكثر المدنيين إلى أن المدينه أفضل... وقد استدل القائلون بأفضليه المدينه بأدله ، منها حديث: ما بين قبرى ومنبرى روضهٌ من رياض الجنه ، كما فى البخارى وغيره ».

وقال ابن حجر فی فتح البارى:۳/۵۵: « استثنى عياض البقعه التى دفن فيها النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ، فحكى الإتفاق على أنها أفضل البقاع ».

۲. قال الإمام محمد الباقر (عليه السّلام) عن الكعبه إنها أحب بقعه الى الله: (ما خلق الله عز وجل بقعه فى الأرض أحب إليه منها). (الكافى:۴/۲۳۹).

وكونها أحب البقاع الى الله تعالى ، لايمنع أن يكون غيرها أفضل منها كالتربه التى دفن فيها النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ، ومنها التربه التى دفن فيها سبطه الحسين (عليه السّلام) ، لأن حسيناً منه وهو منه ، وتربته من تربته (صلّى الله عليه و آله وسلّم) .

۳. أما تفضيل أهل بلد على غيرهم ، فالمقصود بهم المعاصرون لصدور النص ، أو من رضى بفعلهم ، وليس أبناءهم ولا كل كل من سكن ذلك البلد من الأجيال . فعندما يذم النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أهل مكه فمقصوده المعاصرون له منهم ، أو من فعل فعلهم ورضى به ، وليس كل جيل منهم ، ولا كل من سكن مكه .

وعندما يذم على (عليه السّلام) أهل الكوفه ، أو أهل العراق ، فمقصوده الجيل المعاصر له ، وليس كل جيل منهم ، إلا من رضى بفعلهم .

۴. وقد يكون تفضيل أهل بلد على بلد فى المستقبل فى ظرف معين كالتفضيلات التى وردت لأهل بعض البلدان والأقوام الذين ينصرون الإمام المهدى (عليه السّلام) ، أو يعادونه ويقفون ضده ، فهو تفضيل خاص بذلك

الظرف ، ولا يشمل كل جيل ، أوكل قوميه .

وبكلمه: لا يوجد فى مفهوم الإسلام سمات ذمٍّ لجنس أو سكان بلد مطلقاً .

۵. وهناك تفضيل لأهل البلد بمعنى أنَّ فيه ما يقتضى أفضليه أهله بسبب تكوينه ومقوماته الإجتماعيه . وبهذا المعنى تفضيل النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) لأهل اليمن على أهل نجد ، كالذى رواه البخارى:۴/۹۸: «الإيمان يمانٍ . ألا إن القسوه وغلظ القلوب فى الفدادين ، عند أصول أذناب الإبل ، حيث يطلع قرنا الشيطان فى ربيعه ومضر » .

وفى صحيح مسلم:۱/۵۲:« الإيمان يمانٍ والكفر قبل المشرق. والسكينه فى أهل الغنم . والفخر والرياء فى الفدَّادين أهل الخيل والوبر» .

فالأفضليه هنا اقتضائيه ، بمعنى أن بقعه نجد وطبيعه الحياه فيها تقتضى أن يكون أهلها بهذه الصفات ، وبقعه اليمن والحياه فيها تقتضى أن يكون أهلها أفضل . فالأفضليه هنا للمجموع الكلى ، وليس لكل فردٍ فرد بالعموم الإستغراقى .

وبهذا المعنى قول على (عليه السّلام) : إن مصر أعظم من الشام خيراً ، وخير أهلاً، فهو يعنى أن مصر خير من بلاد الشام ، لأن فى تكوينها وطبيعه حياتها ما يقتضى تفضيل أهلها على أهل الشام .

والمفضل هو المجموع الكلى لأهلها ، لا أن كل فردٍ فردٍ فى مصر أفضل من

كل فرد فى الشام ، فقد يكون شاميٌّ ما أفضل من مصريٍّ ما .

۶. ويوجد معنى آخر لتفضيل البلاد ، هو تفضيل شخصيه البلد الإجتماعيه وسلوكه الجمعى العام على غيره ، فإن الأسر والعشائر والقرى والمدن والبلدان والأقاليم ، لها شخصيات متفاوته ، فمنها القوى والضعيف ، ومنها الحسن والسئ .

ولذلك تعرف الأسر بصفات لمجموع أفرادها ، فتقول إن أسره حاتم الطائى أسره كرم وجود ، تقصد مجموعها لا جميعها فقد يكون فيهم بخيل.

وتقول: اليهود جبناء تقصد مجموعهم كشعب ، وقد يكون فيهم شجاع .

وعندما تقول: أهل مصر أهل فهم ورقه قلب ، تقصد مجموعهم كشعب ، وقد يكون فيهم غبى وقاسى القلب ، لكنه لايمنع تفضيل مجموعهم .

حديث الصحابى عمرو بن الحمق الخزاعى رضى الله عنه

رواه الحاكم فى المستدرك:۴/۴۴۸: «عن عمرو بن الحمق رضى الله عنه ، عن رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) قال: ستكون فتنه أسلم الناس فيها ، أو قال لخير الناس فيها الجند الغربى ، فلذلك قدمت مصر . هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه». والطبرانى فى المعجم الأوسط:۸/۳۱۵، والكبير:۸/۳۱۵، وتاريخ البخارى الكبير:۶/۳۱۳ ، ومجمع الزوائد:۵/۲۸۱ ، وغيرها.

قال السيوطى فى شرح مسلم:۴/۵۱۳: «روى الطبرانى والحاكم وصححه ، عن

عمرو بن الحمق قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) :تكون فتنه أسلم الناس فيها الجند الغربى . قال ابن الحمق: فلذلك قدمت عليكم مصر.

وأخرجه محمد بن الربيع الجيزى فى مسند الصحابه الذين دخلوا مصر ، وزاد فيه: وأنتم الجند الغربى ، فهذه منقبه لمصر فى صدر المله ، واستمرت قليله الفتن معافاه طول المله ، لم يعترها ما اعترى غيرها من الأقطار ، وما زالت معدن العلم والدين ، ثم صارت فى آخر الأمر دار الخلافه ومحط الرحال ، ولا بلد الآن فى سائر الأقطار بعد مكه والمدينه ، يظهر فيها من شعائر الدين ما هو ظاهر فى مصر». انتهى.

والجُند: بضم الجيم أصله للجيش، ويستعمل بمعنى المدينه والبلد .

قال ابن منظور فى لسان العرب:٣/١٣٢: «والجُند: المدينه ، وجمعها أَجناد..يقال الشام خمسه أَجناد: دِمَشْق ، وحِمْص ، وقِنَّسْرِين ، والأُرْدُنُّ ، وفِلَسْطِين ، يقال لكل مدينه منها جُند ».

وتفسير عمرو بن الحمق رضى الله عنه للجند الغربى بمصر بقوله:«ولذلك قدمت عليكم مصر» حجةٌ ، لأنه تفسير صحابيٍّ معاصر لصدور النص . ومعنى الحمِق: خفيف اللحيه . وهو صحابى جليل يشبه أويساً القرنى رضى الله عنهما ، فقد أخبر عنه النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) المسلمين قبل أن يسلم ، وبعث اليه سلامه ودعاه الى الإسلام ، فأسلم وجاء الى النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) .

وفی مصنف ابن أبی شیبه:۷ /۴۳۷: « أنه سقی النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) لبناً فقال: اللهم أمتعه بشبابه . فلقد أتت علیه ثمانون سنه لایری شعره بیضاء »!

وکان من خاصه شیعه علی (علیه السّلام) . وقد اتهمه معاویه بالتحریض علی قتل عثمان ، وطارده سنوات لیقتله فجاء الی مصر، ثم تخفی فی الموصل فقبض علیه والی معاویه وقتله ، وأرسل رأسه الی معاویه !

قال الشعبی: « أول رأس حمل فی الإسلام رأس عمرو بن الحمق». (الطبقات:۶/۲۵ ، وتاریخ خلیفه/۱۴۶ ، وثقات ابن حبان:۳/۲۷۵ ، وتاریخ دمشق:۴۵/۴۹۶ و۵۰۳ و: ۶۹ / ۴۰ ، والیعقوبی:۲/۲۳۱ ، وابن أبی شیبه: ۸/۳۵۷ ، وأوائل ابن أبی عاصم /۷۱ ، وشرح النهج:۲ /۲۸۹) .

فکتب له الحسین (علیه السّلام) :«أوَلستَ قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) العبد الصالح الذی أبلته العباده ، فنحل جسمه واصفر لونه. بعدما آمنته وأعطیته من عهود الله ومواثیقه ، ما لو أعطیته طائراً لنزل إلیک من رأس الجبل! ثم قتلته جرأه علی ربک ، واستخفافاً بذلک العهد» (الکشی:۱/۲۵۲).

أما حدیثه فی تفضیل مصر وجندها علی الشام فلا یعجبهم ، لأن أهل مصر اعترضوا علی عثمان وحاصروه !

وقد تبنی الأمویون قول کعب الأحبار فی تفضیل الشام علی العالمین !

أحاديث نبويه أخرى فى مدح مصر وأهلها

روت المصادر بضعه أحاديث نبويه حول مصر، وعقد لها ابن تغرى فصلاً فى كتابه النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهره (١/٢٧).

واستوفاها السيوطى فى كتابه: (حسن المحاضره فى أخبار مصر والقاهره).

وأشهرها ما رواه مسلم (٧/١٩٠) عن أبى ذر رضى الله عنه ، قال: «قال رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) : إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمه ورحماً ، أو قال ذمه وصهراً

فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها فى موضع لبنه فاخرج منها. قال: فرأيتُ عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنه وأخاه ربيعه يختصمان فى موضع لبنه ، فخرجتُ منها ».

ومعناه أن النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أخبر المسلمين بفتح مصر وأوصاهم بأهلها، وأوصى أبا ذر أن يغادرها إذا رأى نزاع رجلين من المسلمين على موضع منزل ، فلما رأى أبو ذر ابنى شرحبيل بن حسنه يتنازعان على منزل ، غادرها .

وليس فى هذا الحديث كبير مدح لأهل مصر إلا الوصيه للفاتحين بأن لايظلموهم! وروى بألفاظ مثل: إذا ملكتم القبط فاستوصوا بهم . فاتقوا الله فى القبط ، لاتأكلوهم أكل الخضر! (فتوح مصر/٥٢).

وفى لفظ الحديث إشكال ، فلعل الوصيه النبويه صدرت ، لكن الرواه رووها

بصيغه تبرر ظلم الولاه لأهل مصر ، وكأن النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) قال لهم: ستملكون أهل مصر وتأكلونهم ، وعليكم بالعافيه ، لكن كلوهم وأبقوا منهم ، ولا تأكلوهم كما تأكلون الخضار وتستوفونها كلها !

ولفظ مصادرنا أبلغ:عن أم سلمه أنه (صلّى الله عليه و آله وسلّم) قال: « الله فى القبط ، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عده وأعواناً فى سبيل الله ». (وسائل الشيعه:١١/١٠١)

ومهما يكن ، ففى حديث عمرو بن الحمق ، وما ثبت عن أهل البيت (عليه السّلام) ، غنى عن البقيه .

جواب ملک مصر المؤدب للنبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم)

قال الأحمدى فى مكاتيب الرسول (صلّى الله عليه و آله وسلّم) :١/١٨١: «لما تم صلح الحديبيه فى شهر ذى القعده سنه ست من الهجره ، رجع رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) إلى المدينه.. فعندئذ كتب إلى الملوك من العرب والعجم ورؤساء القبائل والأساقفه والمرازبه والعمال وغيرهم ، يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام ، فبدأ بإمبراطورى الروم وفارس ، وملكى الحبشه والقبط ، ثم بغيرهم ، فكتب فى يوم واحد سته كتب ، وأرسلها مع سته رسل ».

فكان أحسن رد جواب المقوقس ملک مصر، وأسوأ رد جواب كسرى ، فقد مزق كتاب النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) وطرد الرسول وحمله كيس تراب !

قال الأحمدی فی مکاتیب الرسول (صلّی الله علیه و آله وسلّم) :۲/۴۱۶: « کتابه (صلّی الله علیه و آله وسلّم) إلی المقوقس: بسم الله الرحمن الرحیم . من محمد بن عبد الله ، إلی المقوقس عظیم القبط: سلام علی من اتبع الهدی ، أما بعد ، فإنی أدعوک بدعایه الإسلام ، أسلم تسلم یؤتک الله أجرک مرتین ، فإن تولیت فإنما علیک إثم القبط و: یَا أَهْلَ الْکِتَابِ تَعَالَوْا إِلَی کَلِمَهٍ سَوَاءٍ بَیْنَنَا وَبَیْنَکُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئًا وَلا یَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ .

قال المقوقس: إنی نظرت فی أمر هذا النبی فوجدته لا یأمر بمزهود فیه ولا ینهی عن مرغوب فیه. ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الکاهن الکذاب . ووجدت معه آله النبوه بإخراج الخبء والإخبار بالنجوی ، وسأنظر . ثم أخذ الکتاب وجعله فی حق من عاج وختم علیه ، ودفعه إلی جاریته .

وأرسل المقوقس یوماً إلی حاطب فقال: أسألک عن ثلاث . فقال: لا تسألنی عن شئ إلا صدقتک ، قال: إلی مَ یدعو محمد؟ قلت: إلی أن نعبد الله وحده ، ویأمر بالصلاه خمس صلوات فی الیوم واللیله ، ویأمر بصیام رمضان ، وحج البیت ، والوفاء بالعهد ، وینهی عن أکل المیته والدم.. إلی أن قال: فوصفته فأوجزت ، قال: قد بقیت أشیاء لم تذکرها: فی عینیه حمره قلما تفارقه ، وبین کتفیه خاتم النبوه ، یرکب الحمار ، ویلبس الشمله ، ویجتزی بالتمرات والکسر ، ولا یبالی من لاقی من عم أو ابن عم .

ثم قال المقوقس: هذه صفته ، وكنت أعلم أن نبياً قد بقى ، وكنت أظن أن مخرجه بالشام ، وهناك تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج فى أرض العرب فى أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعنى فى اتِّباعه، وأنا أظِنُّ بملكى أن أفارقه ، وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا ! وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً واحداً ، ولا أحب أن تعلم بمحادثتى إياك!

ثم دعا كاتبه الذى يكتب له بالعربيه ، فكتب إلى النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) : بسم الله الرحمن الرحيم , لمحمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط: سلام عليك ، أما بعد ، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً قد بقى ، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وبثياب ، وأهديت إليك بغله لتركبها ، والسلام عليك ».

ثم عدد الأحمدى هديه المقوقس للنبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) : أربعه جوار، ماريه أم إبراهيم بن رسول الله ، وسيرين أخت ماريه ، وقيسر أخت ماريه أيضاً ، وجاريه أخرى سوداء إسمها بريره ، وغلاماً خصياً أسود إسمه مابور. وبغله شهباء وهى دَلْدَل ، وحماراً أشهب يقال له يَعْفور . وقيل وألف دينار وعشرين ثوباً ، وألف مثقال ذهباً ، وفرساً وهو اللَّزَّاز .

وأهدى إليه عسلاً من عسل نبها من قرى مصر، ومكحله ومربعه توضع فيها ، وقاروره دهن ، ومقصاً ومسواكاً ومشطاً ومرآه . وقيل عمائم وقباطى وطيباً وعوداً ومسكاً ، مع ألف مثقال من ذهب مع قدح من قوارير ، وخفين ساذجين أسودين ، وطبيباً يداوى مرض المسلمين...

وقال حاطب: كان المقوقس لى مكرماً فى الضيافه وقله اللبث ببابه ، وما أقمت عنده إلا خمسه أيام ، ودفع له مائه دينار وخمسه أثواب...

ذكر بعضهم أن هرقل لما علم ميل المقوقس إلى الإسلام عزله... راجع المناقب: ١/١٣٩، و: ٢/٦٥ ، وابن هشام:١/٣ ، و١٢٣ ، والشفا: ١ / ١١٥ .

علاقه المصريين بعثمان وعلى (عليه السّلام)

عرف أهل مصر محمد بن أبى بكر رضى الله عنه وأحبوه من أول فتح مصر، ثم كان يتردد اليها مع صديقه الشاب محمد بن أبى حذيفه بن عتبه بن ربيعه الأموى رضى الله عنه ، وقد شاركا فى فتح إفريقيا الذى انطلق من مصر .

وفى عهد عثمان طمع الروم باحتلال مصروغزوها بسفنهم ، فكان المحمدان القائدين الميدانيين لجيش المسلمين فى غزوه ذات الصوارى البحريه التى رد فيها المسلمون غزو الروم .

وكان أهل مصر يحبانهما ويكرهان الوالى الأموى عبد الله بن أبى سرح ، لسوء إدارته ، ولأنه وأباه كان عدوين لله ولرسوله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) .

قال أبو داود فی سننه:۲/۳۲۸ ، والنسائی فی سننه:۷/۱۰۷: « کان عبد الله بن سعد ابن أبی سرح یکتب لرسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) فأزله الشیطان فلحق بالکفار ، فأمر به رسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) أن یقتل یوم الفتح ».

وفی الکافی:۸/۲۰۱، عن الإمام الباقر (علیه السّلام) فی قوله تعالی: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَی عَلَی اللهِ کَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِیَ إِلَیَّ وَلَمْ یُوحَ إِلَیْهِ شَیْئٌ: « نزلت فی ابن أبی سرح الذی کان عثمان استعمله علی مصر ، وکان رسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) یوم فتح مکه هدر دمه ، وکان یکتب لرسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) فإذا أنزل الله عز وجل: إن الله عزیز حکیم . کتب: إن الله علیم حکیم » !

وقال ابن حبان فی لثقات(۳/۲۱۴): « وکان أبوه سعد بن أبی سرح من المنافقین الکبار ، وهو أخو عثمان من الرضاعه » .

وسنذکر وفود المصریین الی عثمان ، وطلبهم منه أن یولی علیهم محمد بن أبی بکر ، والحرکه التی قادها محمد بن أبی حذیفه فبایعه المصریون بالإماره علیهم ، وطردوا والی عثمان ابن أبی سرح .

وعندما تولی أمیر المؤمنین علی (علیه السّلام) الخلافه ، أرسل محمد بن أبی بکر رضی الله عنه والیاً علی مصر ، وکتب له عهد الولایه ، وجاء فیه کما فی نهج البلاغه:۳/۲۷: « واعلم یا محمد بن أبی بکر أنی قد ولیتک أعظم أجنادی فی

نفسى أهل مصر ، فأنت محقوق أن تخالف على نفسك ، وأن تنافح عن دينك ولو لم يكن لك إلا ساعه من الدهر .

ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه ، فإن فى الله خلفاً من غيره ، وليس من الله خلف فى غيره . صل الصلاه لوقتها الموقت لها ولا تعجل وقتها لفراغ ، ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال ، واعلم أن كل شئ من عملك تبعٌ لصلاتك » .

وتعبيره الإمام (عليه السّلام) :(أعظم أجنادى فى نفسى أهل مصر) يعنى أن مصر كانت يومها أهم بلد برأيه فى فتوح الإسلام وحمل رسالته . فهو يفضلها كبلد وشعب ، على كافه بلاد الدوله الإسلاميه يومها ، ويشير الى ترشيحها لهذا الدور فى المستقبل . وكفى بذلك فخراً .

تفضيل على (عليه السّلام) لمصر على بلاد الشام

روى الثقفى فى الغارات:١/٢٨٨، وهو أقدم من الطبرى وأوثق، عن جندب بن عبد الله قال: « والله إنى لعند علىٍّ (عليه السّلام) جالس، إذ جاءه عبد الله بن قعين جد كعب يستصرخ من قبل محمد بن أبى بكر، وهو يومئذ أمير على مصر، فقام على فنادى فى الناس: الصلاه جامعه فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ثم قال: أما بعد فهذا صريخ محمد بن أبى بكر وإخوانكم من أهل مصر، وقد سار إليهم ابن النابغه عدو الله وعدوكم

فلاـ يكونن أهـل الضـلال إلى بـاطلهم والركون إلى سبيـل الطاغوت ، أشـد اجتماعاً على باطلهم وضـلالتهم منكم على حقكم ، فكأنكم بهم قد بدؤوكم وإخوانكم بالغزو ، فاعجلوا إليهم بالمواساه والنصر .

عباد الله إن مصر أعظم من الشام خيراً ، وخير أهلاً، فلا تُغلبوا على مصر فإن بقاء مصر فى أيديكم عزٌّ لكم، وكبت لعدوكم .

أخرجوا إلى الجرعه (مكان بين الكوفه والحيره) لنتوافى هناك كلنا غداً إن شاء الله ».

أى أن مصر خير للمسلمين بمواردها الإقتصاديه، وأهلها كشعب خير من أهل الشام.

مدح نهر النيل

فى كامل الزيارات/١١١: « عن أبى عبـد الله (عليه السّـلام) قـال: نهران مؤمنان ونهران كافران ، نهران كافران: نهر بلـخ ، ودجله . والمؤمنان: نيل مصر ، والفرات ، فحنكوا أولادكم بماء الفرات ».

وفى الخصال/٢٩١: « عن حفص بن البخترى ، عن أبى عبـد الله (عليه السّـلام) قـال: إن جبرئيـل كرى برجله خمسه أنهـار ولسان الماء يتبعه: الفرات ، والدجله ، ونيل مصر ، ومهران ، ونهر بلخ ، فما سقت أو سقى منها فللإمام».

الفصل الثانى: مصر فى خلافه عمر وعثمان

تم فتح مصر بدون قتال وأسلم قسم من أهلها

أثبتنا فى كتاب « قراءه جديده للفتوحات الإسلاميه» أن المصريين طلبوا من ملكهم المقوقس أن يعقد اتفاقيه مع المسلمين ، ويعترف بهم حكاماً ، بعد أن هزموا الروم فى فلسطين وسوريا ، وانسحب هرقل الى القسطنطينيه وسحب قواته من بلاد الشام ومصر . فدخلها عمرو العاص فى ثلاثه آلاف وخمس مئه رجل ، واستقبله ملكها المقوقس ووقَّع معه عهد الصلح على أن يدفع عن كل مصرى دينارين سنوياً ، ويدفع مبلغاً فعلاً .

وقد تم ذلك بدون ضربه سيف ولاسوط ، وحكم المسلمون مصر بدل الروم ، وأخذوا يديرونها ، ويأتون اليها للسكنى ، وأسلم قسم من أهلها .

ويدل على ذلك: قول عمرو بن العاص نفسه لعمر بن الخطاب إن موقف المصريين أن لايقاتلوا المسلمين ، ليقنعه بغزو مصر .

قال ابن الحكم المصرى فى كتابه: فتوح مصر/١٣١: «قال: يا أمير المؤمنين إئذن لى أن أسير إلى مصر ، وحرضه عليها وقال: إنك إن فتحتها كانت قوه للمسلمين وعوناً لهم ، وهى أكثر الأرض أموالاً ، وأعجزها عن القتال والحرب . فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك ، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها ، حتى ركن عمر لذلك ، فعقد له على أربعه آلاف رجل كلهم من عكّ ، ويقال بل ثلاثه آلاف وخمس مائه ». ونحوه تاريخ اليعقوبى:٢/١٤٧، وغيره .

وفى فتوح مصر وأخبارها/١٣٦: «وكان بالإسكندريه أسقف للقبط يقال له أبو ميامين ، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط ، يعلمهم أنه لاتكون للروم دوله وأن ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقى عمرو ، فيقال أن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعواناً.. ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف ، حتى نزل القواصر ..

سمع رجلاً من لخم يحدث..كنت أرعى غنماً لأهلى بالقواصر ، فنزل عمرو ومن معه ، فدنوت إلى أقرب منازلهم ، فإذا بنفر من القبط فكنت قريباً منهم فقال بعضهم لبعض: ألا تعجبون من هؤلاء القوم يُقْدِمون على جموع الروم وإنما هم قله من الناس! فأجابه رجل آخر منهم فقال: إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه ».

وقد روى المؤرخون نص عقد الصلح بين المسلمين والأقباط ، وأن الروم غضبوا على الأقباط بسببه ، فتحداهم المقوقس وأصرَّ على الصلح .

قال المؤرخ المصرى القرشى المتوفى ٢٥٧هـ-.فى كتابه فتوح مصر/١٥٢: «وشرط المقوقس للروم أن يخُيَّروا، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك ، لازماً له مفترضاً عليه ، ممن أقام بالإسكندريه وما حولها من أرض مصر كلها ، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج ، وعلى أن للمقوقس الخيار فى الروم خاصه ، حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل ، فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم وإلا كانوا جميعاً على ما كانوا عليه. وكتبوا به كتاباً .

وكتب المقوقس إلى ملك الروم كتاباً يعلمه على وجه الأمر كله ، فكتب إليه ملك الروم يُقَبِّحُ رأيه ويُعَجِّزُه ويَرُدُّ عليه ما فعل ، ويقول فى كتابه إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفاً وبمصر من بها من كثره عدد القبط ما لا يحصى ، فإن كان القبط كرهوا القتال ، وأحبوا أداء الجزيه إلى العرب ، واختاروهم علينا ، فإن عندك من بمصر من الروم ، وبالإسكندريه ومن معك أكثر من مائه ألف ، معهم السلاح والعده والقوه ، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت ، فعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم فى حال القبط أذلاء، إلا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم ، فإنهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم

وعلى قدر قلتهم وضعفهم ، كأكْله ! فناهضهم القتال ولا يكون لك رأى غير ذلك . وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتاباً إلى جماعه الروم !

فقال المقوقس لما أتاه كتاب ملك الروم: والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا ، وإن الرجل الواحد منهم ليعدل مائه رجل منا ، وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياه ، يقاتل الرجل منهم وهو مستقتل ، يتمنى أن لا يرجع إلى أهله ولا بلده ولا ولده ، ويرون أن لهم أجراً عظيماً فيمن قتلوه منا ، ويقولون إنهم إن قتلوا دخلوا الجنه وليس لهم رغبه فى الدنيا ولا لذه إلا على قدر بلغه العيش من الطعام واللباس ، ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياه ولذتها ، فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم ! واعلموا معشر الروم والله إنى لا أخرج مما دخلت فيه ولا مما صالحت العرب عليه ، وإنى لأعلم أنكم سترجعون غداً إلى رأيى وقولى ، وتتمنون أن لو كنتم أطعتمونى ! وذلك أنى قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه !

ويْحكم! أما يرضى أحدكم أن يكون آمناً فى دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنه !

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص فقال له: إن الملك قد كره ما فعلتُ وعجَّزنى ، وكتب إلىَّ وإلى جماعه الروم أن لا نرضى بمصالحتكم ، وأمرهم بقتالكم حتى يظفروا بك أو تظفر بهم !

ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه، وإنما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ، ولم يأت من قبلهم نقض ، وأنا متم لك على نفسى ، والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاقدتهم .

وأما الروم فإنى منهم برئ ، وأنا أطلب إليك أن تعطينى ثلاث خصال . فقال له عمرو: ما هن؟ قال: لا تنقض بالقبط ، وأدخلنى معهم وألزمنى ما ألزمتهم ، وقد اجتمعت كلمتى وكلمتهم على ما عاهدتك عليه ، فهم متمون لك على ما تحب .

وأما الثانيه ، فإن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلاتصالحهم حتى تجعلهم فيئاً وعبيداً ، فإنهم أهل ذلك ، فإنى نصحتهم فاستغشونى ، ونظرت لهم فاتهمونى .

وأما الثالثه ، أطلب إليك إن أنا متُّ ، أن تأمرهم أن يدفنونى فى كنيسه أبى يحنس بالإسكندريه .

فأنعم له عمرو بن العاص بذلك ، وأجابه إلى ما طلب ، على أن يضمنوا له الجسرين جميعاً ، ويقيموا له الأنزال والضيافه والأسواق والجسور ، ما بين الفسطاط إلى الإسكندريه ، ففعلوا ، وصارت القبط أعواناً للمسلمين على الروم » . ونهايه الإرب:١٩/٣٠١.

إن أى عاقل يقرأ هذه الحقائق ، لايمكنه أن يقبل ما ادعاه عمرو العاص ورواه السلطه بعد ذلك ، من معارك مخترعه فى فتح مصر !

وإنى لأعجب لبعض الباحثين ،كيف يخالف عقله ، فيسرد المعارك والبطولات المزعومه ، مصدقاً بأنها وقعت فى فتح مصر مع القبط أو الروم ، مع أنه يروى ما يناقضها وينفيها !

ص: ٢٤

سبب ادعاء الحكام أن مصر فتحت عُنوه

يظهر أن أحاديث معارك فتح مصر ، اختُرعت فيما بعد ، لإثبات أنها فتحت عُنْوَةً لا صلحاً ، وذلك لسببين:

الأول: أن المدن والأراضى المفتوحه صلحاً يجب أن يتقيد الوالى فيها بالجزيه السنويه التى نص عليها عقد الصلح ، التى تشبه الضريبه لحمايه السكان ، وهى عاده دينار ذهبى أو ديناران عن كل بالغ ، عدا الصغار والنساء والشيوخ ، ولا يجوز للوالى أن يزيد عليها .

أما المفتوحه عُنْوَةً ، أى بالقوه والحرب ، فتكون أراضيها وعقاراتها ملكاً للمسلمين أى للدوله ، ويجوز للوالى رفع الجزيه على أهلها ، لأنهم مستأجرون غير مالكين . لذلك حاول الولاه إثبات أن فتح هذه المنطقه أو تلك كان عُنْوَةً ، ليحق لهم رفع الجزيه كما يحبون !

والسبب الثانى: ادعاء البطولات المكذوبه لزيد وعمرو ، باختراع المعارك الوهميه وتضخيم قوه العدو ومقاومته ! فصرت تجد فى فتح مصر بطولات عمرو العاص الأسطوريه ، ومغامراته البوليسيه ! وهى تفترض مقابله قوات للعدوحاربها أو احتال عليها فانتصر ، فيجعلونها قوات روميه تاره ، مع أنه لم يبق جندى رومى فى مصر ، وتاره قوات للمقوقس ، مع أنه أعلن المصالحه ورفض الحرب !

وجعلوها تاره عشره آلاف جندى مرافقين للملكه أرمانوسه بنت المقوقس ، يزفونها الى ابن هرقل ، مع أن هذا الزواج لا أصل له !

واليك هذه الروايه التى تتضمن معاركك مزعومه وتكذيبها معاً !

قال الطبرى (٣/١٩٩): «لما نزل عمرو على القوم بعين شمس ، وكان الملك بين القبط والنُّوب ، ونزل معه الزبير عليها ، قال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى قوم فلُّوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم . صالحِ القومَ واعتقد منهم (أبرم عقداً) ولا تَعْرُض لهم ولا تُعَرِّضْنَا لهم ،وذلك فى اليوم الرابع ، فأبى وناهدوهم فقاتلوهم ، وارتقى الزبير سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا إليه مصالحين ، فقبل منهم ، ونزل الزبير عليهم عنوه ، حتى خرج على عمرو من الباب معهم ، فاعتقدوا ، بعد ما أشرفوا على الهلكه ، فأجروا ما أخذوا عنوه مجرى ما صالح عليه ، فصاروا ذمه ».

فالروايه تصرح بأن المصريين قرروا الصلح مع المسلمين ، لكنها تريد إثبات بطوله للزبير ، فزعمت أن ملكهم أبى الصلح الى اليوم الرابع ، فتسلق الزبير سور الإسكندريه أو غيرها فلم يمنعه أحد ، فخافوا وقبلوا بالصلح ، ونزل من السور الى المدينه فخافوا منه ولم يشهر أحد عليه سيفاً ولا ضربه بسهم ! فقبلوا بالصلح وخرجوا معه الى عمرو العاص فوقَّعوا

الصلح ، وكفى الله المؤمنين القتال بتسلق الزبير ، فصارت مفتوحه عُنوةً ، لكن الفاتحين تفضلوا عليهم فجعلوها صلحاً ، فيجوز للوالى زياده الجزيه !

ومن الواضح أن هذا تلاعب وادعاء ، لا يقبله العقل .

وقد أثبتنا فى كتابنا قراءه جديده فى الفتوحات أن الإسكندريه فتحت صلحاً بلا قتال، وأن عَمْرو العاص ادعى بعد خمس سنين أن أهلها نقضوا الصلح ، فغزاهم وسبى منهم ، فكذَّبه الخليفه عثمان ، وأمره برد السبى والأموال التى أخذها ، فعمرو العاص هو الذى نقض عهد الصلح ، وليس المصريين !

ص: ٢٧

أول حركه رقابه على نظام الحكم الإسلامى كانت مصريه

سجل التاريخ أن المصريين ، وهم الذين سكنوا فى مصر من العرب أو أسلموا من الأقباط ، كانوا أول من طالب الخليفه عمر بتطبيق القرآن ، وهذا يدل على أنهم عكفوا على قراءه القرآن والتدبر فيه ، وقايسوا أوامره ونواهيه بسياسه عمر وعماله ، فرأوا أن أكثر القرآن لا يطبق ، فذهبوا اليه يطالبونه بتطبيقه ، لكن عمر أحبط مسعاهم ، وهددهم!

فقد روى السيوطى فى الدر المنثور (٢/١٤٥) والطبرى فى تفسيره (٥/٦٣) وابن كثير فى تفسيره (٤/٤٩٧) وكنز العمال (٢/٣٣٠): « عن الحسن ، أن ناساً لقوا عبد الله بن عمرو بمصر ، فقالوا: نرى أشياء من كتاب الله أمَر أن يُعمل بها ، لا يُعمل بها ! فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين فى ذلك .

فقدم وقدموا معه ، فلقى عمر فقال: يا أمير المؤمنين أن ناساً لقونى بمصرفقالوا إنا نرى أشياء من كتاب الله أمر أن يعمل بها لا يعمل بها، فأحبوا أن يلقوك فى ذلك..فقال: متى قدمت؟ قال: منذ كذا وكذا . قال: أبإذن قدمت؟ قال: فلا أدرى كيف رد عليه ! فقال: يا أمير المؤمنين إن ناساً لقونى بمصر فقالوا إنا نرى أشياء من كتاب الله تبارك وتعالى أمر أن يعمل بها لا يعمل بها ، فأحبوا أن يلقوك فى ذلك . فقال: إجمعهم لى .

ص: ٢٨

قال فجمعتهم له ، قال ابن عون أظنه قال فى نهر ، فأخذ أدناهم رجُلًا فقال: أنشدك بالله وبحق الإسلام عليك ، أقرأت القرآن كله؟ قال: نعم. قال: فهل أحصيته فى نفسك؟ قال:اللهم لا. قال ولو قال نعم لخصمه . قال: فهل أحصيته فى بصرك، هل أحصيته فى لفظك، هل أحصيته فى أثرك؟ قال: ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم فقال:ثكلت عمر أمه أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله ! قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات ، قال: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا .

هل عَلِم أهل المدينه ، أو قال هل علم أحدٌ ، بما قدمتم ؟ قالوا: لا .

قال: لو علموا لوعظت بكم » !

ومعناه أن هؤلاء المصريين جاؤوا وفداً ليسألوا الخليفه عن آيات من القرآن فيها أوامر إلهيه فى الأمور الإداريه والسياسيه والماليه والإجتماعيه ، ولا يرون تطبيقها فى دولته ! فلم يعطهم الخليفه « العادل» فرصةً للكلام ، وهاجمهم بالجواب بأنهم مخطئون يطلبون منه تطبيق القرآن على نفسه وولاته ، والقرآن عظيم لايمكن لأحد أن يطبقه!

واستدل عمر على عدم إمكان تطبيق القرآن ، بأنه لايمكن لأحد أن يحصى كلماته وحروفه فيراها كلها دفعه واحده ، أو يستحضرها فى ذهنه دفعه

واحده . وكل دستور لايرى الحاكم مواده وسطوره وكلماته وحروفه دفعه واحده ، يسقط عنه تطبيقه !

ثم استدل بأن القرآن عظيم ، لايمكن لأحد أن يطبقه كله ، فيكفى أن يطبق منه جزءاً يسيراً ، والله يعفو عن الباقى .

وهذا الجزء موكول الى الخليفه نفسه ، فقد يكون أخذ الزكوات وتأديب الناس بالسوط ! واستدل على ذلك بأن الله وعد من اجتنب كبائر المحرمات أن يغفر له ، فيكفى للخليفه أن يطبق كبائر الواجبات !

ثم قال لهم إنكم مفسدون فى الأرض! فقد جئتم تحركون المسلمين علىَّ للمطالبه بتطبيق القرآن ، لكنى أحضرتكم قبل أن يعرف أهل المدينه بكم ، ولو عرفوا لجعلتكم عبره لمن اعتبر ، وأقمت عليكم الحد ! الذى قد يصل الى ضرب أعناقكم ، فاحمدوا الله واسلموا بجلدكم ، وارضوا بما ترونه يخالف القرآن منى ومن عمالى ، ولا تثيروا علينا المشاكل!

وأمام هذه الإستدلال العمرى العجيب ، والتهديد الأعجب ! جمع الوفد المصرى متاعهم ، وغادروا الى مصر ، ليستعيدوا هدوءهم من صدمتهم !

صبيغ التميمى ناشط مصرى وقع فى قبضه عمر

وقد سجل التاريخ قصه عمر العجيبه مع صبيغ التميمى ، وهو مسلم مثقف من البصره ، كان أبوه يقرأ كتب التاريخ ، وقد أعجب كغيره من المثقفين بالقرآن وكان يحمل تساؤلات المصريين ، فاعتقله عمرو بن العاص وأرسله مخفوراً الى عمر، فضربه بعراجين النخل حتى أدمى ظهره ووجهه ، ثم حبسه ، ثم أرسل عليه وضربه ثانيه ، ثم حبسه ، ثم أرسل عليه للثالثه !

ثم توسط له ناس فأرسله عمر مخفوراً الى بلده الأصلى البصره ، وكتب الى حاكمها أبى موسى الأشعرى أن يلبسه تباناً ، ويُركبه على حمار بالمقلوب ، ويطوف به فى البصره ، وينادى عليه إنه مجرم ، لأنه سأل عن آيات من القرآن ، وإن الخليفه حرم مجالسته والكلام معه !

روى الدارمى فى سننه(١/٥٥): « عن نافع مولى عبد الله ، أن صبيغاً العراقى جعل يسأل عن أشياء من القرآن فى أجناد المسلمين حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ،فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل ؟ فقال: فى الرحل . قال له عمر: أبصر أن يكون ذهب ، فتصيبك منى به العقوبه الموجعه ! فأتاه به فقال عمر: تسأل (مسائل) مُحْدَثَه ؟ فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دَبْرَه (ملئياً من

الجروح) ثم تركه حتى برأ ، ثم عاد له ، ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود له ، قال فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلاً جميلاً ، وإن كنت تريد أن تداوينى فقد والله برئت!

فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى: أن لا يجالسه أحد من المسلمين ، فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته ، فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته » !

ورواه السيوطى فى الدر المنثور:۲/۷، وتاريخ دمشق:۲۳/۴۱۱ ، وقد فصلنا قصه هذا المظلوم صبيغ فى كتاب تدوين القرآن/۲۰۹.

حرکه المصریین ضد الخلیفه عثمان

عرف المصریون بسعه صدرهم مع حکامهم، ومع ذلک ضاقت صدورهم بالحاکم الأموی فکتبوا یشکونه الی الخلیفه عثمان فلم یقبل منهم ، فذهبوا وفداً الی المدینه ووسَّطوا علیاً (علیه السّلام) لحل المشکله ، لکن عثمان وسکرتیره مروان رفضا طلبهم ، فعادوا الی مصر غاضبین ، ثم عاقبهم الوالی فی مصر وضرب أحدهم حتی مات !

فرأی المصریون أن یذهبوا الی المدینه فی وفد کبیر لیکون ضغطهم علی الخلیفه أکبر ، فیستجیب لمطلبهم ویُغیِّر الوالی ، فشکلوا وفداً من سبع مئه رجل برئاسه صحابی من أهل بیعه الرضوان ، هو عبد الرحمن بن عدیس البلوی ، وعسکروا قرب المدینه ، وأرسلوا الی الخلیفه عثمان رسولاً ، وأرسل الیهم مبعوثین ، ثم جاءهم هو .ثم ذهبوا الی عثمان ، وطلبوا من علی (علیه السّلام) أن یساعدهم فحضر معهم ، وکان موقف عثمان ألین من السابق .

ثم ذهبوا الی العمره ورجعوا ، وواصلوا ضغطهم علی عثمان فقبل بتغییر الوالی وتولیه محمد بن أبی بکر بدله ، وکتب لهم المرسوم فذهبوا مسرورین ومعهم والیهم الجدید . لکنهم فی الطریق وجدوا رسولاً من عثمان الی الوالی الأموی یأمره أن یحبس الوفد ومحمد بن أبی بکر ، أو یقتلهم !

فغضبوا ورجعوا الى عثمان فعاتبوه ، فأقر بأن الرسول موظف عنده وأن الختم ختمه ، لكنه نفى أن يكون كتب الرساله ، وأبى أن يُحمل المسؤوليه لصهره مروان بن الحكم ، فازداد غضبهم وحاصروا دار الخلافه أربعين يوماً ، وساعدهم فى الحصار وفدان جاءا شاكيين مثلهم ، أحدهما من البصره والثانى الكوفه ٍ، وعددهم خمس مئه ، وطالبوا عثمان بعزل ولاته ، أو الإستقاله وخلع نفسه من الخلافه ، فلم يفعل حتى قتل .

ص: ٣۴

المحمدان يحركان مصر

ذكر المؤلفون ظلم ولاه عثمان والأمويين للمصريين ، كما فى كتاب: الولاه والقضاه للكندى/٨٧ ، وحسن المحاضره فى تاريخ مصر

للسيوطى: ١/٤٦ ، وفتوح مصر وأخبارها/٥١ ، والخطط للمقريزى:١/٢٨٨ .

وفى النجوم الزاهره:١/٢٣١: (قال الكندى: كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان إلى أسامه: إحلب الدرَّ حتى ينقطع ، واحلب الدم حتى ينصرم)!!

أى أفرض على الناس الضرائب ، كمن يحلب الحليب ، ولا يبقى منه شيئاً ، ثم يقسو على البقره فيحلب منها الدم !

وقد اتهم رواه السلطه المُحَمَّدَيْن:محمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفه رضى الله عنهما ، بأنهما قد حرَّكا المصريين ضد عثمان ودفعاهم الى قتله ، لكن أهل مصر كانوا قبلهما ناقمين على عمال عثمان لسوء سيرتهم ، كما أن النقمه على عثمان لم تقتصر على المصريين ، ففى أنساب الأشراف: ٥/٣٦٥: «حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى فى إسناده قال: مرَّ عثمان بن عفان على جبله بن عمرو الساعدى وهو على باب داره وقد أنكر الناس عليه ما أنكروا فقال له: يا نعثل والله لأقتلنّك ولأحملنّك على قلوص جرباء ولأخرجنَّك إلى حرّه النار! ثم أتاه وهو على المنبر فأنزله وكان أول من اجترأ على عثمان وتجهّمه بالمنطق الغليظ ! وأتاه يوماً بجامعه فقال: والله

لأطرحنَّها فى عنقك أو لتتركنَّ بطانتك هذه ، أطعمت الحارث بن الحكم السوق وفعلت وفعلت. وكان عثمان ولَّى الحارث السوق فكان يشترى الجلب بحكمه ويبيعه بسومه ويجبى مقاعد المتسوّقين ويصنع صنيعاً منكراً فكُلِّم فى إخراج السوق من يده فلم يفعل. وقيل لجبله فى أمر عثمان وسئل الكفّ عنه فقال: والله لا ألقى الله غداً فأقول إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا.. خطب عثمان فى بعض أيامه فقال له جهجاه بن سعيد الغفارى: يا عثمان إنزل ندرِّعك عباءه ونحملك على شارف من الإبل إلى جبل الدخان كما سيِّرت خيار الناس...وكان جهجاه ممن بايع تحت الشجره..

عن صالح ابن كيسان عن عمر بن عبد العزيز، أن محمد بن أبى حذيفه ومحمد بن أبى بكر حين أكثر الناس فى أمر عثمان قدما مصر وعليها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، ووافقا بمصر محمد بن طلحه بن عبيد الله وهو مع عبد الله بن سعد..

وغزا ابن أبى سرح إفريقيه فأعدِّ لهما سفينه مفرده لئلَّا يفسدا عليه الناس ، فمرض ابن أبى بكر فتخلَّف وتخلَّف معه ابن أبى حذيفه ، ثم إنّهما خرجا فى جماعه الناس فما رجعا من غزاتهما إلَّا وقد أوغرا صدور الناس على عثمان ، فلما وافى ابن أبى سرح مصر وافاه كتاب عثمان بالمصير اليه ، فشخص إلى

المدينه وخلَّف على مصر رجلاً- كان هواه مع ابن أبى بكر وابن أبى حذيفه ، فكان ممن شايعهم وشجّعهم على المسير إلى عثمان .

وبعث عثمان إلى ابن أبى حذيفه بثلاثين ألف درهم ، وبجمل عليه كسوه فأمر به فوضع فى المسجد ، وقال: يا معشر المسلمين ألا- ترون إلى عثمان يخادعنى عن دينى ويرشونى عليه! فازداد أهل مصر عيباً لعثمان وطعناً عليه واجتمعوا إلى ابن أبى حذيفه فرأَّسوه عليهم ، فلما بلغ عثمان ذلك دعا بعمار بن ياسر، فاعتذر اليه مما فعل به واستغفر الله منه(كان ضرب عثمان وداس عليه) وسأله أن لا- يحقده عليه ، وقال: بحسبك من سلامتى لك ثقتى بك ، وسأله الشخوص إلى مصر ليأتيه بصحه خبر ابن أبى حذيفه ، وحق ما بلغه عنه من باطله . وأمره أن يقوم بعذره ويضمن عنه العتبى لمن قدم عليه ، فلما ورد عمار مصر حرَّض الناس على عثمان ودعاهم إلى خلعه وأشعلها عليه ، وقوّى رأى ابن أبى حذيفه وابن أبى بكر وشجَّعهما على المسير إلى المدينه ، فكتب ابن أبى سرح إلى عثمان يعلمه ما كان من عمار ويستأذنه فى عقوبته ، فكتب اليه بئس الرأى رأيت يا ابن أبى سرح ، فأحسن جهاز عمار واحمله إلىَّ ، فتحرّك أهل مصر وقالوا: سيِّرَ عمار(نفاه) ودبَّ فيهم ابن أبى حذيفه ، ودعاهم إلى المسير ، فأجابوه ».

ص: ٣٧

وفی تاریخ الطبری:۳/۵۴۸: « عن عباس بن سهل الساعدی أن محمد بن أبی حذیفه بن عتبه بن ربیعه بن عبد شمس بن عبد مناف هو الذی کان سرَّب المصریین إلی عثمان بن عفان ، وأنهم لما ساروا إلی عثمان فحصروه وثب هو بمصر علی عبد الله بن سعد بن أبی سرح أحد بنی عامر بن لؤی القرشی ، وهو عامل عثمان یومئذ علی مصر، فطرده منها وصلی بالناس ، فخرج عبد الله بن سعد من مصر ، فنزل علی تخوم أرض مصر مما یلی فلسطین ، فانتظر ما یکون من أمر عثمان ، فطلع راکب فقال: یاعبد الله ما وراءک خبرنا بخبر الناس خلفک . قال: أفعل ، قَتل المسلمون عثمان . فقال عبد الله بن سعد: إنا لله وإنا إلیه راجعون ، یا عبد الله ثم صنعوا ماذا؟ قال: ثم بایعوا ابن عم رسول الله علی بن أبی طالب.قال عبد الله بن سعد:إنا لله وإنا إلیه راجعون! قال له الرجل: کأن ولایه علی بن أبی طالب عدلت عندک قتل عثمان ! قال: أجل . قال فنظر إلیه الرجل فتأمله فعرفه وقال: کأنک عبد الله بن أبی سرح أمیر مصر ! قال: أجل. قال له الرجل: فإن کان لک فی نفسک حاجه فالنجاء النجاء ، فإن رأی أمیر المؤمنین فیک وفی أصحابک سیئ ، إن ظفر بکم قتلکم أو نفاکم عن بلاد المسلمین ، وهذا بعدی أمیر یقدم علیک . قال له عبد الله: ومن هذا الأمیر؟ قال: قیس بن سعد بن عباده الأنصاری... فخرج عبد الله بن سعد هارباً حتی قدم علی معاویه بن أبی سفیان دمشق».

أقول: هـذا النص الـذى روته أو روت شبيهـاً به عـامه المصادر ، يـدل على حب أهل مصـر للمحمـدين وطاعتهم لهما ، بل تـدل نصوص الفتوحات الأفريقيه التى قام بها المصـريون ، ونصوص معركه ذات الصوارى التى رد المصـريون فيها غزوه الروم البحريه ، على أن المحمدين قادا المصريين فيها ، فقد كانوا يحبونهما أكثر من واليهم .

أرسل عثمان وفوداً الى مصر

أرسـل عثمـان عمار بن ياسـر وغيره الى مصـر ، ليعالـج مشـكله الوالى مع أهلها فزاد غضب المصـريين ، فكتب له الوالى كما فى تاريخ المدينه (٣/١١٢٣):

«أمـا بعـد فإنـك بعثت قومـاً ليقوموا بضـررك وإنهم يحرضون عليـك ، فـإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى ضـرب أعناقهم فليفعل! فكتب إليه عثمان: بئس الرأى رأيت يا ابن أبى سرح ، حتى تستأذن فى قتل قوم فيهم عمار بن ياسر! أنا بقضاء الله أرضى من أن آذن لك فى ذلك ، فإذا أتاك كتابى هذا فأحسن صـحبتهم ما صـحبوك ، فإذا أرادوا الرحله فأحسن جهازهم ، وإياك أن يأتينى عنك خلاف ما كتبت به إليك ».

ص: ٣٩

معركه ذات الصوارى

فتح المسلمون أفريقيا من مصر ، وشارك فى غزواتها المحمدان وعدد من الصحابه ، لكن رواه السلطه نسبوا النصر فيها الى ولاه عثمان، وخاصه عبد الله بن أبى سرح ، الذى شكاه أهل مصر ، وكان النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) هدر دمه !

وكانت معركه ذات الصوارى على أثر فتح المسلمين لأفريقيا وتحريرها من النفوذ الرومى ، فقام قسطنطين ملك الروم ، بغزو الإسكندريه بخمس مئه سفينه وقيل ست مئه وقيل ألف، وفى السفينه عاده مئه مقاتل ، ووصلوا الى ساحل الإسكندريه، فقصدهم المسلمون فى مئتى سفينه ، واشتبكوا مع بعض سفنهم ، وكان القائد الرسمى للمسلمين والى مصر الأموى ، وكان المحمدان القائدين الميدانيين للمقاتلين !

على أن سبب انتصار المسلمين فى معركه ذات الصوارى كان الريح التى أرسلها الله تعالى على الروم فحطمت بعض سفنهم وشتتت الباقى، لكن رواه السلطه يهملون العوامل الربانيه ودور الأبطال الحقيقين ، وينسبون النصر الى الولاه أياً كانوا !

قال القرش المصرى فى فتوح مصر وأخبارها/٣٢٣: « مشت الروم إلى قسطنطين بن هرقل فى سنه خمس وثلاثين فقالوا: تترك الإسكندريه فى أيدى العرب ، وهى مدينتنا الكبرى؟! فقال:ما أصنع بكم ، ما تقدرون أن تتمالكوا ساعه

إذا لقيتم العرب! قالوا: فاخرُج على أنا نموت ، فتابيعوا على ذلك ، فخرج فى ألف مركب يريد الإسكندريه ، فسار أياماً غالبه من الريح ، فبعث الله عليهم ريحاً فغرقتهم ، إلا قسطنطين نجا بمركبه فألقته الريح بسقليه ، فسألوه عن أمره فأخبرهم ، فقالوا: أشمتْتَ بالنصرانيه أعداءها ، وأفنيت رجالها ، لو دخل العرب علينا لم نجد من يردهم !

فقال: خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا ! فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال: ويلكم تذهب رجالكم ، وتقتلون ملككم ؟ قالوا: كأنه غرق معهم ، ثم قتلوه ، وخلوا من كان معه فى المركب » !

وفى فتوح مصر/٣٢٣: « فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب ، وتأخر هرقل لئلا تصيبه الهزيمه ، وجعلت القوارب تختلف إليه بالأخبار فقال: ما فعلوا؟ قالوا: قد اقتتلوا بالنبل والنشاب . فقال: غُلبت الروم . ثم أتوه فقال: ما فعلوا؟ قالوا: قد نفذ النبل والنشاب فهم يرتمون بالحجاره . قال: غُلبت الروم . ثم أتوه فقال: ما فعلوا ؟ قالوا: قد نفذت الحجاره وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف . قال: غُلبت الروم..

عن يزيد بن أبى حبيب قال: وكانت السفن إذ ذاك تُقرن بالسلاسل عند القتال فقال: فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الأمير ، بمركب من مراكب العدو ، فكاد مركب العدو يجتر مركب عبد الله إليهم ، فقام علقمه بن يزيد

الغطيفى ، وكان مع عبد الله بن سعد فى المركب ، فضرب السلسله بسيفه فقطعها ، فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك بسيسه ابنه حمزه بن ليشرح وكانت مع عبد الله يومئذ ، وكان الناس يغزون بنسائهم فى المراكب: من رأيتِ أشدَّ قتالاً؟ قالت علقمه صاحب السلسله ».

وفى فتوح مصر/۴۴۹:« روى بعض الناس: سمعت عمار بن ياسر بذى الصوارى » .

وقال المسعودى فى التنبيه والإشراف/۱۳۵: « قسطنطين بن قسطنطين أخى هرقل، وقيل إنه ابن هرقل ن ملك تسع سنين وسته أشهر ، فى خلافه عثمان بن عفان ، وهو الذى غزا فى البحر فى نحو ألف مركب حربيه وغيرها فيها الخيل والخزائن والعَدد ، يريد الإسكندريه من بلاد مصر، وكان عامل مصر والإسكندريه لعثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، فالتقوا فى البحر فكانت على قسطنطين ، فعطبت مراكبه وهلك أكثر رجاله ، ونجا فى مركب ، فوقع فى جزيره سقليه من بلاد إفريقيه ، فقتله جرجيق ملكها تشاؤما به لإهلاكه النصرانيه. وسميت هذه الغزاه ذات الصوارى لكثره المراكب وصواريها وهى الأدقال ، وكان ذلك فى سنه۳۴ للهجره ».

وقال الطبرى فى تاريخه:۳/۳۴۰: « عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: كنت معهم فالتقينا فى البحر ، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط ، وكانت

الريح علينا فأرسينا ساعه وأرسوا قريباً منا ، وسكنت الريح عنا ، فقلنا الأمن بيننا وبينكم . قالوا: ذلك لكم ولنا منكم . ثم قلنا: إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم ، وإن شئتم فالبحر. قال: فنخروا نخره واحده وقالوا: الماء ! فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها إلى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضاً على سفننا وسفنهم ، فقاتلنا أشد القتال ، ووثبت الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف على السفن ، ويتواجؤون بالخناجر ، حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج ، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاماً...

عن حنش بن عبد الله الصنعانى قال: كان أول ما سُمع من محمد بن أبى حذيفه حين ركب الناس البحر سنه٣١ ، لما صلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح بالناس العصر ، كبّر محمد بن أبى حذيفه تكبيراً ورفع صوته حتى فرغ الإمام عبد الله بن سعد بن أبى سرح!

فلما انصرف سأل ما هذا ؟ فقيل له: هذا محمد بن أبى حذيفه يُكَبّر، فدعاه عبد الله بن سعد فقال له: ما هذه البدعه والحدث ؟ فقال له: ما هذه بدعه ولا حدث ، وما بالتكبير بأس! قال: لا تعودن .

قال: فسكت محمد بن أبى حذيفه ، فلما صلى المغرب عبد الله بن سعد كبر محمد بن أبى حذيفه تكبيراً أرفع من الأول ، فأرسل إليه إنك غلام أحمق ،

أما والله لولا أنى لا أدرى ما يوافق أمير المؤمنين لقاربت بين خطوك ! فقال محمد بن أبى حذيفه: والله مالك إلى ذلك سبيل ، ولو هممت به ما قدرت عليه ! قال:فكُفَّ خيرٌ لك ، والله لا تركب معنا. قال: فأركب مع المسلمين. قال: إركب حيث شئت . قال: فركب فى مركب وحده ما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصوارى ، فلقوا جموع الروم فى خمس مائه مركب أو ست مائه ، فيها القسطنطين بن هرقل فقال: أشيروا علىَّ. قالوا: ننظر الليله ، فباتوا يضربون بالنواقيس ، وبات المسلمون يصلون ويدعون الله .

ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل فقربوا سفنهم وقرب المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض، وصفَّ عبد الله بن سعد المسلمين على نواحى السفن، وجعل يأمرهم بقراءه القرآن، ويأمرهم بالصبر . ووثبت الروم فى سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها ، فكانوا يقاتلون على غير صفوف . قال: فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم إن الله نصر المؤمنين فقتلوا منهم مقتله عظيمه ، لم ينج من الروم إلا الشريد .

قال: وأقام عبد الله بذات الصوارى أياماً ، بعد هزيمه القوم ، ثم أقبل راجعاً ، وجعل محمد بن أبى حذيفه يقول للرجل: أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقاً ، فيقول الرجل: وأى جهاد؟ فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا

وكذا وفعل كذا وكذا ، حتى أفسد الناس فقدموا بلدهم وقد أفسدهم ، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به .

قال محمد بن عمر فحدثنى معمر بن راشد عن الزهرى قال: خرج محمد بن أبى حذيفه ومحمد بن أبى بكر عامَ خرج عبد الله بن سعد ، فأظهرا عيب عثمان وما غيَّر ، وما خالف به أبا بكر وعمر ، وأن دم عثمان حلال . ويقولان: استعمل عبد الله بن سعد رجلاً كان رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أباح دمه ونزل القرآن بكفره ! وأخرج رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) قوماً وأدخلهم (يقصدان الحكم وولده) ونزع أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ، واستعمل سعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر » .

ص: ۴۵

ملاحظات

١. نستنتج من نصوص غزوه ذات الصوارى أنه لم يكن فيها معركه مهمه ، وأن سفن المسلمين رست على الشاطئ ، ورست سفن الروم مقابلها فى البحر ، وأن اليوم الأول كان هدنه ولم يكن فيه اشتباك ، وكان الإشتباك فى اليوم الثانى مع مراكب محدوده ، وسرعان ما بعث الله الريح والموج فنسفت مراكب الروم نسفاً ، فغرق أكثرها ونجا بعضها .

ولهذا لا تجد فى نصوص ذات الصوارى وصفاً للمعركه إلا القول إنهم بعد أن ربطوا بعض السفن بسفن الروم هاجمهم الروم ، ومعناه أن الروم كانوا مهاجمين ، فهم الذين ربطوا السفن وهاجموا ، لكن الله تعالى سخر عليهم الريح . ويكفى أن تقرأ: « فبعث الله عليهم ريحاً فغرقتهم إلا قسطنطين نجا بمركبه فألقته الريح بسقليه ، فسألوه عن أمره فأخبرهم ، فقالوا: أشْمَتَّ بالنصرانيه أعداءها وأفنيت رجالها ، لو دخل العرب علينا لم نجد من يردهم ! فقال: خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا... وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاماً » .

وإذا صح أن قسطنطين جُرح فقد يكون جرحه من الأمواج لا من القتال . وكانت جزيره صقليه مملكه تحت حكم الروم .

ص: ۴۶

وقال ابن سالم الكلاعى فى الإكتفاء:۲/۳۶۷، عن حنش الصنعانى قال: « ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين فقربوا سفنهم ، وقرب المسلمون ، فربطوا بعضها إلى بعض ، وصفَّ عبد الله المسلمين على نواحى السفن وأمرهم بقراءه القرآن وبالصبر، ووثبت الروم فى سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها ، واقتتلوا على غير صفوف قتالاً شديداً ، ثم إن الله نصر المؤمنين ، فقتلوا منهم مقتله عظيمه لم ينج من الروم إلا الشريد ، و أقام عبد الله بذات الصوارى أياماً بعد هزيمه القوم ، ثم أقبل راجعاً .

وذكر ابن عبد الحكم: أن عبد الله بن سعد لما نزل ذات الصوارى.. قال: وإنما مراكب المسلمين مائتا مركب ونيف ، فقام فقال: أشيروا علىَّ ، فما كلمه رجل من المسلمين ، فجلس قليلاً لترجع إليهم أفئدتهم ، ثم استشارهم فما كلمه أحد ، ثم قال الثالثه: إنه لم يبق شئ ، فأشيروا علىّ فقال رجل من أهل المدينه كان متطوعاً: أيها الأمير إن الله

تعالى يقول: كَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِيلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً كَثِيرَهً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ . فقال عبدالله: إركبوا باسم الله فركبوا، وإنما فى كل مركب نصف شحنته ، قد خرج النصف الآخر مع بسر فى البر ، فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب ، وتأخر ابن هرقل لئلا تصيبه الهزيمه ، وجعل تختلف القوارب إليه بالأخبار فقال: مافعلوا؟قالوا: اقتتلوا بالنبل والنشاب . قال: غُلبت الروم...

قال يزيد بن أبى حبيب: وكانت السفن إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال... وفى بعض ما تقدم من الأخبار مايقتضى أن ذات الصوارى موضع يسمى هكذا».

٢. لو افترضنا أى اشتباك أو معركه فى ذات الصوارى ، فلا بد أن يكون المحمدان فى طليعتها ، لأنهما مطاعان فى الجيش المصرى أكثر من الوالى ، بدليل أن المصريين بايعوا محمد بن أبى حذيفه بعد أيام ، ونفوا واليهم ابن أبى سرح

٣. قال البلاذرى فى أنساب الأشراف (٥/٥٣٩): (فكتب ابن أبى سرح إلى عثمان إن محمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفه ، قد أنغلا علىَّ المغرب وأفسداه ، فكتب اليه عثمان: أما محمد بن أبى بكر فإنى أدعه لأبى بكر الصديق وعائشه أم المؤمنين ، وأما محمد بن أبى حذيفه فإنه ابنى وابن أخى وأنا ربيته ، وهو فرخ قريش » .

وهذا يدل على أن تأثيرهما ظهر فى المسلمين فى فتح أفريقيا ، ويرد ما قيل من أن تحريكهما للمصريين بدأ من غزوه ذات الصوارى ، كما يدل على دورهما المؤثر فى فتح إفريقيا والمغرب ..

زاد نشاط المحمدیْن فی جیش ذات الصواری

عندما أراد الوالی التوجه الی معرکه ذات الصواری ، منع المحمدین من رکوب السفن مع الجیش المصری لئلا یحرکا المصریین ضده ، ولکنهما ذهبا مع الجیش ، وکان ابن أبی حذیفه یقول لهم: نذهب الی جهاد الروم ، لکن الجهاد الأفضل وراءنا وهو جهاد عثمان!

وقد استقطب محمد تأیید جیش ذات الصواری ، ثم استقطب أکثریه المصریین ، فقد ذهب الوالی بعد ذات الصواری الی المدینه لمده قلیله فسیطر محمد علی مصر وبایعه أهلها ، وأرسل جیشه لیمنع الوالی من دخول مصر ، فمنعوه وطردوه الی فلسطین .

وأرسل محمد وفداً عسکریاً الی المدینه ، لیطالبوا عثمان بالتوبه ، وإصلاح الأوضاع ، أو یخلع نفسه .

قال البلاذری فی أنساب الأشراف: ۵/۵۴۰: « عن عمر بن عبد العزیز أن محمد بن أبی حذیفه ومحمد بن أبی بکر ، حین أکثر الناس فی أمر عثمان قدما مصر وعلیها عبد الله بن سعد بن أبی سرح ، ووافقا بمصر محمد بن طلحه بن عبید الله وهو مع عبد الله بن سعد ، وأن ابن أبی حذیفه شهد صلاه الصبح فی صبیحه اللیله التی قدم فیها ففاتته الصلاه فجهر بالقراءه ، فسمع ابن أبی

سرح قراءته فسأل عنه فقيل رجل أبيض طوال وضئ الوجه ، فأمر إذا صلَّى أن يؤتى به ، فلما رآه قال: ما جاء بك إلى بلدى؟ قال: جئت غازياً. قال: ومن معك؟ قال محمد بن أبى بكر ، فقال: والله ما جئتما إلَّا لتفسدا الناس وأمر بهما فسجنا ، فأرسلا إلى محمد بن طلحه يسألانه أن يكلَّمه فيهما لئلَّا يمنعهما من الغزو ، فأطلقهما ابن أبى سرح ، وغزا ابن أبى سرح إفريقيه فأعد لهما سفينه مفرده لئلَّا يفسدا عليه الناس ، فمرض ابن أبى بكر فتخلَّف وتخلَّف معه ابن أبى حذيفه ، ثم إنهما خرجا فى جماعه الناس ، فما رجعا من غزاتهما إلَّا وقد أوغرا صدور الناس على عثمان ، فلما وافى ابن أبى سرح مصر وافاه كتاب عثمان بالمصير اليه ، فشخص إلى المدينه ، وخلَّفَ على مصر رجلاً كان هواه مع ابن أبى بكر وابن أبى حذيفه ، فكان ممن شايعهم وشجعهم على المسير إلى عثمان ».

طرد أهل مصر واليهم وبايعوا محمد بن أبى حذيفه !

كان فى مصـر حركه قويه ضد عثمان ، شارك فيها عدد من الصحابه ، منهم عمار بن ياسر ، وأبو ذر الغفارى ، وعمرو بن الحمق الخزاعى ، لكن قائديها المحمدان: محمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفه .

وقد تميز الأخير بحكم صـفاته الشخصـيه ، وأنه من علياء بنى أميه ، فهو حفيد زعيمهم الكبير عتبه بن ربيعه ، الذى قتل فى بدر ، وبيته عنـدهم أشـرف من بيت أبى سـفيان ، فضـلاً عن بيت عثمان وبقيه بنى العاص والعيص. لذلك كانت عين محمد قويه على عثمان وعلى واليه ابن أبى سرح ، فعجزا عن إخضاعه .

وحاول عثمان كسبه ، فأرسل له ثلاثين ألف درهم وهدايا ، فوضعها محمد فى المسجد وقال للمسلمين إن عثمان يرشوه ليسكت عن انحرافه عن الإسلام ، فزادت نقمه المصريين على عثمان .

وفى تاريخ دمشق (٢٩/٢٦): « ثم وفـد (الوالى) على عثمـان بن عفان واسـتخلف على مصـر السائب بن هشام بن عمرو العامرى ، فانتزى (أى قفز) محمد بن أبى حذيفه بن عتبه بن ربيعه بن عبد شمس، فخلع السائب وتأمَّر على مصر

ورجع عبد الله بن سعد من وفادته ، فمنعه ابن أبى حذيفه من دخول الفسطاط ، ومضى إلى عسقلان فأقام بها ».

وفى الغارات للثقفى:١ /٢٠٥: « فطرده منها وصلى بالناس ، فخرج ابن أبى سرح من مصر ونزل على تخوم أرض مصر مما يلى فلسطين ، وانتظر مايكون من أمر عثمان ، فطلع عليه راكب فقال: يا عبد الله ما وراءك ، خبرنا بخبر الناس، فقال: أقعد ، قتل المسلمون عثمان . فقال ابن أبى سرح: إنا لله وإنا إليه راجعون. يا عبد الله ، ثم صنعوا ماذا ؟ قال: بايعوا ابن عم رسول الله على بن أبى طالب (عليه السّلام)

.قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال له الرجل: كأن ولايه على عدلت عندك قتل عثمان ؟قال أجل... وخرج ابن أبى سرح حتى قدم على معاويه بدمشق » .

وفى الإصابه (٦/١٠):« بايع أهل مصر محمد بن أبى حذيفه بالإماره إلا عصابه منهم معاويه بن حديج وبسر بن أرطاه ، فقدم عبد الله بن سعد حتى إذا بلغ القلزم، وجد هناك خيلاً لابن أبى حذيفه ، فمنعوه أن يدخل ، فانصرف إلى عسقلان ، ثم جهز ابن أبى حذيفه الذين ثاروا على عثمان وحاصروه ، إلى أن كان من قتله ما كان » .

وأرسل أهل مصر رساله نصيحه الى الخليفه عثمان

روى عمر بن شبه فى كتابه تاريخ المدينه:٣/١١٢٠: « عن محمد بن إسحاق عن مخلد بن خفاف عن عروه بن الزبير قالا: كتب أهل مصر إلى عثمان: من الملأ المسلمين إلى الخليفه المبتلى ، أما بعد: فالحمد لله الذى أنعم علينا وعليك واتخذ علينا فيما آتاك الحجه ، وإنا نذكرك الله فى مواقع السحاب ، فإن الله قال فى كتابه: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً ـ قُلْ ءاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ . أن تحل ما شئت منه بقولك ، وتحرم ما شئت منه بقولك . ونذكرك الله فى الحدود ، أن تعطلها فى القريب وتقيمها فى البعيد ، فإن سنه الله واحده ، ونذكرك الله فى أقوام أخذ الله ميثاقهم على طاعه ليكونوا شهداء على خلقه، نصحوا لك فاغتششت نصيحتهم ، وأخرجتهم من ديارهم وأموالهم ، وقال الله فى كتابه: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ .

فنذكرك الله وننهاك عن المعصيه ، فإنك تدعى علينا الطاعه ، وكتاب الله ينطق لاطاعه لمن عصى الله ، فإن تعط الله الطاعه نؤازرك ونوقرك ، وإن تأب فقد علمنا أنك تريد هلكتنا وهلكتك ، فمن يمنعنا من الله إن أطعناك وعصيناه ، وأنت العبد الميت المحاسب ، والله الخالق البارئ المصور الذى لا يموت » !

ص: ٥٣

وذهب المصريون فى جيش صغير الى عثمان

فى تاريخ المدينه:۳/۱۱۲۴: « فخرج ست مائه أو أربع مائه ، وجعلوا أمرهم إلى أربعه منهم رؤساء: عبد الرحمن بن عبد قيس بن عباد التجوبى ، وجماع أمرهم إلى محمد بن أبى حذيفه ، ويقال عبد الرحمن بن عديس ، وكان اسمه فى الجاهليه علقمه فتسمى عبد الرحمن ، وكان معهم عروه بن شتيم الليثى ، وأبو رومان الأسدى ، وسودان بن عمران التجوبى.. وفى ذلك يقول الشاعر:

خرجن من أليون بالصعيد

مستحقبات حلق الحديد

يطلبن بحق الله فى الوليد

وفى ابن عفان وفى سعيد

فقدموا فنزلوا بذى خشب فى رمضان ».

وفى تاريخ دمشق:۳۹/۴۲۳: « عن يزيد بن أبى حبيب: قال محمد بن أبى حذيفه: من يشترط فى هذا البعث؟ فكثر عليه من يشترط ، فقال لهم: إنكم إنما تنطلقون إلى شيعه لكم ، إنما يكفينا منكم ست مائه رجل ، فاشترط من أهل مصر ست مائه رجل ، وأمر عليهم محمد بن أبى حذيفه عبد الرحمن بن عديس البلوى فساروا إلى أهل المدينه. وسجن رجالاً من أهل مصر فى دورهم ، منهم بسر بن أبى أرطأه ، ومعاويه بن حديج ».

الحرکه ضد عثمان من غیر المصریین

قال البلاذری فی أنساب الأشراف:۵/۵۴۸: « التقی أهل الأمصار الثلاثه: الکوفه والبصره ومصر ، فی المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام ، وکان رئیس أهل الکوفه کعب بن عبده النهدی، ورئیس أهل البصره المثنی بن مخرمه العبدی

ورئیس أهل مصر کنانه بن بشر بن عتاب بن عوف السکونی ثم التجیبی، فتذاکروا سیره عثمان وتبدیله وترکه الوفاء بما أعطی من نفسه وعاهد الله علیه ، وقالوا لا یسعنا الرضا بهذا ! فاجتمع رأیهم علی أن یرجع کل واحد من هؤلاء الثلاثه إلی مصر فیکون رسول من شهد مکه من أهل الخلاف علی عثمان إلی من کان علی رأیهم من أهل بلده ، وأن یوافوا عثمان فی العام المقبل فی داره ویستعتبوه ، فإن أعتب وإلا رأوا رأیهم فیه ، ففعلوا ذلک ».

وروی ابن کثیر فی النهایه:۷/۱۹۵: « وذکر ابن جریر من هذه الطریق أن الصحابه کتبوا إلی الآفاق من المدینه یأمرون الناس بالقدوم علی عثمان لیقاتلوه ، وهذا کذب علی الصحابه ، وإنما کتبت کتب مزوره علیهم ، کما کتبوا من جهه علی وطلحه والزبیر إلی الخوارج کتباً مزوره علیهم أنکروها وهکذا زُوِّر هذا الکتاب علی عثمان أیضاً ، فإنه لم یأمر به ولم یعلم به أیضاً».

ص: ۵۵

أقول: يـدافع ابن كثير عن عثمان بتكـذيب النصوص بدون دليل ، فمن الواضح أن الصـحابه كانوا بين معارض لعثمان ثائر عليه ، أو ناقم ساكت لم يحرك يده ولا لسانه للدفاع عنه مع أن محاصرته طالت أربعين يوماً وأكثر !

وقد روى المؤرخون كالبلاذرى فى أنساب الأشراف:٥/١٤١، أن الصـحابه تكاتبوا وتشاكوا أمر عثمان: « لما كانت سنه ٣٤ كتب بعض أصـحاب رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) إلى بعض يتشاكون سيره عثمان وتغييره وتبديله ، وما الناس فيه من عماله ، ويكثرون عليه ، ويسأل بعضهم بعضاً أن يقدموا المدينه إن كانوا يريدون الجهاد ، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسـلّم) يـدفع عن عثمان ولا ينكر ما يقال فيه ، إلا زيد بن ثابت ، وأبو أسـيد الساعدى ، وكعب بن مالك بن أبى كعب من بنى سلمه من الأنصار ، وحسان بن ثابت ».

ويكفى أن الصـحابه أفتوا بكفره وتحريم دفنه فى مقابر المسـلمين ، فقد وثق الهيتمى ذلك فى مجمع الزائد:٩/٩٥، قال: «فحملوه على بـاب وإن رأسه تقول على البـاب طَقْ طَقْ ، حتى أتوا البقيع.. ثم أرادوا دفنه فقـام رجـل من بنى مـازن فقال: لئن دفنتموه مع المسلمين لأخبرن الناس غداً ! فحملوه حتى أتوا به حش كوكب » . وهو مقبره اليهود .

محاصره الجيش المصرى لعثمان التى انجرت الى قتله

قال ابن حبان فى الثقات:۲/۲۵۶:«خرج جماعه من أهل مصر إلى عثمان يشكون بن أبى سرح ويتكلمون فيه ، فكتب إليه عثمان كتاباً وهدده فيه ، فأبى ابن أبى السرح أن يقبل من عثمان، وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان متظلماً، وقتل رجلاً من المتظلمه !

فخرج من أهل مصر سبع مائه رجل فيهم أربعه من الرؤساء: عبد الرحمن بن عديس البلوى ، وعمرو بن الحمق الخزاعى ، وكنانه بن بشر بن عتاب الكندى ، وسودان بن حمران المرادى ، فساروا حتى قدموا المدينه ، ونزلوا مسجد رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) وشكوا إلى أصحاب محمد (صلّى الله عليه و آله وسلّم) فى مواقيت الصلاه ما صنع بهم بن أبى سرح ، فقام طلحه بن عبيد الله إلى عثمان بن عفان وكلمه الكلام الشديد . وأرسلت إليه عائشه: قدم عليك أصحاب محمد وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت ذلك بواحده ، وهذا قد قتل منهم رجلاً ، فأنصفهم من عاملك ! وكان عثمان يحب قومه .

ثم دخل عليه على بن أبى طالب فقال: سألوك رجلاً مكان رجل ، وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم ، واقض بينهم ، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه . فقال لهم عثمان: اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه ، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبى بكر ، فقالوا لعثمان: إستعمل علينا محمد بن أبى بكر ، فكتب

عهده وولاه مصر، فخرج محمد بن أبى بكر والياً على مصر بعهده ومعه عده من المهاجرين والأنصار، ينظرون فيما بين أهل مصر وبين بن أبى سرح ، فلما بلغوا مسيره ثلاثه ليال من المدينه ، إذا هم بغلام أسود على بعير له يخبط البعير خبطاً ، كأنه رجل يطلب أو يُطلب . فقالوا له: ما قصتك وما شأنك

كأنك هارب أو طالب؟ قال:أنا غلام أمير المؤمنين وجهنى إلى عامل مصر. قالوا: هذا عامله معنا. قال: ليس هذا أريد ، ومضى فأخبر محمد بن أبى بكر بأمره ، فبعث فى طلبه أقواماً فردوه ، فلما جاؤوا به قال له محمد: غلام من أنت ؟ فأقبل مره يقول أنا غلام أمير المؤمنين ، ومره يقول أنا غلام مروان ، فعرفه رجل منهم أنه لعثمان ، فقال له محمد بن أبى بكر: لمن أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر . قال: بماذا ؟ قال برساله . قال أمعك كتاب: قال:لا . ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً ، وكان معه إداوه قد يبست وفيها شئ يتقلقل، فحركوه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الإداوه ، فإذا فيها كتاب من عثمان إلى بن أبى سرح ! فجمع محمد بن أبى بكر من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم فك الكتاب بحضرتهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد بن أبى بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم ، وأبطل كتابه وقُرَّ على عملك ، واحبس من يجئ إلىَّ يتظلم منك ، حتى يأتيك رأيى فى ذلك إن شاء الله . فلما قرؤوا الكتاب فزعوا وأزمعوا ورجعوا إلى المدينه ، وختم محمد بن أبى بكر الكتاب

بخواتم جماعه من المهاجرين معه ، ودفع الكتاب إلى رجل منهم ، وانصرفوا إلى المدينه فلما قدموها جمع محمد بن أبى بكر علياً وطلحه والزبير وسعداً ، وكان بها من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ، ثم فك الكتاب بحضرتهم عليه خواتم من معه من المهاجرين ، وأخبرهم بقصه الغلام ، فلم يبق أحد من المدينه إلا حنق على عثمان !

وقام أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد إلا هو مغتم ، وكانت هذيل وبنو زهره فى قلوبها ما فيها على عثمان ، لحال بن مسعود ، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر ، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبى ذر فى قلوبهم ما فيها . وأجلب عليه محمد بن أبى بكر من بنى تيم ، وأعانه على ذلك طلحه بن عبيد الله وعائشه .

فلما رأى ذلك علىٌّ وصح عنده الكتاب ، بعث إلى طلحه والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) كلهم بدريون ، ثم جاء معهم حتى دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير ، فقال له: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم . قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم . قال: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، وحلف بالله أنه ما كتب هذا الكتاب ، ولا أمر به . فقال له علىٌّ: فالخاتم خاتمك ؟ قال: نعم . قال علىٌّ: فكيف يخرج غلامك على بعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به ؟ فحلف عثمان بالله ما كتبت هذا

الكتـاب ، ولاـ أمرت به ، ولاـ وجهت هـذا الغلاـم قـط إلى مصـر ، وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان ، فلما شـكوا فى أمر عثمان ، سألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده فى الدار ، وكان خشى عليه القتل .

فخرج من عنده علىٌّ وأصـحاب رسول الله (صـلّى الله عليه و آله وسلّم) وعلموا أن عثمان لا يحلف باطلاً ، ثم قالوا:لا نسكت إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحث ونتعرف منه ذلك الكتاب ، وكيف يأمر بقتل رجل من أصـحاب رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) بغير حق؟ فـإن يـك عثمـان كتب ذلـك عزلنـاه ، وإن يـك مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون فى أمر مروان. ولزموا بيوتهم وفشا الخبر فى المسلمين من أمر الكتاب ، وقعد أصحاب رسول الله عن عثمان .

وخرج من الكوفه عـدى بن حـاتم الطـائى ، والأـشتر مالـك بن الحارث النخعى ، فى مائتى رجل ، وخرج من البصـره حكيم بن جبله العبـدى فى مائه رجل، حتى قـدموا المـدينه يريـدون خلع عثمان . وحوصـر عثمان قبل هلال ذى القعـده بليله ، وضـيق عليه المصـريون والبصـريون وأهل الكوفه ، بكل حيله ، ولم يـدعوه يخرج ولا يـدخل إليه أحد ، إلا أن يأتيه المؤذن فيقول الصـلاه ، وقـد منعوا المؤذن أن يقول يـا أمير المؤمنين ، فكـان إذا جـاء وقت الصـلاه بعث أبـا هريره يصـلى بالنـاس ، وربما أمر ابن عباس بذلك ، فصعد يوماً عثمان على السطح ، فسمع بعض الناس يقول: إبتغوا إلى قتله سبيلاً.

فقال:والله ما أحل الله ولارسوله قتلى . ثم أشرف عليهم فقال: أفيكم عليٌّ؟ قالوا: لا. قال: أفيكم سعد ؟ قالوا: لا. فقال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رومه (بئر) لم يكن يشرب منها أحد إلا بشئ فابتعتها من مالى وجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل؟ فقالوا: نعم. قال فاسقونى منها . ثم قال: ألا أحد يبلغ علياً فيسقينا ماء ، فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءه ، فما كادت تصل إليه حتى جرح فى سببها عده من بنى هاشم وبنى أميه حتى وصل الماء إليه ...».

وفى تاريخ المدينه:۴/۱۱۵۲، عن ابن أبى ليلى قال: « قدم أهل مصر على عثمان وقد نقموا عليه أشياء ، فأعتبهم فرجعوا راضين ، فلحقهم غلام لعثمان فى الطريق معه كتاب إلى ابن أبى سرح يأمره فيه بقتلهم! فأخذوه ثم رجعوا إلى المدينه. وبلغ أهل مصر فأخرجوا ابن أبى سرح من مصر فألحقوه بفلسطين ، وبلغ أهل الكوفه رجوع أهل مصر الثانيه ، فخرج الأشتر فى مائتين من أهل الكوفه ، وبلغ أهل البصره ، فخرج حكيم ابن جبله فى مائه ، فتوافوا بالمدينه فحصروا عثمان ».

وفى تاريخ دمشق:۳۹/۴۲۳، عن أبى ثور الفهمى قال: « قدمت على عثمان فبينا أنا عنده فخرجت ، فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا ، فدخلت على عثمان فأخبرته فقال: كيف رأيتهم؟ قلت: رأيت فى وجوههم الشر ، عليهم ابن

عدیس البلوی ، فصعد ابن عدیس منبر رسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) فصلی بهم الجمعه وتنقَّصَ عثمان فی خطبته ».

«وکان علیهم عبد الرحمن بن عدیس البلوی ، وکان ممن بایع رسول (صلّی الله علیه و آله وسلّم) تحت الشجره » . (تاریخ المدینه:۴/۱۱۵۵).

وروی المفید فی کتاب الجمل/۶۸، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهری ، قال: «لما قدم أهل مصر فی ست مائه راکب ، علیهم عبد الرحمن بن عدیس البکری ، فنزلوا ذا خشب ، وفیهم کنانه بن بشیر الکنانی ، وأبو عمر بن بدیل بن ورقاء الخزاعی ، وأبو عروه اللیثی ، واجتمع معهم حکیم بن جبله العبدی ، فی طائفه من أهل البصره ، وکمیل بن زیاد ومالک الأشتر وصعصعه بن صوحان ، وحجر بن عدی ، فی جماعه من قراء الکوفه ، الذین کانوا سیرهم عثمان منها إلی الشام ، حین شکوا أحداثه التی أنکرها علیه المهاجرون والأنصار ، فاجتمع القوم علی عیب عثمان ، وجهروا بذکر إحداثه ، فمر بهم عمر بن عبد الله الأصم وزیاد بن النظر ، فقالا: إن شئتم بلغنا عنکم أزواج النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) فإن أمرنکم أن تقدموا فاقدموا فقالوا لهما: إفعلا ، واقصدوا علیاً آخر الناس ، فانطلق الرجلان فبدءا بعائشه وأزواج النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) بعدها ، ثم أنبآ أصحابه (صلّی الله علیه و آله وسلّم) فأخبروهم الخبر ، فأمروهم أن یقدموا المدینه وصاروا إلی أمیر المؤمنین فأخبراه ، واستأذناه للقوم فی دخول

المدينه، فقال لهما: أتيتما أحداً قبلى؟قالا- نعم أتينا عائشه وأزواج النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) بعدها وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، فأمروا أن يقدموا فقال على لكنى لا آمرهم إلا أن يستغيثوا بمن قرب ، فإن أغاثهم فهو خير لهم وإن أبى فهم أعلم ، فخرج الرجلان إليهم جميعاً ، وتسرع إليهم جماعه من المدينه واجتمعوا مع أهل حسب وذو مروات ، فلما بلغ عثمان اجتماعهم أرسل إلى على (عليه السّلام) وقال: أخرج يا أبا الحسن إلى هؤلاء القوم وردهم عما جاؤوا إليه . فخرج إليهم فلما رأوه رحبوا به وقالوا له: قد علمت يا أبا الحسن ما أحدثه هذا الرجل من الأعمال الخبيثه ، وما يلقاه المسلمون منه ومن عماله ، وكنا لقيناه واستعتبناه فلم يعتبنا ، وكلمناه فلم يصغ إلى كلامنا وأغراه ذلك بنا ، وقد جئنا نطالبه بالإعتزال عن إمره المسلمين . واستأذنا فى ذلك الأنصار والمهاجرين وأزواج النبى أمهات المؤمنين ، فأذنوا لنا فى ورود المدينه ونحن على ذلك . فقال لهم أمير المؤمنين يا هؤلاء تريثوا لا تسرعوا إلى شئ لا تعرف عاقبته فإنا كنا قد عتبنا على هذا فى شئ وإنه قد رجع عنه فارجعوا ، فقالوا هيهات يا أبا الحسن لا- نقنع منه إلا- بالإعتزال عن هذا الأمر ليقدم به من يوثق بإمامته . فرجع أمير المؤمنين إلى عثمان وأخبره بمقالتهم ، فخرج عثمان حتى أتى المنبر فخطب الناس وجعل يتكلم ويدعو إلى نصرته ودفاع القوم عنه، فقام إليه عمرو بن العاص فقال:

يـا عثمـان إنك قـد ركبت بالتهمه وقـد ركبوها منك فتب إلى الله . فقال له عثمان: وإنك لهاهنا يا ابن النابغه ! ثم رفع يـده إلى السـماء وقال: أتوب إلى الله اللهم إنى أتوب إليك ; فأنفذ أمير المؤمنين (عليه السّـلام) إلى القوم بما جرى من عثمان ، وما صار إليه من التوبه والإقلاع .

فسـاروا إلى المـدينه بـأجمعهم ، وسـار إليهم عمرو بن معـدى كرب فى ناس كثيرين ، فجعل يحرض على عثمان ، ويـذكر إثرته فقال:

أما هلكنا ولا يبكى لنا أحد

قالت قريش ألا تلك المقادير

والحر فى الصيف قد تدمى جوارحه

نعطى السويه مما أخلص الكير

نعطى السويه يوم الضرب قد علموا

ولا سويه إذ كانت دنانير

وانضم إليهم من المهـاجرين طلحه والزبير ، وجمهور الأنصار على ذلك ، فخرج إليهم أمير المؤمنين (عليه السّـلام) فقال لهم: يا هؤلاء إتقوا الله، مـا لكم وللرجـل أما رجع عما أنكرتموه ، أما تاب على المنبر توبه جهر بها ! ولم يزل (عليه السّـلام) يلطف بهم حتى سكنت فورتهم .

ثم سـأله أهـل مصـر أن يلقـاه فى عزل عبـد الله بن سـعيد بن أبى سـرح عنهم ، واقترح أهل الكوفه عزل سـعيد بن العاص عنهم ، وسأل أهل النهروان أن يصرف ابن كريز عنهم ، ويعدل عما كان عليه من منكر الأفعال .

فدخل عليه أمير المؤمنين (عليه السّلام) ولم يزل ، حتى أعطاه ما أراد القوم من ذلك وبذل لهم العهود والأيمان .

فخرج أمير المؤمنين إلى القوم بما ضمنه له عثمان ولم يزل بهم حتى تفرقوا . فلما سار أهل مصر ببعض الطريق نظروا ،وإذا براكب على الطريق، مسرع ، فلما دنا تأملوه فإذا هو غلام عثمان على ناقه من نوقه ، فاسترابوا به فقالوا له: أين تذهب؟ فقال: بعثنى عثمان فى حاجه له . قالوا: إلى أين بعثك؟فأُرْتِجَ عليه وتلعثم فى كلامه ، فنهروه وزبروه فقال: أنفذنى إلى مصر. فقالوا: فيمَ أنفذك ؟ قال: لا علم لى . فزاد استرابهم فيه ، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً ، فأخذوا أدواته ففتشوها وإذا فيها كتاب من عثمان إلى عبد الله بن أبى سرح ، وهو: إذا أتاك كتابى هذا فاضرب عنق عمرو بن بديل وعبد الرحمن البكرى ، واقطع أيدى وأرجل علقمه وكنانه وعروه ، ثم دعهم يتشحطون فى دمائهم ، فإذا ماتوا فأوقفهم على جذوع النخل !

فلما رأوا ذلك قبضوا على الغلام وعادوا إلى المدينه ، فاستأذنوا على على بن أبى طالب ودفعوا إليه الكتاب ففزع (عليه السّلام) لذلك ، فدخل على عثمان فقال: إنك وسطتنى أمراً بذلت الجهد فيه لك وفى نصيحتك ، واستوهبت لك من القوم . فقال عثمان: فماذا ؟ فأخرج إليه الكتاب ففضه وقرأه فأنكره ، فقال له علىٌّ: أتعرف الخط ؟ قال: الخط يتشابه . قال: أتعرف الختم؟ قال: الختم ينقش عليه . قال: فهذا البعير الذى على باب داركَ تعرفه؟ قال: هو بعيرى ولم آمر أحداً ولا يركبونه . قال: فغلامك من أنفذه؟ قال: أنفذ بغير أمرى.

فقاله له أميرالمؤمنين (عليه السّلام) : أما أنا فمعتزلك وشأنك وأصحابك ، وخرج من عنده ودخل داره وأغلق عليه بابه ، ولم يأذن لأحد من القوم فى الوصول إليه . وخرج إليهم طلحه والزبير وقالا لهم: قد اعتزل على بن أبى طالب وانتدبنا معكم على هذا الرجل فاجتمع القوم على حصره.فلما علم أن القوم قد حصروه وحقق العزيمه على خلعه ،كتب إلى معاويه يستدعيه بجنود الشام ، وكتب إلى عبد الله بن عامر يستدعيه بجنود البصره وفارس ، لينتصر بهم ويدفعهم عن نفسه .

وعرف أهل مصر وأهل العراق والحجاز إنه قد استفز عليهم أهل الشام ، وشيعته من أهل البصره وفارس وخوزستان ، فجدوا فى حصاره ، وتولى ذلك منه طلحه والزبير ومنعاه الماء وضيقا عليه ! وكان طلحه على حرس الدار ، يمنع كل أحد يدخل إليه شيئاً من الطعام والشراب ، ويمنع من فى الدار أن يخرج عنها إلى غيرها .

فصلٌ: فهل يخفى على عاقل براءه أمير المؤمنين (عليه السّلام) مما قرفوه به ناكثوا عهده من التأليب على عثمان والسعى فى دمه ، مع ما رويناه من الحديث عمن سميناه ، أم هل يرتاب عاقل فيما فعله طلحه والزبير ، فيما توليا من حصر عثمان ، حتى آل ذلك إلى قتله ، وهما من بعده يقرفان علياً (عليه السّلام) بما توليا ،

ويدعيان لأنفسهما البراءه بما صنعاه ، ويجعلان شبهتهما فى استحلال قتاله دعوى الباطل المعروف بهتاناً ممن ادعاه .

وهـذا يكشف أن الأمر فيما ادعياه وأظهراه من الطلب بـدم عثمان كان بخلافه على ما بيناه مما جاءت به الأخبار فيما تولاه طلحه والزبير فى عثمـان ، مـا رواه أبو إسـحاق جبله بن زفر قـال: رأيت طلحه والزبير يرفلاـن فى أدراعهما فى عثمان ، ثم جاءا من بعد إلى على فبايعاه طايعين غير مكرهين ، ثم صنعا ما صنعا .

وروى أبو حـذيفه القرشـى عن الحصـين بن عبـد الرحمان عن عمرو بن جاران عن الأحنف بن قيس قال: قدمت المدينه ، وساق حـديثاً طويلاًـ من أمر عثمـان ، إلى أن قـال: لما لقيت الفتنه والناس قـد اجتمعوا على حصـر عثمان وهو على خطر ، فأتيت طلحه والزبير فقلت لهما: ما أرى هذا الرجل إلا مقتولاً ، فمن تأمرانى أن أبايع وترضونه لى ؟

فقالا: علياً . فخرجت حتى أتيت مكه وبها عائشه ، فـدخلت عليها فقلت: إنى لأحسب هـذا الرجل مقتولاً ، فمن تأمرينى أن أبايع؟ فقالت: بايع علياً . فقضـيت حجتى ثم مررت بالمـدينه وقـد قتل عثمان ، فبايعت علياً ، ثم عـدت إلى البصـره ، فإذا عائشه وطلحه والزبير قد جاؤونا يطلبون بدم عثمان ويأمروننا بقتال على بن أبى طالب ، فطال تعجبى من ذلك » !

وفی نهج البلاغه:۲/۲۳۳: « ومن کلام له (علیه السّلام) قاله لعبد الله بن عباس وقد جاءه برساله من عثمان وهو محصور ، یسأله فیها الخروج إلی ماله بینبع ، لیقلَّ هتف الناس باسمه للخلافه:

یا ابن عباس ما یرید عثمان إلا أن یجعلنی جملاً ناضحاً بالغرب أقبل وأدبرا! بعث إلیَّ أن أخرج ، ثم بعث إلیَّ أن أقدم ، ثم هو الآن یبعث إلیَّ أن أخرج . والله لقد دفعت عنه حتی خشیت أن أکون آثماً ».

وذهب علی (علیه السّلام) الی ینبع ، فاشتد الحصار علی عثمان فکتب الیه کما فی مجمع الأمثال للمیدانی (۱/۱۱۴): « أما بعد فإن السیل قد بلغ الزبی ، وجاوز الحزام الطبیین ، وتجاوز الأمر بی قدره ، وطمع فیَّ من لا یدفع عن نفسه ، ورأیت القوم لا یقصرون دون دمی:

فإن کنتُ مأکولاً فکن أنتَ آکلی

وإلا فأدرکنی ولمَّا أُمَزَّقِ».

تظاهره المهاجرین والأنصار یهتفون باسم علی (علیه السّلام)

وجاء علی فوجد عثمان قد قتل:«وجاء الناس کلهم یهرعون إلی علٍّی (علیه السّلام) حتی دخلوا علیه داره فقالوا له: نبایعک فمُدَّ یدک فلا بد من أمیر . فقال علی: لیس ذلک إلیکم ، إنما ذلک لأهل بدر ، فمن رضی به أهل بدر فهو خلیفه ، فلم یبق أحد من أهل بدر إلا أتی علیاً فقالوا: ما نری أحداً أحق

بها منک ، مد یدک نبایعک فقال: أین طلحه والزبیر؟ فکان أول من بایعه طلحه بلسانه وسعد بیده ، فلما رأی ذلک علی خرج إلی المسجد فصعد المنبر فکان أول من صعد إلیه طلحه فبایعه بیده ، ثم بایعه الزبیر وسعد وأصحاب النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) ، ثم نزل فدعا

الناس ، وطلب مروان فهرب منه وطلب نفراً من ولد مروان وبنی أبی معیط ، فهربوا منه .

وخرجت عائشه (فی مکه) باکیه تقول: قتل عثمان ، وجاء علی إلی امرأه عثمان فقال لها: من قتل عثمان ؟ قالت: لا أدری ، دخل علیه رجلان لا أعرفهما إلا أن أری وجوههما ، وکان معهما محمد بن أبی بکر . وأخبرت علیاً والناس ما صنع محمد ، فدعا علی محمداً فسأله عما ذکرت امرأه عثمان فقال: محمد لم تکذب ، قد والله دخلت علیه وأنا أرید قتله فذکر لی أبی فقمت عنه

وأنا تائب إلی الله تعالی ، والله ما قتلته ، ولا أمسکته . فقالت: امرأته صدق ، ولکنه أدخلهما ». (تاریخ دمشق:۳۹/۴۱۹، وأسد الغابه:۴/۳۲، وتاریخ الذهبی:۳/۴۶۰).

وقد وصف علی (علیه السّلام) بیعه الناس له ، کما فی نهج البلاغه:۱/۳۷، فقال: (فیا لله وللشوری ، متی اعترض الریب فی مع الأول منهم حتی صرت أقرن إلی هذه النظائر . لکنی أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا ! فصغی رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هنٍ وهن . إلی أن قام ثالث القوم ، نافجاً حضنیه بین

نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبته الربيع ! إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته !

فما راعنى إلا والناس كعرف الضبع إلىَّ ، ينثالون على من كل جانب حتى لقد شُق عطفاى ، مجتمعين حولى كربيضه الغنم .

فلما نهضت بالأمر نكثت طائفه ، ومرقت أخرى وقسط آخرون .

كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَهُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ . بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حليت الدنيا فى أعينهم ، وراقهم زبرجها. أما والذى فلق الحبه وبرأ النسمه ، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجه بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظه ظالم ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عفطه عنز)!

الفصل الثالث: مصر فی عهد أمیرالمؤمنین علی (علیه السّلام)

اهتمام علی (علیه السّلام) بمصر

تناسبَ اهتمامُ أمیر المؤمنین علی (علیه السّلام) بمصر مع رأیه الإیجابی فیها ، وقد تقدم حدیثه (علیه السّلام) فی تفضیل مصر وأهلها علی الشام .

فقد ولّی علیها قیس بن سعد بن عباده زعیم الأنصار ، فبایعه أهلها لعلی ، إلا شرذمه کانت متعصبه لعثمان وبنی أمیه ، فأمره الإمام (علیه السّلام) أن یُلزمهم بالطاعه أویقاتلهم ، فلم یفعل قیس وتهاون معهم ، حتی أمدهم معاویه فتکاثروا وقووا، فعزل الإمام قیساً ، وولی مکانه محمد بن أبی بکر ، ولعله بطلب المصریین ، وکان أهل مصر یحبونه .

وکتب الإمام (علیه السّلام) عده رسائل الی عامله محمد وأهل مصر، کما کتب رسائل لمحمد فی سیاسته المالیه والإجتماعیه .

ص: ۷۱

وكتب لأهل مصر رساله مع مالك الأشتر لما بعثه والياً ، وكتب له عهداً مفصلاً، وهو برنامج عمل شامل لكل حاكم ، فى سلوكه الشخصى، وعمله السياسى ، والإدارى .

مصر عند مقتل عثمان وخلافه على (عليه السّلام)

فى الإصابه (۶/۱۰): (فلما علم بذلك (بمقتل عثمان) من امتنع من مبايعه بن أبى حذيفه، اجتمعوا وتبايعوا على الطب بدمه، فسار بهم معاويه بن حديج إلى الصعيد، فأرسل إليهم بن أبى حذيفه جيشاً آخر فالتقوا، فقتل قائد الجيش .

ثم كان من مسير معاويه بن أبى سفيان إلى مصر ، لما أراد المسير إلى صفين ، فرأى ألا يترك أهل مصر مع ابن أبى حذيفه خلفه ، فسار إليهم فى عسكر كثيف ، فخرج إليهم بن أبى حذيفه فى أهل مصر فمنعوه من دخول الفسطاط ، فأرسل إليهم إنا لا نريد قتال أحد وإنما نطلب قتله عثمان ، فدار الكلام بينهم فى الموادعه .

واستخلف بن أبى حذيفه على مصر الحكم بن الصلت بن مخرمه بن المطلب بن عبد مناف ، وخرج مع جماعه منهم عبد الرحمن بن عديس وكنانه بن بشر وأبو شمر بن أبرهه بن الصباح ، فلما بلغوا به غدر بهم عسكر معاويه ، وسجنوهم إلى أن قتلوا بعد ذلك .

وذكر أبو أحمد الحاكم ، أن محمد بن أبى حذيفه لما ضبط مصر وأراد معاويه الخروج إلى صفين بدأ بمصر أولاً، فقاتله محمد بن أبى حذيفه بالعريش إلى أن تصالحا ، وطلب منه معاويه ناساً يكونون تحت يده رهناً ليأمن جانبهم إذا خرج إلى صفين ، فأخرج محمد رهناً عدتهم ثلاثون نفساً فأحيط بهم وهو فيهم فسجنوا ، وقال أبو أحمد الحاكم: خدع معاويه محمد بن أبى حذيفه حتى خرج إلى العريش فى ثلاثين نفساً ، فحاصره ونصب عليه المنجنيق حتى نزل على صلح ، فحبس ثم قتل... فسجن ابن أبى حذيفه ومن معه فى سجن دمشق ، وسجن بن عديس والباقين فى سجن بعلبك ».

أقول: حكم محمد بن أبى حذيفه مصر شهوراً قبل مقتل عثمان ، وفى أول خلافه على (عليه السّلام) حتى جاء والى مصر قيس بن عباده .

ثم انقطعت أخبار محمد ، فلم يرد له ذكر مع قيس ، والمرجح أنه خرج من مصر ليلتحق بعلى (عليه السّلام) فنصب له معاويه كميناً وقبض عليه وحبسه فى الشام حتى لاينصر علياً (عليه السّلام) ، وروى أن زوجه معاويه كانت ترسل له طعاماً الى السجن ، ثم تمكن من الفرار من السجن ، فأرسل معاويه من قبض عليه وقتله رضى الله عنه .

وقد وردت أخبار متضاربه فى شهاده محمد رضى الله عنه ، منها ما رأيت من أن معاويه غزا مصر بجيش مع عمرو العاص ، فخرج اليه محمد ومنعه

من دخولها ، فاتفق معه أن يخرج منها جماعه شاركوا فى قتل عثمان ، أو يخشى منهم معاويه على الشام ، فقبل محمد بذلك ، وكان هو فى الرهن! فحبسه معاويه فى الشام وحبس الباقين فى بعلبك . لكن ابن أبى حذيفه لم يكن بهذه السذاجه وهذا الضعف الذى زعموه ، فالأرجح أنه كان مسافراً مع عده من أصحابه ليلتحقوا بعلى (عليه السّلام) فكمن لهم معاويه وأسرهم .

قال فى تاريخ دمشق:۵۰/۲۵۸: « قال فحدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن لهيعه الحضرمى عن يزيد بن أبى حبيب قال ثم تواقع معاويه بن حديج وجيش بعثهم إليه محمد بن أبى حذيفه ، عليهم قيس بن حرمل اللخمى ، ويقول آخرون كان عليهم يومئذ رجل من بلى يقال له ابن الحثما ، فاقتتلوا بخربتا فى أول يوم من شهر رمضان سنه ست وثلاثين ، فقتل قيس بن الحرمل وابن الحثما وأصحابهما ، وخرج أصحاب ابن حديج وابن حديج حتى صرع فى القتلى ، فجنح عليه ابن أخيه عبيد الله بن عبد الله بن حديج ، فأكب عليه يقول لحمى يحمى لحمك ، وتناول الرايه قيس بن سفيان الأزدى فقال: أنا معاويه بن حديج . وكان على مجنبه معاويه يومئذ خيار بن مرثد الأبدوى ، ودرع بن الحارث الخولانى ، وكان عده من مع معاويه بن حديج يومئذ ممن تابعه فى...قيس بن حبشى ألف ومائه سوى أهل خربتا من بنى مدلج كانوا معه لما غشيهم معاويه بن حديج حين خرج إليهم من

ناحيه الصعيد ، فقال: إن كنتم تريدون نصره بنى مدلج فألصقوا برحالهم عند حلولكم بهم ففعلوا ذلك ، فقالت بنو مدلج: تزحزحوا عنا فإن أيدينا مع أيديكم ، فأبوا عليهم ثم إنهم ساروا إلى أنطابلس . قال: وقدم معاويه بن أبى سفيان فى سنه ست وثلاثين ، فنزل عين شمس وكان على مجنبه محمد بن أبى حذيفه أبوعريب البلوى ، وعلى اليسرى عزيز بن فارع الأصبحى ، فمنعوا معاويه وأصحابه أن يدخلوا الفسطاط ، فلما رأى معاويه أنه لا يستطيع الدخول كتب إلى محمد بن أبى حذيفه إنا لا نريد قتال أحد من المسلمين ، إنما جئنا نسأل القود بعثمان ، إدفعوا إلينا قاتله ابن عديس وكنانه بن بشر وهما رأس القوم ، وأمر معاويه عمراً أن يكتب إلى ابن أبى حذيفه بمثل ذلك فكتب عمرو . فكتب محمد بن أبى حذيفه: إنى لم أكن لأقيد بعثمان جدياً أرطب السره ، وأمر بصحيفه أخرى فطويت ليس فى جوفها شئ وكتب عنوانها: من محمد بن أبى حذيفه إلى عمرو بن العاص ، فلما فضها عمرو بن العاص لم ير فيها شيئاً ، فقال له معاويه: ما كتب إليك ابن أبى حذيفه ؟ قال: زعم أنى لست شيئاً ، سيعلم أينا يدحض فى بول أمه ! فقال معاويه لابن أبى حذيفه: إجعلوا بيننا وبينكم رهناً منا ومنكم ، لا يكون بيننا وبينكم حرب حتى يستخلف الله ويجمع الأمه على من يشاء ، فقال ابن أبى حذيفه: فإنى أرضى بذلك على أنى أستخلف على جدنى وانطلق

مع الرهن وكان ذلك منه جبناً. فقال معاويه عند ذلك واغتنم قول ابن أبى حذيفه فمن تستخلف؟ قال: أستخلف أميه بن شييم . قال معاويه: كلا. قال: فإذ كرهت فإنى أستخلف الحكم بن الصلت. فقال معاويه: نعم ، فانطلق ابن أبى حذيفه مع معاويه حتى دخل بهم الشام ففرقهم نصفين ، فسجن ابن أبى حذيفه ومن معه فى سجن دمشق وسجن ابن عديس والنصف الثانى فى سجن بعلبك .

قال: فبينا معاويه فى مسيره ذلك جاءه بريد فأخبره أن قيس بن عدى اللخمى ثم الراشدى صاحب مصر ، قد أغار على خيل حتى بلغ فلسطين، ثم جاءه آخر فأخبره أن محمد بن أبى حذيفه قد خرج من السجن ، ثم جاءه آخر فأخبره أن ابن عديس وأصحابه قد خرجوا من السجن ، فكان رأس القوم بعد ابن أبى حذيفه عبد الرحمن بن عديس وكنانه بن بشر.

ثم جاءه بريد آخر فأخبره أن ابن هرقل قد نزل الدرب ، ثم جاءه بريد آخر فأخبره أن على بن أبى طالب قد شارق !

جاءته خمسه برد فى ليله واحده ، فأرسل معاويه إلى عمرو بن العاص ما ترى فى خمسه أمور شتى فى ليله واحده ما منها أمر إلا يهدُّ المرئَّ ذا القوى . فقال: وما هن فأخبره الخبر ، فقال: أما قيس بن عدى فإنما هو سارق ولن يضر أحداً ، وأما ابن عديس وأصحابه فإنهم قد خرجوا من سجن الناس

إلى سجن الله ، فابعث إلى سفيان الأزدى صاحب بعلبك فيبعث لمن خرج منهم من سجن بعلبك الرصد ، فإنهم لن يعجزوا الله . وابعث إلى أبى راشد صاحب فلسطين يبعث بمن عرج منهم إلى أرضه ، فبعث أبو راشد عمرو بن عبد الله الخثعمى فى طلب الرهن .

قال: فخرجت نبطيه من أنباط فلسطين تطلب حماراً ، فاتبعت الحمار حتى وصل إلى غار فرأت محمد بن أبى حذيفه وأصحابه فى الغار ، وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار ، فدلت النبطيه عليهم عمرو بن العاص فزعم من زعم أن ابن أبى حذيفه وكنانه بن بشر، عرض عليهما أن يستبقيا فكرها ذلك ، فقتلوا » .

أقول: لايمكن قبول مثل هذه الروايه ، لتهافتها ، فهى تفرض أن محمد بن أبى حذيفه انتصر على معاويه وابن العاص ، ومنعهما من دخول مصر ، ثم تقول إنه قبل أن يكون رهناً فى أيديهما !

وتفرض أن غزو معاويه كان سنه ست وثلاثين قبل صفين ، وأن كنانه بن بشر كان مع الرهن ، مع أنه كان فى سنه ٣٨ قائد جيش محمد بن أبى بكر ، الذى قاوم غزو معاويه لمصر .

فالمرجح أن محمد بن أبی حذیفه (رحمه الله) خرج من مصر لیلتحق بعلی (علیه السّلام) فنصب له معاویه کمیناً وقبض علیه وحبسه ، ثم تمکن من الفرار من السجن ، فأرسل معاویه من قتله .

والمؤکد فی هذه الفتره أن محمد بن أبی حذیفه رضی الله عنه ، حمی مصر من معاویه ، وخاض معرکه مع جماعته فی خربتا، ومنعه من دخول مصر ، لکن قیس بن سعد غفر الله له قبل منهم أن لایبایعوا علیاً (علیه السّلام) بل أعطاهم امتیازات فقووا ، وساعدهم معاویه فقادوا انقلاباً فی مصر بعد معرکه صفین وقتلوا والیها محمد بن أبی بکر رضی الله عنه ، قتلهً وحشیه ، وسیطروا علی مصر ! (راجع: الأنساب للسمعانی:۱/۳۹۶، والوافی للصفدی:۲/۲۴۴، وتاریخ دمشق: ۲۱/۳۵۸، و: ۳۵/۱۱۱، و:۵۰/۲۵۸).

الخطأ الذریع الذی وقع فیه قیس بن سعد !

عندما تولی أمیر المؤمنین (علیه السّلام) الخلافه کانت مصر بید محمد بن أبی حذیفه ، فقد طرد أهلها والیهم ابن أبی شرح وبایعوا محمداً .

وکان باستطاعه أمیر المؤمنین (علیه السّلام) أن یقره والیاً علیها ، وکان محمد شیعیاً متحمساً لعلی (علیه السّلام) ، معادیاً لعثمان ومعاویه ومن معهما من عشیرته بنی أمیه ، وکان عامه بنی أمیه مع عثمان ومعاویه ، عدا محمد هذا ، وعدا قسم من أولاد سعید بن العاص ، أبی أحیحه .

لكن أن أمير المؤمنين (عليه السّلام) لم يعين محمد بن أبى حذيفه والياً ، وعيَّن قيس بن سعد بن عباده ، فما هو السبب ؟

الذى أرجحه أن الأنصار ، الذين لاقوا إجحافاً فى زمن أبى بكر وعمر وعثمان ، طالبوا الإمام بحكم مصر فعيَّن رئيسهم والياً عليها.

وقد يكون الإمام (عليه السّلام) استدعى ابن أبى حذيفه الى المدينه ، أو جاء هو من نفسه ، فوقع فى قبضه معاويه ، فكان أول خساره لأمير المؤمنين (عليه السّلام) ، لأنه مؤمن جريئ ، قوى العين على ابن عمته معاويه ، يستصغره ولا يحترمه .

وذهب قيس الى مصر فبايعه أهلها ، ما عدا بقايا النظام الذين كانوا فى قريه « خربتا» فى الصعيد ، وكان يرأسهم شخصان من أخبث الناس وأسفكهم للدماء: معاويه بن حديج السكونى ، وبسر بن أبى أرطاه ، وكان محمد بن أبى حذيفه (رحمه الله) حبسهما فى بيتيهما ، ومنعهما من الخروج ، حتى لايفسدا مصر، (تاريخ دمشق:۳۹/۴۲۳) فأطلقهما قيس ، فاتخذا قريه خَرَبْتَا قاعده لهما !

وقد اشترطا على قيس للبيعه أن يعلن على (عليه السّلام) الطلب بدم عثمان ، أى يقاتل الجيش الذى حاصر عثمان ، ومن ساعدهم من البصريين والكوفيين ، ومن حماهم من قبائل العرب وأهل الأمصار!

ومعناه أن يتصرف كأنه رئيس قبيله بنى أميه ، ويكون برنامج حكومته فتح الحرب على العرب ثأراً لعثمان !

قال الطبرى:٣/٤٦٢:«فافترق أهل مصر فرقاً: فرقه دخلت فى الجماعه وكانوا معه ، وفرقه وقفت واعتزلت إلى خربتا وقالوا إن قتل قتله عثمان فنحن معكم ، وإلا فنحن على جديلتنا حتى نُحرك أو نُصيب حاجتنا. وفرقه قالوا نحن مع على ما لم يُقِدْ إخواننا . وهم فى ذلك مع الجماعه ». انتهى.

أى ما لم يقتص من المشاركين فى محاصره عثمان .

وعندما رفض قيس بن سعد شروط أهل خربتا ، طلبوا منه أن يعفيهم من البيعه ، فأجابهم ، وصالحهم على ذلك .

وتصور قيس أنه حقق بذلك نصراً وكف عنه عدواً ، بينما كان عمله اعترافاً بوجود الخط الأموى فى مصر، فقواهم بذلك وحولوا القريه الى معسكر يجمعون فيه الجنود ، لينقضُّوا على مصر فى أول فرصه ! ولهذا فرح معاويه ، واعتبر أنه حقق أكبر نصر على قيس !

قال الطبرى:٣/٥٥٣: « كان معاويه يحدث رجالاً من ذوى الرأى من قريش يقول: ما ابتدعت مكايده قط كانت أعجب عندى من مكايده كدت بها قيساً من قبل على وهو بالعراق حين امتنع منى قيس . قلت لأهل الشام: لاتسبوا قيس بن سعد ، ولا تدعوا إلى غزوه ، فإنه لنا شيعه يأتينا كيس نصيحته سراً ، ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل خربتا ،

يُجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ، ويؤمِّن سِرْبهم ، ويحسن إلى كل راكب قدم عليه منكم ، لايستنكرونه فى شئ » !

وهكذا تبنى قيس بسذاجته الأنصاريه ، رعايه قاعده عسكريه مواليه لمعاويه يتجمع فيها المعادون له ولعلى (عليه السّلام) فى مصر ، وقاعده دعايه أمويه .

وقد حاول أمير المؤمنين (عليه السّلام) أن يفهِّم قيساً خطوره ما أقدم عليه ، لكن بساطه قيس وعدم وعيه لعصمه الإمام (عليه السّلام) ، منعاه من فهم الأمر ، فأصرَّ على موقفه ، بل خَطَّأ أمير المؤمنين (عليه السّلام) .

واستغل معاويه الوضع وأخذ يرسل الى قاعدته أموالاً وقاده ومبلغين ليكسبوا له مؤيدين مصريين ، حتى صاروا مئاتٍ وآلافاً!

وكان أسوأ من أرسلهم معاويه: مسلمه بن مخلده الأنصارى ، وهو ثانى اثنين من الأنصار كانا مع معاويه ، ولم يكن معه غيرهما .

ومسلمه هذا وزميله النعمان بن بشير ، من صبيان الأنصار من عوائل عاديه جداً ، وُلدا بعد هجره النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ، وكانا من خدم عثمان ومروان ، وتربيا على حب بنى أميه وبغض على (عليه السّلام) والعتره النبويه !

ولما وصل مسلمه الى مصر أعلن شعار الطلب بدم عثمان ، فغضب قيس ، فطمأنه مسلمه بأنك ما دمت أنت والياً ، فلا أثور عليك !

ففرح قيس بحيله مسلمه ، ورفض تطبيق أمر على (عليه السّلام) أن يجتث بؤره الفساد ، بل ذهب قيس بعيداً فقال: إن سلطاناً لايتم إلا بقتل مسلمه بن مخلد لسلطان سوء ، والله ما أحب أن لى سلطان الشام مع سلطان مصروإنى قتلت ابن مخلد ! كل ذلك لأن ابن مخلد أنصارى نسباً !

لكن دارت الأيام وأدرك قيس خطأه فى ترك ابن حديج ومسلمه ، فقد كان قيس قائداً مع على (عليه السّلام) فى صفين والتقى بين المعسكرين مع النعمان بن بشير وكان قائداً مع معاويه ، فقال له قيس، كما فى فتوح ابن الأعثم(٣/١٦٧): «ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاويه إلا طليقاً وأحزابياً ! وانظر أين المهاجرون والأنصار ، وأين التابعون بإحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وانظر هل ترى مع معاويه غيرك وغير صويحبك مسلمه بن مخلد ، والله ما أنتما بدريين ولا عقبيين ولا لكما فى الإسلام سابقه ، ولئن شغبت علينا اليوم فقد شغب علينا أبوك من قبلك فى سقيفه بنى ساعده ، فاعزب عنى قبحك الله من ابن عم ، وقبح ما جئت به !

قال: فانصرف النعمان بن بشير إلى عسكره وهو يقول: لقد كنت غنياً عن كلامك يا ابن سعد بن عباده » !

لكن نـدم قيس كـان بعـد فوات الأوان ، وبعـد أن رعا تكوين سـرطان الأمويين فى مصـر، فثاروا على خلفه محمـد بن أبى بكر ، وقتلوا سلفه محمد بن أبى حذيفه ، ثم قتلوا مالك الأشتر ، الذى سارع لنجده مصر قبل أن يذبحها الأمويون !

ثم تسـلط عمرو العـاص والأـمويون مجـدداً على مصـر ، وجعلوهـا مفتوحه عُنوه ، يحق لهم تملـك أهلها وأرضـها ، فكان شـعار ولاتهم كما فى النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهره :١/٢٣١: (إحلب الدرَّ حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينصرم) !

نقاط عن شخصيه قيس بن سعد بن عباده رضى الله عنه

١. قال الثقفى فى الغارات:١ /٢٠٥: (لما قُتل عثمان وولىَ على بن أبى طالب (عليه السّـلام) دعا قيس بن سعد فقال: سرْ إلى مصر فقـد وليتكهـا ،واخرج إلى رحلك فاجمع فيه من ثقاتك من أحببت أن يصـحبك ، حتى تأتيها ومعك جنـد ، فإن ذلك أرهب لعدوك وأعز لوليك .

فإذا أنت قدمتها إن شاء الله ، فأحسن إلى المحسن واشتدَّ على المريب ، وارفق بالخاصه والعامه ، فإن الرِّفْقَ يُمْنٌ .

فقـال له قيس بن سـعد: رحمـك الله يـا أمير المؤمنين ، قـد فهمت مـا ذكرت، أما قولك أخرج إليها بجنـد ، فوالله إن لم أدخلها بجنـد آتيها به من المدينه لا أدخلها أبداً ، فإذا أدع ذلك الجند لك ، فإن احتجت إليهم كانوا منك قريباً وإن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عده لك ، ولكنى أسير إليها

بنفسی وأهل بیتی . وأما ما أوصیتنی به من الرفق والإحسان ، فإن الله تعالی هو المستعان علی ذلک .

قال: فخرج قیس بن سعد فی سبع نفر من أصحابه، حتی دخل مصر فصعد المنبر ، فأمر بکتاب معه فقرئ علی الناس ، فیه:

بسم الله الرحمن الرحیم . من عبد الله علی أمیر المؤمنین ، إلی من بلغه کتابی هذا من المسلمین ، سلام علیکم ، فإنی أحمد الله إلیکم الذی لا إله إلاهو . أما بعد ، فإن الله بحسن صنعه وتقدیره وتدبیره اختار الإسلام دیناً لنفسه وملائکته ورسله ، وبعث به الرسل إلی عباده ، وخص من انتجب من خلقه ، فکان مما أکرم الله عز وجل به هذه الأمه وخصهم من الفضیله أن بعث محمداً (صلّی الله علیه و آله وسلّم) إلیهم ، فعلمهم الکتاب والحکمه والسنه والفرائض ، وأدَّبهم لکیما یهتدوا ، وجمعهم لکیما لایتفرقوا ، وزکاهم لکیما یتطهروا ، فلما قضی من ذلک ما علیه قبضه الله إلیه ، فعلیه صلوات الله وسلامه ورحمته ورضوانه إنه حمید مجید.. ألا ـ وإن لکم علینا العمل بکتاب الله وسنه رسوله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) والقیام بحقه والنصح لکم بالغیب ، والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوکیل. وقد بعثت إلیکم قیس بن سعد أمیراً فوازروه وأعینوه علی الحق ، وقد أمرته بالإحسان إلی محسنکم ، والشده علی مریبکم ، والرفق بعوامکم وخواصکم .

وهو ممن أرضى هديه ، وأرجو صلاحه ونصيحته ، نسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً ، وثواباً جزيلاً ، ورحمةً واسعه . والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته. وكتب عبيد الله بن أبى رافع فى صفر سنه ست وثلاثين .

قال:لما فرغ من قراءه الكتاب قام قيس بن سعد خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وقال: الحمد لله الذى أمات الباطل وأحيا الحق وكبت الظالمين ، أيها الناس: إنا بايعنا خير من نعلم بعد نبينا (صلّى الله عليه و آله وسلّم) فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنه نبيه ، فإن نحن لم نعمل فيكم بكتاب الله وسنه رسوله ، فلا بيعه لنا عليكم . فقام الناس فبايعوا

٢. واستقامت له مصر وأعمالها فبعث عليها عماله إلا أن قريه منها قد أعظم أهلها قتل عثمان ، وبها رجل من بنى كنانه يقال له يزيد بن الحارث ، فبعث إلى قيس بن سعد: ألا إنا لا نأتيك فابعث عمالك والأرض أرضك ، ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس .

قال: ووثب مسلمه بن مخلد بن صامت الأنصارى ، فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه ، فأرسل إليه قيس: ويحك أعليَّ تثب ! والله ما أحب أن لى ملك الشام إلى مصر وإنى قتلتك ، فاحقن دمك .

فأرسل إليه مسلمه أنى كافٌّ عنك ، ما دمت أنت والى مصر .

قال: وكان قيس له حزم ورأى ، فبعث إلى الذين اعتزلوا أنى لا أكرهكم على البيعه ، ولكنى أدعكم وأكف عنكم ، فهادنهم وهادن مسلمه بن مخلد ، وجبى الخراج ، وليس أحدٌ ينازعه .

۳.قال: وخرج أمير المؤمنين على (عليه السّلام) إلى الجمل وهو على مصر ، ورجع إلى الكوفه من البصره وهو بمكانه ، فكان أثقل خلق الله على معاويه لقربه من الشام، مخافه أن يُقبل إليه على بأهل العراق ويُقبل إليه قيس بأهل مصر فيقع بينهما . فكتب معاويه إلى قيس بن سعد، وعلى يومئذ بالكوفه قبل أن يسير إلى صفين: بسم الله الرحمن الرحيم ، من معاويه بن أبى سفيان إلى قيس بن سعد، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان فى أثره رأيتموها، أو فى ضربه سوط رأيتموه ضربها ، أو فى شتمه رجل أو تعييره واحداً ، أو فى استعماله الفتيان من أهله

فإنكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يحل لكم بذلك ، فقد ركبتم عظيماً من الأمر وجئتم شيئاً إداً ، فتب إلى ربك يا قيس إن كنت من المجلبين على عثمان ، إن كانت التوبه من قتل المؤمن تغنى شيئاً .

وأما صاحبك فإنا قد استيقنا أنه أغرى الناس به ،وحملهم على قتله حتى قتلوه ، وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك ، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل ، وبايعنا على أمرنا هذا ولك سلطان العراقين

إن أنا ظفرت ما بقيت ، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لى سلطان ، وسلنى من غير هذا ما تحب فإنك لا تسألنى من شئ إلا أوتيته ، واكتب إلى برأيك فيما كتبت به إليك . والسلام .

فلما جاء قيساً كتاب معاويه ، أحب أن يدافعه ، ولا يبدى له أمره ، ولا يعجل له حربه . فكتب إليه: أما بعد فقد وصل إلى كتابك ، وفهمت ما ذكرت من قتل عثمان ، وذلك أمر لم أقاربه ، وذكرت أن صاحبى هو الذى أغرى الناس بعثمان ودسهم إليه حتى قتلوه ، وهذا أمر لم أطلع عليه ، وذكرت أن عظم عشيرتى لم تسلم من دم عثمان ، فلعمرى إن أولى الناس كان فى أمره عشيرتى .

وأما ما سألتنى من متابعتك على الطلب بدمه وعرضت علىَّ ما عرضت فقد فهمته ، وهذا أمر لى فيه نظر وفكر ، وليس هذا مما يعجل إليه ، وأنا كافٌّ عنك ، وليس يأتيك من قبلى شئ تكرهه حتى ترى ونرى ، والسلام عليك ورحمه الله وبركاته .

قال: فلما قرأ معاويه كتابه لم يره إلا مقارباً مباعداً ، ولم يأمن أن يكون له فى ذلك مخادعاً مكايداً ، فكتب إليه معاويه أيضاً:

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فقد قرأت كتابك ، فلم أرك تدنو فأعدك سلماً ، ولم أرك تتباعد فأعدك حرباً ، أنت هاهنا كجمل جرور ، وليس مثلى

من يصانع بالخدائع ولايختدع بالمكايد ، ومعه عدد الرجال وأعنه الخيل ، فإن قبلت الذى عرضت عليك فلك ما أعطيتك ، وإن أنت لم تفعل ، ملأت عليك مصر خيلاً ورجلاً . والسلام .

قال: فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاويه ، وعلم أنه لا يقبل منه المدافعه والمطاوله ، أظهر له ما فى قلبه فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم. من قيس بن سعد إلى معاويه بن أبى سفيان: أما بعد فالعجب من استسقاطك رأيى، واغترارك بى ، وطمعك فى أن تسومنى

لا أباً لغيرك ، الخروج من طاعه أولى الناس بالأمر، وأقولهم بالحق ، وأهداهم سبيلاً ، وأقربهم من رسول الله وسيله ، وتأمرنى بالدخول فى طاعتك طاعه أبعد الناس من هذا الأمر ، وأقولهم بالزور ، وأضلهم سبيلاً

وأبعدهم من رسول الله وسيله ، ولديك قوم ضالون مضلون ، طواغيت إبليس !

وأما قولك: إنك تملأ علىَّ مصر خيلاً ورجلاً ، فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى تكون نفسك أهمَّ اليك ، إنك لذو جَدّ ، والسلام .

فلما أتى معاويه كتاب قيس بن سعد أيس منه ، وثقل مكانه عليه وكان أن يكون بالمكان الذى هو به غيره أعجب إليه ، واشتد على معاويه لما يعرف من بأسه ونجدته ، فأظهر للناس قبله أن قيساً قد بايعكم فادعوا الله له ،

وقرأ عليهم كتابه الذى لان فيه وقاربه ، واختلق معاويه كتاباً نسبه إلى قيس فقرأه على أهل الشام:

بسم الله الرحمن الرحيم . إلى الأمير معاويه بن أبى سفيان من قيس بن سعد ، أما بعد فإن قتل عثمان كان حدثاً فى الإسلام عظيماً ، وقد نظرت لنفسى ودينى لم أر يسعنى مظاهره قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً براً تقياً ، ونستغفر الله لذنوبنا ، ونسأله العصمه لديننا .

ألا وإنى قد ألقيت إليك بالسلم ، وأجبتك إلى قتال قتله إمام الهدى المظلوم فعول علىَّ فيما أحببت من الأموال والرجال ، أعجله إليك إن شاء الله تعالى، والسلام عليك .

٣.قال: فشاع فى أهل الشام كلها أن قيساً صالح معاويه ، فسرحت عيون علىِّ بن أبى طالب (عليه السّلام) إليه بذلك ، فلما أتاه ذلك أعظمه وأكبره وتعجب له ، ودعا ابنيه الحسن والحسين وابنه محمداً ، ودعا عبد الله بن جعفر ، فأعلمهم بذلك وقال:ما رأيكم؟فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك إعزل قيس بن سعد عن مصر .فقال لهم: إنى والله ماأصدق بهذا على قيس . فقال له عبد الله بن جعفر: إعزله يا أمير المؤمنين ، فوالله إن كان ما قد قيل حقاً ، لا يعتزلك إن عزلته .

قال: وإنهم لكذلك ، إذ أتاهم كتاب من قيس بن سعد فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإنى أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن قبلى رجالاً معتزلين سألونى أن أكف عنهم ، وأن أدعهم على حالهم ، حتى يستقيم أمر الناس فنرى ويرون ، وقد رأيت أن أكف عنهم وألا أعجل ، وأن أتألفهم فيما بين ذلك ، لعل الله أن يقبل بقلوبهم ويفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله ، والسلام .

فقال له عبد الله بن جعفر: ما أخوفنى يا أمير المؤمنين أن يكون هذا مما اتهم عليه ، إنك إن أطعته فى تركهم واعتزالهم استشرى الأمر وتفاقمت الفتنه، وقعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها ، ولكن مره بقتالهم .

فكتب إليه على (عليه السّلام) :بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت ، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون ، وإلا فناجزهم . والسلام .

فلما أتى قيس بن سعد الكتاب فقرأه ، لم يتمالك أن كتب إلى أمير المؤمنين: أما بعد يا أمير المؤمنين ، فالعجب لك تأمرنى بقتال قوم كافِّين عنك ، ولم يمدوا إليك يداً للفتنه ، ولا أرصدوا لها. فأطعنى يا أمير المؤمنين وكفَّ عنهم ، فإن الرأى تركهم يا أمير المؤمنين . والسلام .

فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبد الله بن جعفر:يا أمير المؤمنين إبعث محمد بن أبى بكر إلى مصر يكفك أمرها، واعزل قيساً فوالله لبلغنى أن قيساً يقول: إن سلطاناً لايتم إلا بقتل مسلمه بن مخلد لسلطان سوء ! والله ما أحب أن

لی سلطان الشام مع سلطان مصر وإنی قتلت ابن مخلد . وکان عبد الله بن جعفر أخاً لمحمد بن أبی بکر لأمه ، وکان یحب أن یکون له إمره وسلطان .

۴.قال: فبعث علی بن أبی طالب (علیه السّلام) محمد بن أبی بکر إلی مصر ، وعزل قیساً ، وکتب معه إلی أهل مصر کتاباً ، فلما قدم علی قیس قال له قیس: فما بال أمیر المؤمنین ، ما غیَّرَهُ ، أدخل أحد بینی وبینه؟قال: لاوهذا السلطان سلطانک. وکان بینهما نسب ،إذ کانت تحت قیس قریبه بنت أبی قحافه أخت أبی بکر ، فکان قیس زوج عمته ، فقال قیس: لا والله لا أقیم معک ساعه واحده ، وغضب حین عزله علی عنها فخرج منها مقبلاً إلی المدینه ، ولم یمض إلی علی بالکوفه..

ثم أقبل قیس حتی دخل المدنیه ، فجاءه حسان بن ثابت شامتاً به وکان عثمانیاً فقال له: نزعک علی بن أبی طالب وقد قتلتَ عثمان فبقی علیک الإثم ولم یحسن لک الشکر !

فزجره قیس وقال له: یا أعمی القلب یا أعمی البصیره، والله لولا أن ألقی بین رهطی ورهطک حرباً لضربت عنقک ، أخرج عنی !

ثم إن قیساً وسهل بن حنیف خرجا حتی قدما علی علی (علیه السّلام) الکوفه فخبره قیس الخبر وما کان بمصر ، فصدقه ، وشهد هو وسهل بن حنیف مع علی (علیه السّلام) صفین .

وكان قيس بن سعد طوالاً أطول الناس وأمدهم قامه ، وكان سناطاً ، أصلع ، شيخاً ، شجاعاً ، مجرباً ، مناصحاً لعلى وولده ، حتى توفى ». والسناط: الكوسج الذى ليس له شعر لحيه .

۵. وفى الغارات:۱/۲۲۳: (وأتى المدينه فجعل الناس يغرُّونه (ليبعدوه عن على (عليه السّلام)) ويقولون له: نصحت فعزلك ، فلحق بعلى (عليه السّلام) وبايعه ومعه اثنا عشر ألفاً على الموت.. عن هشام بن عروه عن أبيه قال: كان قيس بن سعد بن عباده مع على بن أبى طالب (عليه السّلام) على مقدمته ، ومعه خمسه آلاف ، قد حلقوا رؤوسهم ».

ملاحظات

۱. ينبغى التنبيه الى أن التشيع لعلى (عليه السّلام) كان بمستويين ، الأول: التشيع بالمعنى الخاص ، الإصطلاحى وهو اتباع على (عليه السّلام) لأنه إمام معصوم مفترض الطاعه من الله تعالى ، بنص النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) .

وبهذا المعنى كان تشيع عمار بن ياسر ، وأبى ذر الغفارى ، والمقداد الكندى وحذيفه بن اليمان ، وسلمان الفارسى ، وخالد بن سعيد ، وعدد كبير من الصحابه . فكان هؤلاء يلتزمون بطاعه على (عليه السّلام) كطاعه النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) حرفياً ونصياً .

والثانی: التشیع العام ، بالمعنی اللغوی ، وهو تأیید علی (علیه السّلام) لأنه أولی بالخلافه من غیره من الصحابه .

وبهذا المعنی کان تشیع قیس بن سعد بن عباده وعدد الصحابه ، فهم لایرون فیه أنه معصوم ، ولذلک نری قیساً یخالفه فی التعامل مع العثمانیه فی مصر ، ویحاول إقناعه برأیه ! بینما لا یصدر ذلک من محمد بن أبی بکر أو الأشتر أو محمد بن أبی حذیفه ، لأنهم یعتقدون أن علیاً إمام ربانی مؤید من الله تعالی ، فرأیه لیس اجتهاداً قابلاً للخطأ کغیره ، بل تکلیف شرعی یجب تنفیذه .

۲. یبدو بالنظره الأولی أن موقف قیس باستعمال اللیونه مع الأمویه المخالفین فی مصر أصح من موقف أمیر المؤمنین (علیه السّلام) بتخییرهم بین أن یبایعوا ویدخلوا فیما دخل فیه المسلمون ، وإلا فهم خارجون علی الإمام الشرعی ، یجب قتالهم .

وقد ظهرت صحه رأی الإمام (علیه السّلام) ، وأنهم کانوا خطراً علی المصریین لأنهم یرفعون شعار الثأر لعثمان ویتهمون المصریین به ، ولأنهم بؤره یضمون الیهم جنوداً من داخل مصر وخارجها ، ویمدهم معاویه .

ونلاحظ أنهم كانوا قريه صغيره من بضع مئات ، فاستفادوا من لين قيس وإعطائهم كل مخصصات الجنود ، حتى كثروا أنفسهم ، وبلغوا عشره آلاف مقاتل !

۳.حكم رواه السلطه بصواب رأى قيس فى مهادنه جماعه معاويه ، وخطأ رأى على (عليه السّلام) فى قتالهم ، واعتبروا أن قتل ابن أبى بكر وابن أبى حذيفه والأشتر ، كان بسبب إصرار على (عليه السّلام) على القتال !

قال الطبرى:۳/۵۵۳: « فلما بلغ ذلك علياً اتهم قيساً ، وكتب إليه يأمره بقتال أهل خربتا ، وأهل خربتا يومئذ عشره آلاف فأبى قيس بن سعد أن يقاتلهم وكتب إلى على إنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ منهم ، وقد رضوا منى أن أومن سربهم وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ، وقد علمت أن هواهم مع معاويه ، فلست مكايدهم بأمر أهون على وعليك من الذى أفعل بهم ، ولو أنى غزوتهم

كانوا لى قرناً وهم أسود العرب ، ومنهم بسر بى أرطاه ومسلمه بن مخلد ومعاويه بن خديج ، فذرنى فأنا أعلم بما أدارى منهم . فأبى على إلا قتالهم وأبى قيس أن يقاتلهم ، فكتب قيس إلى على إن كنت تتهمنى فاعزلنى عن عملك ، وابعث إليه غيرى .

فبعث على الأشتر أميراً إلى مصر ، حتى إذا صار بالقلزم شرب شربه عسل كان فيها حتفه ، فبلغ ذلك معاويه وعمرو بن العاص ، فقال عمرو بن

العاص: إن لله جنوداً من عسل ، فلما بلغت علياً وفاه الأشتر ، بعث محمد بن أبى بكر أميراً على مصر ، فلما حدث به قيس بن سعد قادماً أميراً عليه ، تلقاه فخلا به وناجاه وقال: إنك قد جئت من عند امرئ لا رأى له فى الحرب ، وإنه ليس عزلكم إياى بمانعى أن أنصح لكم ، وإنى من أمركم على بصيره ، وإنى أدلك على الذى كنت أكايد به معاويه وعمرو بن العاص وأهل خربتا فكايدهم به ، فإنك إن كايدتهم بغيره تهلك ، فوصف له قيس المكايده التى كايدهم بها ، فاغتشه محمد بن أبى بكر ، وخالفه فى كل شئ أمره به ، فلما قدم محمد بن أبى بكر مصر خرج قيس قبل المدينه ، فأخافه مروان والأسود بن أبى البخترى ، حتى إذا خاف أن يؤخذ ويقتل ، ركب راحلته فظهر إلى على ، فكتب معاويه إلى مروان والأسود بن أبى البخترى يتغيظ عليهما ، ويقول: أمددتما علياً بقيس بن سعد ، وبرأيه ومكايدته ، فوالله لو أمددتماه بثمانيه آلاف مقاتل ما كان ذلك بأغيظ لى من إخراجكما قيس بن سعد إلى على .

فقدم قيس بن سعد إلى على وباثَّه الحديث ، ثم جاءهم قتل محمد بن أبى بكر ، عرف على أن قيس بن سعد كان يدارى منهم أموراً عظاماً من المكايده التى قصر عنها رأى على ، ورأى من كان يؤازره على عزل قيس ، فأطاع على قيساً فى الأمر كله ، وجعله على مقدمه أهل العراق » .

ص: ٩٥

لكن الصحيح رأى على (عليه السّلام) ، لأنه كان يجب تخليص مصر من الوباء الأموى وإلزام جماعه معاويه ببيعته ، لكن قيساً أخطأ خطأً سبَّب تقويه الخوارج ، وما نتج عنه من قتل محمد بن أبى بكر وخساره مصر .

كما أن الصحيح أن الحق مع على (عليه السّلام) فى لومه محمد بن أبى بكر (رحمه الله) لفراره فى الحرب ، مع أنه مدحه من جهات أخرى .

ففى الغارات:١/٣٠١: « عن مالك بن الجون الحضرمى أن علياً (عليه السّلام) قال: رحم الله محمداً كان غلاماً حدثاً ، أما والله لقد كنت أردت أن أولى المرقال هاشم بن عتبه بن أبى وقاص مصر . والله لو أنه وليها لما خلى لعمرو بن العاص وأعوانه العرصه ، ولما قُتل إلا وسيفه فى يده ، بلا ذم لمحمد بن أبى بكر ، فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه .

قال فقيل لعلى (عليه السّلام) : لقد جزعت على محمد بن أبى بكر جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين. قال: وما يمنعنى؟ إنه كان لى ربيباً ، وكان لبنىَّ أخاً ، وكنت له والداً ، أعده ولداً » .

فإن قلت: لماذا نصب محمد بن أبى بكر والياً على مصر ، ولم يولَّ هاشم المرقال أو الأشتر ، وهو يعلم خطوره جماعه معاويه ؟

وجوابه: أن أهل مصر طالبوا بتوليه محمد بن أبى بكر ، وأن أمير المؤمنين (عليه السّلام) كان بحاجه الى الأشتر والمرقال فى حرب صفين .

لكن الجواب الـذى أقتنع به: أن النبى (صـلّى الله عليه و آله وسـلّم) والأئمه المعصومين (عليه السّـلام) مع علمهم بالأمور ، فلكل منهم برنامجه الخاص ، فهو يتعامل مع ظاهر الأمور ومعادلاتها العاديه ، ولا يتعامل بعلمه ، إلا أن يؤمر بذلك .

وقـد روى الجميع أن النبى (صـلّى الله عليه و آله وسـلّم) نص على أن علياً (عليه السّـلام) لايفعـل إلاـ مـا يؤمر به ! قال بريـده: « فوقعت فى على حتى فرغت ، ثم رفعت رأسـى فرأيت رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) غضب غضباً لم أره غضب مثله إلا يوم قريظه والنضـير، فنظر إلى فقـال:يـا بريـده أحب علياً فإنمـا يفعل ما يؤمر به »! (المعجم الأوسط:٥/١١٧ومسـند أحمد ، وعده مصادر أخرى).

۴. ينبغى التنبيه الى أن المسـتوى الإيمانى العام للأنصار قد انخفض فى حنين يوم ابتلاهم الله تعالى فأمر نبيه (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أن يعطى غنائم هوازن الكبيره الى القرشيين ليتألفهم ، ويحرم منها الأنصار ليمتحنهم !

روى فى الكافى:٢/۴١١، بسـند صـحيح عن الإمـام البـاقر (عليه السّـلام) : «إن رسول الله (صـلّى الله عليه و آله وسـلّم) يوم حنين تألف رؤساء العرب من قريش وسائر مضـر، منهم أبو سـفيان بن حرب وعيينه بن حصن الفزارى ، وأشباههم من الناس ، فغضبت الأنصار واجتمعت إلى سعد بن عباده ، فانطلق بهم إلى رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) بالجعرانه فقال: يا رسول الله أتأذن لى فى الكلام؟ فقال: نعم ، فقال: إن كان هذا الأمر من هذه الأموال التى قسمت بين قومك شيئاً أنزله الله رضينا، وإن

كـان غير ذلـك لم نرض! قـال زراره: وسـمعت أبـا جعفر (عليه السّـلام) يقول: فقال رسول الله (صـلّى الله عليه و آله وسـلّم) : يا معشـر الأنصـار أكُلُّكُمْ على قول سـيدكم سـعد؟ فقـالوا: سـيدنا الله ورسوله ، ثم قـالوا فى الثـالثه: نحن على مثل قوله ورأيه ! قال: زراره فسمعت أبا جعفر (عليه السّلام) يقول: فحط الله نورهم » !

وفى مجمع البيان:۵/۳۲: « فمشـى سـعد بن عباده إلى رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) فقال: يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قـد وجدوا عليك فى قسـمك هذه الغنائم فى قومك وفى سائر العرب ، ولم يكن فيهم من ذلك شـئ ! فقال (صـلّى الله عليه و آله وسـلّم) : فأين أنت من ذلك يا سـعد؟ فقال: ما أنا إلا امرؤ من قومى! فقال رسول الله (صـلّى الله عليه و آله وسـلّم) : فاجمع لى قومك فى هذه الحظيره...».

أقول: من عجائب التاريـخ موقف الأنصار عند غنائم حنين ، ورئيسـهم سـعد بن عباده ! فقد رأوا معجزات النبى (صـلّى الله عليه و آله وسـلّم) وآمنوا به ، وبـذلوا فى سبيله أموالهم وأرواحهم ، ولمـا أعطى غيرهم ولم يعطهم اتهموه بـأنه يميل إلى قومه! فغلبهم هواهم عند الإمتحان ، وفقدوا توازن عقولهم ، فانخفض مستوى إيمانهم ، فحط الله نورهم !

وقد سأل النبى (صـلّى الله عليه و آله وسلّم) سعداً عن موقفه فى اتهام الأنصار لنبيهم (صلّى الله عليه و آله وسلّم) بأنه مال لقومه فى تقسيم الغنائم ، فأجابه بأنه رجل من قومه !

لذلك ينبغى أن يقسم تاريخ الأنصار إلى: مرحله ما قبل غنائم حنين ، ومرحله ما بعدها !

وقـد عالج النبى (صـلّى الله عليه و آله وسـلّم) هذا الهبوط فى إيمانهم ، بتطييب خاطرهم ، وهى معالجه تهدؤهم ، لكنها لا ترفع مستواهم ، فذلك بأيديهم .

وهذا يفسر لنا نقضهم لبيعتهم للنبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) فى بيعه العقبه بأن يحموه ويحموا أهل بيته بعده مما يحمون منه أنفسـهم وذراريهم ! فعندما رأى سـعد أن قريشاً مجمعه على إبعاد عتره النبى (صـلّى الله عليه و آله وسلّم) عن خلافته ، لم ينصر أهل بيت نبيه ، بل أخذ يعمل لأن تكون الخلافه له لأنه أحق بالإسـلام وخلافته من بطون قريش ! لذلك ورد فيه الذم من فاطمه الزهراء (عليه السّلام) وغيرها من أئمه العتره (عليه السّلام) . ثم لم يتهنأ سعد بموقفه المتخاذل عن أهل البيت (عليه السّلام) ، فقد نفاه عمر الى حوران ، ثم قتله وقيل قتلته الجن !

۵.كـان قيس بن سـعد بن عبـاده كـأبيه زعيم الخزرج ، وعامه الأنصار ، ثابتاً على موقفه ضـد خلافه أبى بكر وعمر وعثمان ، وقد شـارك مع على (عليه السّـلام) بفعـاليه فى حروبه هو وكـافه الأنصـار ، ولم يشـارك منهم مع معـاويه إلا شـخصان من صبيانهما العاديين هما النعمان بن بشير ومسلمه بن مخلد !

ولكن موقف الأنصار الى جانب العتره النبويه كان بعد أن ذاقوا الأمرَّين من طلقاء قريش الذين يبغضونهم ، فكان موقفهم أشبه بالتكفير عن الذنب بعد فوات الأوان .

لهذا يعتبر سعد وابنه قيس شيعه بالمعنى العام ، وليسوا كعمار ، وسلمان ، والمقداد ، وأبى ذر ، وحذيفه ، والأشتر ، ومحمد بن أبى بكر ، وخالد بن سعيد ، وعشرات المعتقدين بأن إمامه على (عليه السّلام) والعتره فريضه ، بنص النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) سواء أطاعت الأمه أم عصت .

وبهذا نفسر مخالفه قيس لأمير المؤمنين (عليه السّلام) فى أهل خَرَبْتَا العثمانيين ، فهادنهم وأعطاهم امتيازات حتى تفاقم أمرهم وأمدهم معاويه فأخذوا مصر وقتلوا محمد بن أبى بكر بوحشيه !

وكأن قيساً أراد التكفير عن ذلك ن فكان موقفه مع الإمام الحسن (عليه السّلام) مشرفاً ، فقد ثبت أمام إغراء معاويه إلى آخر مرحله ، وجرت بينهم مراسلات وانتهت بلهجه شديده جداً ، ولم يقبل الصلح حتى أرسل له معاويه رقاً مختوماً ليشترط فيه ما شاء، كالذى أرسله إلى الإمام الحسن (عليه السّلام) .

قال الطبرى فى تاريخه:۴/۱۲۵: « واشترط الحسن لنفسه ثم بايع معاويه وأمَّرت شرطه الخميس قيس بن سعد على أنفسهم ، وتعاهدوا هو وهم على قتال معاويه حتى يشترط لشيعه على ولمن كان اتبعه ، على أموالهم

ودمائهم وما أصابوا فی الفتنه ، فخلص معاویه حین فرغ من عبد الله بن عباس والحسن إلی مکایده رجل هو أهمُّ الناس عنده مکایدهً ومعه أربعون ألفاً ، وقد نزل معاویه بهم وعمرو وأهل الشام ، وأرسل معاویه إلی قیس بن سعد یذکره الله ویقول: علی طاعه من تقاتل وقد بایعنی الذی أعطیته طاعتک ؟! فأبی قیس أن یلین له حتی أرسل إلیه معاویه بسجلٍّ قد ختم علیه فی أسفله ، فقال: أکتب فی هذا السجل ما شئت فهو لک! قال عمرو لمعاویه: لا تعطه هذا وقاتله! فقال معاویه: علی رسلک ، فإنا لا نخلص إلی قتل هؤلاء حتی یقتلوا أعدادهم من أهل الشأم ، فما خیر العیش بعد ذلک! وإنی والله لا أقاتله أبداً حتی لا أجد من قتاله بداً . فلما بعث إلیه معاویه بذلک السجل اشترط قیس فیه له ولشیعه علیٍّ الأمان علی ما أصابوا من الدماء والأموال ، ولم یسأل معاویه فی سجله ذلک مالاً ، وأعطاه معاویه ما سأل ، فدخل قیس ومن معه فی طاعته ».

أقول: الصحیح أن جیش قیس کان اثنی عشر ألفاً لا أربعین ألفاً ، بل ورد أن الذین ثبتوا معه وجددوا له البیعه منهم أربعه آلاف ، ویظهر أنهم طلیعه الأربعین ألفاً الذین بایعوا أمیر المؤمنین (علیه السّلام) قبل شهادته علی حرب معاویه حتی الموت . وأخیراً بایع قیس فی الکوفه بأمر الإمام الحسن (علیه السّلام) !

قال الطبرى:۴/۱۲۵: « كانوا يعـدون دهاه الناس حين ثارت الفتنه خمسه رهط فقالوا: ذوو رأى العرب ومكيـدتهم: معاويه بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، والمغيره بن شعبه ، وقيس بن سعد .

ومن المهـاجرين: عبـد الله بن بـديل الخزاعى ، وكان قيس وابن بـديل مع على وكان المغيره بن شـعبه وعمرو مع معاويه ، إلا أن المغيره كان معتزلاً بالطائف حتى حكم الحكمان » .

وفى مقاتل الطالبيين/۴۷:«ولما تم الصـلح بين الحسن ومعاويه أرسل إلى قيس بن سعد بن عباده يدعوه إلى البيعه ، فأتىَ به وكان رجلاً ـ طويلاً ـ يركب الفرس المشـرف ورجلاه تخطان فى الأرض، وما فى وجهه طاقه شـعر ، وكان يسـمى خِصْيَ الأنصار ، فلما أرادوا أن يدخلوه إليه قال: إنى قد حلفت أن لا ألقاه إلا بينى وبينه الرمح أوالسـيف! فأمر معاويه برمح أو سيف ، فوضع بينه وبينه ، ليبرَّ يمينه » !

ولايه محمد بن أبى بكر على مصر:

أسره محمد بن أبى بكر رضى الله عنه

تزوج أبو بكر فى الجاهليه قتيله بنت عبد العزى، فولدت له عبد الله وأسماء . وجاء الى مكه رجل أزدى إسمه الحارث بن سخبره ، ومعه زوجته أم رومان الكنانيه وابنه الطفيل ، فتحالف مع أبى بكر ، وكان له عبد إسمه فهيره ، فزوجه سوداء فولدت عامر بن فهيره .

وأسلم الحارث وغلامه عامر قبل أبى بكر ، ثم مات الحارث فورثه ابنه الطفيل وهو صغير فصار عامر غلامه ، وتزوج أبو بكر أمه أم رومان ، فولدت له عبد الرحمن وعائشه ، فهما أخوا الطفيل من أمه (الطبرى:٢/٦١٦، والبخارى:٥ /٤٣، وابن سعد: ٨ /٢٧٨).

وتزوج أبو بكر حبيبه بنت خارجه ، فولدت له بنتاً إسمها أم كلثوم ، تزوجها طلحه بن عبيد الله فولدت له زكريا وعائشه. (الإستيعاب:٢/٤١٧).

وتزوج أسماء بنت عميس بعد شهاده زوجها جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، فولدت له محمد بن أبى بكر .

لكن أكثر زوجه أثرت فى نفس أبى بكر هى أم بكر ، التى قال لها:

تَحَيَّىْ بالسلامه أمَّ بكرٍ

وهل لك بعد رهطك من سلامِ

ذرينى أصطبح يا بكر أنى

رأيت الموت نقَّبَ عن هشام

فودَّ بنو المغيره أن فدوْهُ

بألف من رجال أو سوام

فكائن بالطويِّ طويِّ بدر

من القينات والخيل الكرام

فكائن بالطويِّ طويِّ بدر

من الشيزى تُكلل بالسنام

فبلغ ذلك النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) فقام معه جريده يجرُّ إزاره حتى دخل عليه ، فلما نظر إليه قال: أعوذ من سخط الله ومن سخط رسوله والله لا يلج لى رأساً أبداً ! فذهب عن رسول الله ما كان فيه وخرج ونزل عليه: فَهَلْ أنتمْ مُنْتَهُون؟! فقال عمر: انتهينا والله » . (ابن هشام:۲/۵۴۹) .

ورواها ابن حجر فى الإصابه:۷/۳۹، عن الفاكهى فى كتاب مكه ، وفيها: «شرب أبو بكر الخمر فأنشأ يقول: فذكر الأبيات فبلغ ذلك رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) فقام يجر إزاره حتى دخل فتلقاه عمر وكان مع أبى بكر ، فلما نظر إلى وجهه محمراً قال: نعوذ بالله من غضب رسول الله! والله لا يلج لنا رأسا أبداً »!

وذكر فى فتح البارى:۱۰/۳۱، أن تلك الجلسه كانت حفله خمر فى بيت أبى طلحه ، وكانوا عشره صحابه أو أكثر وساقيهم أنس بن مالك!

ثم قال: « ولأحمد عن يحيى القطان عن حميد عن أنس: كنت أسقى أبا عبيده وأبى بن كعب وسهيل بن بيضاء، ونفراً من الصحابه عند أبى طلحه . ووقع عند عبد الرزاق عن معمر بن ثابت وقتاده وغيرهما عن أنس ، أن القوم كانوا أحد عشر رجلاً، وقد حصل من الطرق التى أوردتها تسميه

سبعه منهم ، وأبهمهم فی روایه سلیمان التیمی عن أنس...ومن المستغربات ما أورده ابن مردویه فی تفسیره من طریق عیسی بن طهمان عن أنس، أن أبا بکر وعمر کانا فیهم! وهو منکر مع نظافه سنده ، وما أظنه إلا غلطاً » !

یقصد ابن حجر أن حدیث شربهم الخمر صحیح السند ، لکن معناه مستنکر ! لکن إذا صح سند الحدیث ، فلا یردُّ باستغراب معناه !

وروی البخاری فی صحیحه:۴/۲۶۳، عن عائشه قالت:«أن أبا بکر تزوج امرأه من کلب یقال لها أم بکر ، فلما هاجر أبو بکر طلقها فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر الذی قال هذه القصیده ورثا کفار قریش ».

ووقت القصه عند نزول سوره المائده أی قبل وفاه النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) بشهر أو شهرین ! لأن آیه: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ، من سوره المائده وهی آخر مانزل من القرآن قبیل وفاه النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) . (راجع تفصیل القصه فی: ألف سؤال وجواب:۳/۱۱۳).

وقد ولد محمد بن أبی بکر (رحمه الله) فی حجه الوداع ، وعاش مع أبیه أبی بکر أقل من ثلاث سنوات ، ثم تزوج علی (علیه السّلام) أمه أسماء بنت عمیس ، فکان محمد ربیب الإمام (علیه السّلام) ، وکان یعده کأحد أولاده . وکان عمره عندما ولاه أمیر المؤمنین (علیه السّلام) مصر ، ستاً وعشرین سنه .

ولايه محمد بن أبى بكر لمصر

عن الحارث بن كعب عن أبيه قال:كنت مع محمد بن أبى بكر حيث قدم مصر فلما أتاها قرأ عليهم عهده:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد عبد الله على أمير المؤمنين إلى محمد بن أبى بكر حين ولاه مصر، أمره بتقوى الله فى السر والعلانيه ، وخوف الله فى المغيب والمشهد ، وباللين للمسلم وبالغلظه على الفاجر ، وبالعدل على أهل الذمه ، وبالإنصاف للمظلوم ، وبالشده على الظالم ، وبالعفو عن الناس، وبالإحسان ما استطاع ، والله يجزى المحسنين . وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعه والجماعه ، فإن لهم فى ذلك من العاقبه وعظيم المثوبه ما لايقدرون قدره ولايعرفون كنهه .

وأمره أن يجبى خراج الأرض على ماكانت تجبى عليه من قبل ، ولا ينتقص منه

ولا يبتدع فيه ، ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل . وأمره أن يلين لهم جناحه ، وأن يساوى بينهم فى مجلسه ووجهه ، وليكن القريب والبعيد عنده فى الحق سواء .

وأمره أن يحكم بين الناس بالحق ، وأن يقوم بالقسط ، ولا يتبع الهوى ، ولا يخاف فى الله لومه لائم ، فإن الله مع من اتقاه وآثر طاعته على ما سواه ،

والسلام . وكتبه عبيد الله بن أبى رافع مولى رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) لغره شهر رمضان سنه ست وثلاثين .

قال: ثم إن محمد بن أبى بكر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فالحمد لله الذى هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق ، وبصرنا وإياكم كثيراً مما عمىَ عنه الجاهلون .

ألا- إن أمير المؤمنين ولانى أموركم ، وعهد إلى بما سمعتم ، وأوصانى بكثير منه مشافهه ، ولن آلوكم خيراً ما استطعت ، وماتوفيقى إلا- بالله عليه توكلت وإليه أنيب . فإن يكن ما ترون من آثارى و أعمالى لله طاعه وتقوى ، فاحمدوا الله على ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادى له ، وإن رأيتم من ذلك عملاً- بغير حق ، فادفعوه إلى وعاتبونى عليه ، فإنى بذلك أسعد ، وأنتم بذلك جديرون . وفقنا الله وإياكم لصالح العمل برحمته . ثم نزل).

رساله أمير المؤمنين (عليه السّلام) الى أهل مصر ووالیهم

تقدمت منها فقره:«واعلم يامحمد بن أبى بكر أنى قد وليتك أعظم أجنادى فى نفسى ، أهل مصر» وروى بعضه فى نهج البلاغه (۳/۲۷) وروت بقيه المصادر فقرات منه ، وننقله من منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

للخوئى:۱۹/۷۳، عن أبى إسحاق الهمدانى قال:

«لما ولّى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب محمد بن أبى بكر مصر وأعمالها كتب له كتاباً ، وأمره أن يقرأه على أهل مصر ويعمل بما وصاه به ، فكان الكتاب:

بسم الله الرّحمن الرّحيم. من عبد الله أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب إلى أهل مصر ومحمد بن أبى بكر:

سلام عليكم، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلَّا هو ، أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسؤولون وإليه تصيرون ، فإنّ الله تعالى يقول: كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ، ويقول: ويُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَه وإِلَى الله الْمَصِيرُ . ويقول: فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ .

واعلموا عباد الله أن الله عزّ وجلّ سائلكم عن الصغير من أعمالكم والكبير فإن يعذِّب فنحن أظلم ، وإن يعفُ فهو أرحم الرّاحمين.

يا عباد الله إنّ أقرب ما يكون العبد إلى المغفره والرحمه حين يعمل لله بطاعته وبنصحه فى التوبه . عليكم بتقوى الله ، فإنها تجمع الخير ولا خير غيرها ، ويدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها ، من خير الدنيا والآخره قال الله عزّ وجلّ: وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هذِه الدُّنْيا حَسَنَةٌ ولَدارُ الآخِرَهِ خَيْرٌ ولَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ .

إعلموا يا عباد الله أنّ المؤمن يعمل من الثواب لثلاث: أمّا الخير فإنّ الله يثيبه بعمله فى دنياه ، قال الله سبحانه لإبراهيم: وآتَيْناه أَجْرَه فِى الدُّنْيا وإِنَّه فِى

الآخِرَهِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ، فمن عمل لله تعالى أعطاه أجره فى الدّنيا والآخره وكفاه المهمّ فيهما ، وقد قال الله تعالى: يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هذِه الدُّنْيا حَسَنَةٌ وأَرْضُ الله واسِعَةٌ إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ ، فما أعطاهم الله فى الدّنيا لم يحاسبهم به فى الآخره ، قال الله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وزِيادَةٌ ، والحسنى هى الجنّه ، والزياده هى الدّنيا ، وإنّ الله تعالى يكفّر بكل حسنه سيئه ، قال الله عزّ وجلّ: إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ، حتى إذا كان يوم القيامه حسبت لهم حسناتهم ثمّ أعطاهم بكلّ واحده عشره أمثالها إلى سبعمائه ضعف ، قال الله عزّ وجلّ: جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً ، وقال: إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِى الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ . فارغبوا فى هذا رحمكم الله واعملوا له وتحاضّوا عليه .

واعلموا يا عباد الله ، أن المتّقين حازوا عاجل الخير وآجله ، شاركوا أهل الدنيا فى دنياهم ولهم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم أباحهم فى الدنيا ما كفاهم به وأغناهم ، قال الله عزّ اسمه:قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ الله الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِه والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَياهِ

الدُّنْيا خالِصَهً يَوْمَ الْقِيامَهِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، سكنوا الدنيا بأفضل ماسكنت ، وأكلوها بأفضل ما أكلت ، شاركوا أهل الدنيا فى دنياهم ، فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون ، وشربوا من طيبات ما يشربون ، ولبسوا من أفضل ما يلبسون ،

وسكنوا من أفضل ما يسكنون ، وتزوجوا من أفضل ما يتزوجون ، وركبوا من أفضل ما يركبون . أصابوا لذه الدنيا مع أهل الدنيا ، وهم غداً جيران الله ، يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون ، لا يردُّ لهم دعوه ، ولا ينقص لهم نصيباً من اللَّذه . فإلى هذا يا عباد الله يشتاق إليه من كان له عقل ويعمل بتقوى الله ، ولا حول ولا قوّه إلَّا بالله .

يا عباد الله ، إن اتقيتم وحفظتم نبيكم فى أهل بيته ، فقد عبدتموه بأفضل ما عبد ، وذكرتموه بأفضل ما ذكر ، وشكرتموه بأفضل ما شكر ، وأخذتم بأفضل الصبر والشكر، واجتهدتم أفضل الإجتهاد ، وإن كان غيركم أطول منكم صلاه وأكثر منكم صياماً، فأنتم أتقى لله منه وأنصح لأولى الأمر .

إحذروا يا عباد الله الموت وسكرته ، فأعدُّوا له عُدَّته فإنه يفجؤكم بأمر عظيم: بخير لا يكون معه شرٌّ أبداً ، أو بشرٍّ لا يكون معه خيرٌ أبداً ، فمن أقرب إلى الجنه من عاملها ، ومن أقرب إلى النار من عاملها . إنه ليس أحد من الناس تفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أىَّ المنزلتين يصير إلى الجنه أم النار، أعدوٌّ هو لله أو وليٌّ ، فإن كان وليّاً لله فُتحت له أبواب الجنه ، وشُرعت له طرقها ، ورأى ما أعدَّ الله له فيها ، ففرغ من كل شغل ، ووضع عنه كل ثقل .

وإن كان عدوًّا لله فتحت له أبواب النار ، وشرع له طرقها ، ونظر إلى ما أعدّ الله له فيها فاستقبل كل مكروه ، وترك كل سرور .

كل هـذا يكون عند الموت وعنده يكون بيقين ، قال الله تعالى: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَهُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّهَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . ويقول: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَهُ ظالِمِى أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلى إِنَّ الله عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ .

عباد الله إنّ الموت ليس منه فوت ، فاحذروا قبل وقوعه ، وأعدوا له عدته فإنكم طرداء الموت: إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، وهو ألزم لكم من ظلّكم ، الموت معقود بنواصيكم ، والدنيا تُطوى خلفكم ، فأكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات ، وكفى بالموت واعظاً .

وكان رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) كثيراً ما يوصى أصحابه بذكر الموت فيقول: أكثروا ذكر الموت ، فإنه هادم اللذّات ، حائل بينكم وبين الشهوات .

يا عباد الله ، ما بعد الموت لمن لايغفر له أشد من الموت: القبر. فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته ، إن القبر يقول كل يوم: أنا بيت الغربه ، أنا بيت التراب ، أنا بيت الوحشه ، أنا بيت الدُّود والهوام . والقبر روضه من رياض الجنه ، أو حفره من حفر النار ، إن العبد المؤمن إذا دفن قالت له

الأرض مرحباً وأهلاً ، قد كنت من أحبُّ أن تمشى على ظهرى ، فإذْ وليتُك فستعلم كيف صنيعى بك ، فيتسع له مدَّ البصر .

وإن الكافر إذا دفن قالت له الأرض: لامرحباً بك ولا أهلاً ، لقد كنت من أبغض من يمشى على ظهرى ، فإذا وليتُك فستعلم كيف صنيعى بك ، فتضمُّه حتى تلتقى أضلاعه !

وإن المعيشه الضنك الَّتى حذِّر الله منها عدوه عذاب القبر أنه يسلَّط على الكافر فى قبره تسعةً وتسعين تنيناً فينهشن لحمه ويكسرن عظمه ، ويترددن عليه كذلك إلى يوم البعث ، لو أن تنيناً منها نفخ فى الأرض لم تنبت زرعاً !

يا عباد الله ، إنّ أنفسكم الضعيفه ، وأجسادكم الناعمه الرقيقه الَّتى يكفيها اليسير ، تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم ممّا لا طاقه لكم ولا صبر لكم عليه ، فاعملوا بما أحبِّ الله واتركوا ما كره الله .

يا عباد الله ، إن بعد البعث ما هو أشدُّ من القبر ، يومٌ يشيب فيه الصغير ، ويسكر فيه الكبير ، ويسقط فيه الجنين ، وتذهل كل مرضعه عما أرضعت ، يوم عبوس قمطرير، يوم كان شره مستطيراً.

إن فزع ذلك اليوم ليرهب الملائكه الذين لا ذنب لهم ، وترعد منه السبع الشداد ، والجبال الأوتاد ، والأرض المهاد ، وتنشق السماء فهى يومئذ واهيه

وتصير ورده كالدهان ، وتكون الجبال كثيباً مهيلاً بعد ما كانت صُمّاً صِلاباً وينفخ فى الصور فيفزع من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله .

فكيف من عصى بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن إن لم يغفر الله له ويرحمه من ذلك اليوم ، لأنه يقضى ويصير إلى غيره ، إلى نار قعرها بعيد ، وحرها شديد ، وشرابها صديد ، وعذابها جديد ، ومقامعها حديد . لا يفتر عذابها ، ولا يموت سكانها . دار ليس فيها رحمه ، ولا يسمع لأهلها دعوه .

واعلموا يا عباد الله ، أن مع هذا رحمه الله التى لا تعجز عن العباد ، جنه عرضها كعرض السماء والأرض ، أعدت للمتقين ، خيرٌ لا يكون معها شرٌّ أبداً ، لذّاتها لا تمل ، ومجتمعها لا يتفرق ، سكانها قد جاوروا الرحمن ، وقام بين أيديهم الغلمان ، بصحاف من الذهب فيها الفاكهه والريحان .

ثم اعلم يا محمد بن أبى بكر ، أنى قد وليتك أعظم أجنادى فى نفسى: أهل مصر ، فإذْ وليتك ما وليتك من أمر الناس ، فأنت حقيق أن تخاف منه على نفسك ، وأن تحذر منه على دينك ، فإن استطعت أن لا تسخط ربك عز وجل برضا أحد من خلقه فافعل ، فإن فى الله عز وجل خلفاً من غيره ، وليس فى شئ سواه خلف منه .

إشتدَّ على الظالم وخذ عليه ، ولن لأهل الخير وقربهم ، واجعلهم بطانتك وإخوانك . وانظر إلى صلاتك كيف هى ، فإنك إمام القوم ينبغى لك أن تتمها ولاتخففها ، فليس من إمام يصلى بقوم يكون فى صلاتهم نقصان إلا كان عليه . وتممها وتحفظ فيها يكن لك مثل أجورهم ، ولا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً .

ثم انظر إلى الوضوء فإنه من تمام الصلاه ، وتمضمض ثلاث مرات ، واستنشق ثلاثاً ، واغسل وجهك ، ثم يدك اليمنى ، ثم يدك اليسرى ، ثم امسح رأسك ورجليك ، فإنى رأيت رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) يصنع ذلك . واعلم أن الوضوء نصف الإيمان .

ثم ارتقب وقت الصلاه فصلها لوقتها ، ولا تعجل بها قبله لفراغ ، ولا تؤخرها عنه لشغل ، فإن رجلاً سأل رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) عن أوقات الصلاه فقال رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) : أتانى جبرئيل (عليه السّلام) فأرانى وقت الصلاه فصلى الظهر حين زالت الشمس فكانت على حاجبه الأيمن، ثم أرانى وقت العصر فكان ظل كل شئ مثله ، ثم صلى المغرب حين غربت الشمس ، ثم صلى العشاء الآخره حين غاب الشفق ، ثم صلى الصبح فغلس بها والنجوم مشتبكه ، فصل لهذه الأوقات ، والزم السنه المعروفه ، والطريق الواضح .

ثم انظر ركوعك وسجودك ، فإن رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) كان أتم الناس صلاه ، وأخفهم عملاً فيها. واعلم أن كل شئ من عملك تبعٌ لصلاتك ، فمن ضيع الصلاه ، فإنه لغيرها أضيع.

أسأل الله الذى يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى، أن يجعلنا وإياك ممن يحب ويرضى ، حتى يعيننا وإياك على شكره وذكره وحسن عبادته وأداء حقه ، وعلى كل شئ اختار لنا فى دنيانا وآخرتنا .

وأنتم يا أهل مصر فليصدق قولكم فعلكم، وسركم علانيتكم ، ولا تخالف ألسنتكم قلوبكم ، واعلموا أنه لا يستوى إمام الهدى وإمام الردى ، ووصى النبى وعدوه . وقد قال رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) : إنى لا أخاف على أمتى مؤمناً ولا مشركاً ، أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه وأما المشرك فيخزيه الله ويقمعه بشركه ولكنى أخاف عليكم كل منافق حلو اللسان ، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون ، ليس به خفاء . وقد قال النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) : من سرته حسناته وساءته سيئاته فذلك المؤمن حقاً. وكان يقول (صلّى الله عليه و آله وسلّم) : خصلتان لا يجتمعان فى منافق: حسن سمت ، وفقه فى سنه .

يا محمد بن أبى بكر ، إعلم أن أفضل الفقه الورع فى دين الله ، والعمل بطاعته ، وإنى أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيتك وعلى أى حال كنت عليه .

الدنيا دار بلاء ، والآخره دار الجزاء ودار البقاء ، فاعمل لما يبقى ، واعدل عما يفنى ، ولا تنس نصيبك من الدنيا.

إنى أوصيك بسبع هن جوامع الإسلام: تخشى الله عز وجل ولا تخشى الناس فى الله ، وخير القول ما صدقه العمل ، ولا تقض فى أمر واحد بقضاءين مختلفين فيختلف أمرك وتزيغ عن الحق ، وأحب لعامه رعيتك ما تحب لنفسك وأهل بيتك ، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك ، فإن ذلك أوجب للحجه وأصلح للرعيه ، وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف فى الله لومه لائم ، وانصح المرء إذا استشارك ، واجعل نفسك أسوه لقريب المسلمين وبعيدهم ، واجعل نفسك أسوه لقريب المسلمين وبعيدهم . وأمر بالمعروف وَانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور.

جعل الله عز وجل مودتنا فى الدين ، وحلانا وإياكم حليه المتقين ، وأبقى لكم طاعتكم ، حتى يجعلنا وإياكم بها إخواناً ، على سرر متقابلين .

أحسنوا أهل مصر مؤازره محمد أميركم ، واثبتوا على طاعتكم تردوا حوض نبيكم (صلّى الله عليه و آله وسلّم) . أعاننا الله وإياكم على ما يرضيه . والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته ». (وراجع: تحف العقول لابن شعبه الحرانى/۱۷۶).

ص: ۱۱۶

ملاحظه على هذه الرساله

تضمنت الرساله حقائق هامه عن عقيده الإسلام ، ونظرته الى الحياه الدنيا والحياه الآخره ، وكيفيه تعامل الإنسان المسلم معهما .

وهدف أمير المؤمنين (عليه السّلام) منهاتثبيت عقائد الإسلام فى نفوس المصريين . ونلاحظ أنه يخاطبهم كما يخاطب خاصه المسلمين ، مما يدل على أن إيمانهم ووعيهم كان عالياً ، وأنهم أهلٌ لاستيعاب حقائق الإسلام والقرآن ، وسلوك الأبرار الأتقياء أهل حقائق العمل للآخر ه .

ولا شك أن للحضاره المصريه والديانه المسيحيه التى كانت منتشره فيها ، تأثيرهما فى رفع مستوى فهم المصريين لحقائق الإسلام .

فحرىٌّ بكل مصرى أن يقرأ هذه الرساله ويتدبر فيها ، لأنه مخاطب بها من أمير المؤمنين ، وباب مدينه علم النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) .

أجوبه أمير المؤمنين (عليه السّلام) على مسائل محمد بن أبى بكر

فى كتاب الغارات للثقفى:١/٢٣٠: « كتب محمد بن أبى بكر إلى على بن أبى طالب (عليه السّلام) ، وهو إذ ذاك بمصر يسأله جوامع من الحرام والحلال والسنن والمواعظ ، فكتب إليه: لعبد الله أمير المؤمنين من محمد بن أبى بكر: سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإن رأى أمير المؤمنين أرانا الله وجماعه المسلمين فيه أفضل سرورنا وأملنا فيه ، أن يكتب

لنا كتاباً فيه فرائض وأشياء مما يبتلى به مثلى من القضاء بين الناس فعل ، فإن الله يعظم لأمير المؤمنين الأجر ويحسن له الذخر .

فكتب إليه على (عليه السّلام) : بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى محمد بن أبى بكر وأهل مصر.

سلام عليكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فقد وصل إلى كتابك فقرأته وفهمت ما سألتنى عنه ، وأعجبنى اهتمامك بما لا بد لك منه ، وما لايصلح المسلمين غيره ، وظننت أن الذى دلك عليه نيه صالحه ورأى غير مدخول ولا خسيس . وقد بعثت إليك أبواب الأقضيه جامعاً لك فيها ، ولا قوه إلا بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكتب إليه عما سأله من القضاء ، وذكر الموت ، والحساب ، وصفه الجنه والنار ، وكتب فى الإمامه ، وكتب فى الوضوء ، وكتب إليه فى مواقيت الصلاه ، وكتب إليه فى الركوع والسجود ، وكتب إليه فى الأدب ، وكتب إليه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكتب إليه فى الصوم والإعتكاف وكتب إليه فى الزنادقه ، وكتب إليه فى نصرانى فجر بامرأه مسلمه ، وكتب إليه فى أشياء كثيره لم يحفظ منها غير هذه الخصال ، وحدثنا ببعض ما كتب إليه .

قال إبراهيم: فحدثنا يحيى بن صالح... عن عبايه أن علياً (عليه السّلام) كتب إلى محمد بن أبى بكر ، وأهل مصر:

أما بعد ، فإنى أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيته ، وعلى أى حال كنت عليها ، واعلم أن الدنيا دار بلاء وفناء ، والآخره دار بقاء وجزاء ، فإن استطعت أن تؤثر ما يبقى على ما يفنى فافعل ، فإن الآخره تبقى وإن الدنيا تفنى ، رزقنا الله وإياك بصراً لما بصرنا ، وفهماً لما فهمنا ، حتى لا نقصر عما أمرَنا به ، ولا نتعدى إلى ما نهانا عنه ، فإنه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخره أحوج ، فإن عرض لك أمران أحدهما للآخره والآخر للدنيا ، فابدأ بأمر الآخره .

ولتعظم رغبتك فى الخير ، ولتحسن فيه نيتك ، فإن الله عز وجل يعطى العبد على قدر نيته ، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان إن شاء الله كمن عمله ، فإن رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) قال حين رجع من تبوك: لقد كان بالمدينه أقوام ما سرتم من مسير ولا هبطتم من واد ، إلا كانوا معكم . ما حبسهم إلا المرض يقول: كانت لهم نيه .

ثم إعلم يا محمد أنى وليتك أعظم أجنادى فى نفسى: أهل مصر، وإذ وليتك ما وليتك من أمر الناس ، فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك ، وتحذر فيه على دينك ، ولو كان ساعه من نهار ، فإن استطعت أن لا تسخط فيها ربك

لرضى أحد من خلقه فافعل ، فإن فى الله خلفاً من غيره ، وليس فى شئ غيره خلف منه ، فاشتد على الظالم ، ولِنْ لأهل الخير ، وقربهم إليك ، واجعلهم بطانتك ، وإخوانك . والسلام .

« بعث على (عليه السّلام) محمد بن أبى بكر أميراً على مصر فكتب إلى على (عليه السّلام) يسأله عن رجل مسلم فجر بامرأه نصرانيه ، وعن زنادقه فيهم من يعبد الشمس والقمر ، وفيهم من يعبد غير ذلك ، وفيهم مرتد عن الإسلام ، وكتب يسأله من مُكاتب مات وترك مالاً وولداً ؟

فكتب إليه على (عليه السّلام) : أن أقم الحد فيهم على المسلم الذى فجر بالنصرانيه ، وادفع النصرانيه إلى النصارى يقضون فيها ما شاؤوا.

وأمره فى الزنادقه أن يقتل من كان يدعى الإسلام ، ويترك سائرهم يعبدون ما شاؤوا ، وأمره فى المكاتب إن كان ترك وفاء لمكاتبته فهو غريم بيد مواليه يستوفون ما بقى من مكاتبته ، وما بقى فلولده ».

كُتُب على (عليه السّلام) لمحمد بن أبى بكر تقع فى يد معاويه

كان فيما استولى عليه ابن العاص الكتب التى كتبها على (عليه السّلام) الى محمد بن أبى بكر ، فأرسلها عمرو الى معاويه .

قال الثقفى فى الغارات:۱/۲۵۱: « فلما ظهر عليه وقتل أخذ عمرو بن العاص كتبه أجمع، فبعث بها إلى معاويه بن أبى سفيان ، وكان معاويه ينظر فى هذا الكتاب ويعجبه ، فقال الوليد بن عقبه وهو عند معاويه لما رأى إعجاب معاويه به: مُرْ بهذه الأحاديث أن تحرق . فقال له معاويه: مه يا ابن أبى معيط إنه لا رأى لك ، فقال له الوليد: إنه لا رأى لك ، أفمن الرأى أن يعلم الناس أن أحاديث أبى تراب عندك تتعلم منها وتقضى بقضائه ، فعلام تقاتله؟! فقال معاويه: ويحك أتأمرنى أن أحرق علماً مثل هذا ! والله ما سمعت بعلم أجمع منه ، ولا أحكم ، ولا أوضح !

فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وقضائه ، فعلامَ تقاتله ؟

فقال معاويه: لولا أن أبا تراب قتل عثمان ، ثم أفتانا لأخذنا عنه !

ثم سكت هنيئه ثم نظر إلى جلسائه فقال: إنا لا نقول: إن هذه من كتب على بن أبى طالب ، ولكنا نقول: إن هذه من كتب أبى بكر الصديق كانت عند ابنه محمد ، فنحن نقضى بها ونفتى .

فلم تزل تلك الكتب فى خزائن بنى أميه حتى ولىَ عمر بن عبد العزيز ، فهو الذى أظهر أنها من أحاديث على بن أبى طالب (عليه السّلام) ».

أقول: يظهر أن سياسه النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) والأئمه (عليه السّلام) أن يكون العلم فى الأمه حتى ظهور المهدى (عليه السّلام) ، محصوراً بالقرآن ، وما روته الأمه عن النبى والأئمه صلوات الله عليهم ، بطرقها العاديه .

لذلك أملى النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) كتباً وقال لعلى (عليه السّلام) : أكتب لك ولشركائك . وجعلها عند على والأئمه (عليه السّلام) حتى يظهر المهدى (عليه السّلام) فيظهرها.

وكأن ذلك عملٌ بقوله تعالى: وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ .

ويبدو أن ماكتبه أمير المؤمنين (عليه السّلام) لمحمد بن أبى بكر كان علماً خاصاً به ، لايريد أن يصل الى أعدائه .

وقد روى أن أمير المؤمنين (عليه السّلام) تأسف على وقوع تلك الكُتب فى يد معاويه ، ووصف عمله بأنه خطأ وعثره ! ففى الغارات:١/٢٥٢ ، عن عبد الله بن سلمه قال:صلى بنا على (عليه السّلام) فلما انصرف قال:

لقد عثرتُ عثرةً لا أعتذرْ

سوف أكِيسُ بعدها وأستمرْ

وأجمع الأمر الشَّتيتَ المنتشر

قلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين ، سمعنا منك كذا ؟قال: إنى استعملت محمد بن أبى بكر على مصر، فكتب إلى أنه لا علم لى بالسنه ، فكتبت إليه كتاباً فيه السنه

فقتل وأخذ الكتاب). وإذا صح ذلك فهو خطأ بمعنى ترك الأولى، لابمعنى فعل الحرام. على أنه (عليه السّلام) استهد ببيت الشعر ، وليس فى ذلك تصريح بالخطأ .

رساله محمد بن أبی بکر الی معاویه وجوابه

« کتب محمد بن أبی بکر إلی معاویه احتجاجاً علیه:

بسم الله الرحمن الرحیم من محمد بن أبی بکر ، إلی الغاوی معاویه بن صخر، سلام الله علی أهل طاعه الله ممن هو أهل دین الله ، وأهل ولایه الله .

أما بعد ، فإن الله بجلاله وسلطانه خلق خلقاً بلا عبث منه ، ولا ضعف به، ولکنه خلقهم عبیداً فمنهم شقی وسعید وغوی ورشید. ثم اختارهم علی علم منه واصطفی وانتخب منهم محمداً (صلّی الله علیه و آله وسلّم) واصطفاه لرسالته وائتمنه علی وحیه ، فدعا إلی سبیل ربه بالحکمه والموعظه الحسنه. فکان أول من أجاب وأناب ، وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علی بن أبی طالب ، فصدقه بالغیب المکتوم ، وآثره علی کل حمیم ، ووقاه من کل مکروه ، وواساه بنفسه فی کل خوف .

وقد رأیتک تساویه وأنت أنت ، وهو هو المبرز والسابق فی کل خیر ، وأنت اللعین ابن اللعین ، لم تزل أنت وأبوک تبغضان وتبغیان فی دین الله الغوائل ، وتجتهدان علی إطفاء نور الله ، تجمعان الجموع علی ذلک ، وتبذلان فیه الأموال ، وتُحالفان علیه القبائل .

ص: ۱۲۳

على ذلك مات أبوك ، وعليه خلفته أنت ، فكيف لك الويل تعدل بعلى وهو وارث علم رسول الله ووصيه ، وأول الناس له اتباعاً ، وآخرهم به عهداً ، وأنت عدوه وابن عدوه !

فتمتع بباطلك ما استطعت ، وليمددك ابن العاص فى غوايتك ، فكأن أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ، ثم تستبين لك لمن تكون العاقبه العليا. والسلام على من اتبع الهدى .

فأجابه معاويه: هذا إلى الزارى على أبيه ، محمد بن أبى بكر ، سلام على أهل طاعه الله ، أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر فيه ما الله أهله فى قدرته وسلطانه ، مع كلام ألفته ورصفته لرأيك فيه ، وذكرت حق على وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله ، ونصرته ومواساته إياه فى كل خوف وهول وتفضيلك علياً وعيبك لى بفضل غيرك لا بفضلك ، فالحمد لله الذى صرف ذلك عنك ، وجعله لغيرك .

وقد كنا وأبوك معنا فى زمن نبينا نرى حق علىٍّ لازماً لنا ، وسبقه مبرزاً علينا ، فلما اختار الله لنبيه ما عنده ، وأتم له ما وعده ، وقبضه الله إليه ، كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه على ذلك واتفقا ، ثم دعواه الى أنفسهما فأبطأ عليهما ، فهمَّا به الهموم وأرادا به العظيم ، فبايع وسلم لأمرهما لا

يشركانه فى أمرهما ، ولا يطلعانه على سرهما ، حتى قضى الله من أمرهما ما قضى .

ثم قام بعدهما ثالثهما يهدى بهداهما ويسير بسيرتهما ، فعبته أنت وأصحابك حتى طمع فيه الأقاصى من أهل المعاصى ، حتى بلغتما منه مناكما ، وكان أبوك مهد مهاده .

فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله ، وإن يك جوراً فأبوك سنه ، ونحن شركاؤه وبهداه اقتدينا ، ولولا ماسبقنا إليه أبوك ما خالفنا علياً ولسلمنا له. ولكنا رأينا أباك فعل ذلك فأخذنا بمثاله ، فعب أباك أو دعه . والسلام على من تاب وأناب ». (الإحتجاج: ١/٢٦٩).

رساله الإمام (عليه السّلام) الى محمد عندما عين الأشتر مكانه

فى نهج البلاغه:٣/٥٩: « ومن كتاب له (عليه السّلام) إلى محمد بن أبى بكر ، لما بلغه توجّده من عزله بالأشتر عن مصر ، ثم توفى الأشتر فى توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها:

أما بعد فقد بلغنى موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك ، وإنى لم أفعل ذلك استبطاءً لك فى الجهد ، ولا ازدياداً فى الجد . ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك ، لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونه ، وأعجب إليك ولايه . إن الرجل الذى كنت وليته أمر مصر كان لنا رجلاً ناصحاً ، وعلى عدونا

شديداً ناقماً ، فرحمه الله فلقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ، ونحن عنه راضون ، أولاه الله رضوانه ، وضاعف الثواب له . فأصحر لعدوك ، وامض على بصيرتك ، وشمر لحرب من حاربك ، وادع إلى سبيل ربك ، وأكثر الإستعانه بالله يكفك ما أهمك ويُعِنْك على ما نزل بك ، إن شاء الله ».

وفى الغارات:۱/۳۰۱: « عن مالك بن الجون الحضرمى أن علياً (عليه السّلام) قال: رحم الله محمداً ، كان غلاماً حدثاً ، أما والله لقد كنت أردت أن أولِّى المرقال هاشم بن عتبه بن أبى وقاص مصر، والله لو أنه وليها لما خلى لعمرو بن العاص وأعوانه العرصه ، ولما قتل إلا وسيفه فى يده ، بلا ذم لمحمد بن أبى بكر ، فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه ».

غزو معاويه لمصر بعد معركه صفين

روى الثقفى فى الغارات:۱/۲۷۰، عن عبد الله بن حواله الأزدى: « إن أهل الشام لما انصرفوا من صفين كانوا ينتظرون ما يأتى به الحكمان .

فلما انصرفا وتفرقا ، وبايع أهل الشام معاويه بالخلافه، فلم يزدد معاويه إلا قوه ، واختلف أهل العراق على على (عليه السّلام) ، فما كان لمعاويه همٌّ إلا مصر، وقد كان لأهلها هائباً لقربهم منه وشدتهم على من كان على رأى عثمان، وقد كان

علم أن بهـا قومـاً قـد سـاءهم قتل عثمان وخالفوا علياً (عليه السّلام) مع أنه كان يرجو أن يكون له فيها معاونه إذا ظهر عليها على حرب على (عليه السّلام) ، لعِظم خراجها .

قـال: فـدعا معـاويه من كـان معه من قريش: عمرو بن العـاص السـهمى، وحبيب بن مسـلمه الفهرى ، وبسـر بن أرطـاه العـامرى ، والضـحاك بن قيس الفهرى ، وعبـد الرحمن بن خالـد بن الوليـد . ودعـا من غير قريش نحو شـرحبيل بن السـمط ، وأبى الأعور السلمى ، وحمزه بن مالك الهمدانى ، فقال: أتدرون لماذا دعوتكم ؟

قـالوا: لاـ ، قال: فإنى دعوتكم لأمر هو لى مهم ، وأرجو أن يكون الله قـد أعان عليه ، فقال له القوم كلهم: أو من قال له منهم: إن الله لم يطلع على غيبه أحداً وما ندرى ما تريد ؟

فقال له عمرو بن العاص: أرى والله إن أمر هذه البلاد لكثره خراجها وعدد أهلها قد أهمك، فدعوتنا لتسألنا عن رأينا فى ذلك ، فإن كنت لذلك دعوتنا وله جمعتنا ، فاعزم واصـرم ، ونعم الرأى ما رأيت ، إن فى افتتاحها عزك وعز أصحابك وكبت عدوك وذل أهـل الخلاف عليك . فقال له معاويه مجيباً: أهمك يا ابن العاص ما أهمك ؟ وذلك أن عمرو بن العاص كان بايع معاويه على قتال على بن أبى طالب (عليه السّلام) وأن له مصر طُعْمَةً ما بقى!

فأقبل معاويه على أصحابه وقال: إن هذا يعنى ابن العاص قد ظن وقد حقق ظنه ، قالوا له: لكنا لا ندرى ولعل أبا عبد الله قد أصاب . فقال عمرو: وأنا أبو عبد الله إن أشبه الظنون ما شابه اليقين .

ثم إن معاويه حمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فقد رأيتم كيف صنع الله لكم فى حربكم هذه على عدوكم ، ولقد جاؤوكم وهم لا يشكون أنهم يستأصلون بيضتكم ويحوزون بلادكم . ما كانوا يرون إلا أنكم فى أيديهم ، فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكفاكم مؤونتهم وحاكمتموهم إلى الله فحكم لكم عليهم ، ثم جمع لنا كلمتنا ، وأصلح ذات بيننا ، وجعلهم أعداء متفرقين ، يشهد بعضهم على بعض بالكفر ، ويسفك بعضم دم بعض، والله إنى لأرجو أن يتم الله لنا هذا الأمر .

وقد رأيت أن أحاول حرب مصر ، فماذا ترون ؟

فقال له عمرو: قد أخبرتك عما سألت ، وأشرت عليك بما سمعت. فقال معاويه للقوم: ما ترون؟ فقالوا: نرى مارأى عمرو. فقال معاويه:إن عمراً قد عزم وصرم بما قال ، ولم يفسر كيف ينبغى أن نصنع . قال عمرو:فإنى أشير عليك كيف تصنع، أرى أن تبعث جيشاً كثيفاً ، عليهم رجل صارم تأمنه وتثق به ، فيأتى مصر فيدخلها فإنه سيأتيه من كان من أهلها على مثل رأينا فيظاهره على من كان بها من عدونا، فإن اجتمع بها جندك ومن كان بها

من شيعتك على من بها من أهل حربك ، رجوت أن يعز الله نصرك ويظهر فَلَجك .

قال له معاويه: هل عندك شئ غير هذا نعمله فيما بيننا وبينهم قبل هذا؟ قال: ما أعلمه .قال معاويه: فإن رأيى غير هذا ، أرى أن نكاتب من كان بها من شيعتنا ومن كان بها من عدونا، فأما شيعتنا فنأمرهم بالثبات على أمرهم ونمنيهم قدومنا عليهم ، وأما من كان بها من عدونا فندعوهم إلى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوفهم حربنا فإن صلح لنا ما قبلهم بغير حرب ولا قتال فذلك ما أحببنا ، وإلا فحربهم بين أيدينا ، إنك يا ابن العاص لامرؤ بورك لك فى العجله ، وأنا أمرؤ بورك لى فى التؤده .

قال له عمرو:فاعمل بما أراك الله ، فوالله ما أرى أمرك وأمرهم يصير إلا إلى الحرب العوان .

قال: فكتب معاويه عند ذلك إلى مسلمه بن مخلد الأنصارى ، وإلى معاويه بن حديج الكندى ، وكانا قد خالفا علياً (عليه السّلام) :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله عز وجل قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظم به أجركما ورفع به ذكركما وزينكما به فى المسلمين ، طلبتما بدم الخليفه المظلوم ، وغضبتما لله إذ ترك حكم الكتاب ، وجاهدتما أهل الظلم والعدوان ، فأبشرا برضوان الله ، وعاجل نصره أولياء الله ، والمواساه لكما

فى دار الدنيا وسلطاننا ، حتى ينتهى ذلك إلى ما يرضيكما ويؤدى به حقكما ، فالزما أمركما ، وجاهدا عدوكما ، وادعوا المدبرين عنكما إلى هداكما ، فكأن الجيش قد أظل عليكما فانقشع كل ما تكرهان، ودام كل ما تهويان، والسلام عليكما . وبعث بالكتاب مع مولى له يقال له: سبيع فخرج الرسول بكتابه حتى قدم به عليهما بمصر ، ومحمد بن أبى بكر يومئذ أميرها قد ناصبه هؤلاء النفر الحرب بها ، وهم عنه متنحون يهابون الإقدام عليه ، فدفع

الكتاب إلى مسلمه بن مخلد ، فلما قرأه قال له: إلق به معاويه بن حديج ، ثم إلقنى به حتى أجيب عنى وعنه .

فانطلق الرسول بكتاب معاويه فأقرأه إياه ، ثم قال له: إن مسلمه قد أمرنى أن أرد الكتاب إليه لكى يجيب معاويه عنك وعنه .

قال: قل له فليفعل ، فأتى مسلمه بالكتاب فكتب مسلمه الجواب عنه وعن معاويه بن حديج:

إلى معاويه بن أبى سفيان: أما بعد فإن هذا الأمر الذى قد ندبنا له أنفسنا وابتعثنا الله به على عدونا ، أمر نرجو به ثواب ربنا والنصر على من خالفنا ، وتعجيل النقمه على من سعى على إمامنا ، وطأطأ الركض فى جهادنا . ونحن بهذه الأرض قد نفينا من كان بها من أهل البغى، وأنهضنا من كان بها من أهل القسط والعدل، وقد ذكرت مؤازرتك فى سلطانك وذات يدك

وبـالله إنه لاـ من أجـل مـال غضـبنا ولاـ إياه أردنا ، فإن يجمع الله لنا ما نريـد ونطلب ، ويؤتنا ما نتمنى فإن الـدنيا والآخره لله رب العـالمين ، وقـد يؤتيهمـا الله معـاً عالمـاً من خلقه ، كمـا قـال فى كتـابه: فَآتَـاهُمُ اللهُ ثَـوَابَ الـدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآـخِرَهِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِـنِينَ . عجل علينا بخيلك ورجلك ، فإن عـدونا قد كان علينا حرباً، وكنا فيهم قليلاً، وقد أصـبحوا لنا هائبين وأصـبحنا لهم منابذين فإن يأتنا مدد من قبلك يفتح الله عليك. ولا قوه إلا به وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال: فجاء هذا الكتاب معاويه وهو يومئذ بفلسطين ، فدعا النفر الذين سميناهم من قريش وغيرهم وأقرأهم الكتاب وقال لهم: ماذا ترون؟ قالوا: نرى أن تبعث إليهم جنداً من قبلك ، فإنك مفتتحها إن شاء الله .

قـال معـاويه: فتجهز إليهـا يا أبا عبـد الله يعنى عمرو بن العاص فبعثه فى سـته آلاف رجل ، فخرج يسـير وخرج معه معاويه يودعه فقال له معاويه عند وداعه إياه: أوصـيك بتقوى الله يا عمرو ، وبالرفق فإنه يمن ، وبالتؤده فإن العجله من الشيطان ، وبأن تقبل من أقبل ، وأن تعفو عمن أدبر ، أنظره فإن تاب وأناب قبلت منه ، وإن أبى فإن السطوه بعد المعرفه أبلغ فى الحجه وأحسن فى العاقبه ، وادع الناس إلى الصلح والجماعه ، فإن أنت ظفرت ، فليكن أنصاركَ آثر الناس عندك ، وكل الناس فأول حسناً .

قال: فسار عمرو فى الجيش حتى دنا من مصرفاجتمعت إليه العثمانيه فأقام وكتب إلى محمد بن أبى بكر: أما بعد فتنحَّ عنى بدمك يا ابن أبى بكر ، فإنى لا أحب أن يصيبك منى ظفر ، وإن الناس بهذه البلاد قد أجتمعوا على خلافك ، ورفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، وهم مُسْلِمُوكَ لو قد التقت حلقتا البطان ، فاخرج منها إنى لك من الناصحين . والسلام .

قال:وبعث عمرو أيضاً مع هذا الكتاب بكتاب معاويه إليه وفيه: أما بعد فإن غب البغى والظلم عظيم الوبال ، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمه فى الدنيا ، والتبعه الموبقه فى الآخره ، وما نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغياً ، ولا أسوأ له عيباً ، ولا أشد عليه خلافاً منك. سعيت عليه فى الساعين ، وساعدت عليه مع المساعدين ، وسفكت دمه مع السافكين ، ثم أنت تظن أنى عنك نائم ، ثم تأتى بلده فتأمن فيها وجل أهلها أنصارى ، يرون رأيى ويرقبون قولى ويستصرخوننى عليك .

وقد بعثت إليك قوماً حناقاً عليك ، يستسفكون دمك ، ويتقربون إلى الله بجهادك ، قد أعطوا الله عهداً ليقتلنك ، ولو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدى غيرهم من أوليائه ، فأحذرك وأنذرك ، وأحب أن يقتلوك بظلمك ووقيعتك وعدوانك على عثمان يوم الدار ، تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه وأوداجه ، ولكنى أكره أن تقتل ولن يسلمك

الله من القصاص أين كنت. والسلام . قال: فطوى محمد بن أبى بكر كتابيهما وبعث بهما إلى على (عليه السّلام) وكتب إليه: أما بعد فإن العاصى ابن العاص قد نزل أدانى مصر ، واجتمع إليه من أهل البلد كل من كان يرى رأيهم ، وقد جاء فى جيش جرار ، وقد رأيت ممن قبلى بعض الفشل ، فإن كان لك فى أرض مصر حاجه فامددنى بالأموال والرجال . والسلام .

فكتب إليه على (عليه السّلام) : أما بعد فقد جاءنى رسولك بكتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل أدانى مصر فى جيش جرار ، وأن من كان على مثل رأيه قد خرج إليه ، وخروج من كان يرى رأيه خير لك من إقامته عندك ، وذكرت أنك قد رأيت ممن قبلك فشلاً ، فلا تفشل وإن فشلوا ،

حصن قريتك ، واضمم إليك شيعتك ، وأذك الحرس فى عسكرك ، واندب إلى القوم كنانه بن بشرالمعروف بالنصيحه والتجربه والبأس ، وأنا نادب إليك الناس على الصعب والذلول ، فاصبر لعدوك وامض على بصيرتك ، وقاتلهم على نيتك ، وجاهدهم محتسباً لله ، وإن كانت فئتك أقل الفئتين ، فإن الله يعز القليل ويخذل الكثير .

وقد قرأت كتابى الفاجرين المتحابين على المعصيه ، والمتلائمين على الضلاله والمرتشيين الذين استمتعا بخلاقهما ، فلا يهدنك ارعادهما وإبراقهما ، وأجبهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله ، فإنك تجد مقالاً ما شئت . والسلام .

قال: فكتب محمد بن أبى بكر إلى معاويه جواب كتابه: أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر من أمر عثمان أمراً لا أعتذر إليك منه ، وتأمرنى بالتنحى عنك كأنك لى ناصح ، وتخوفنى بالمثله كأنك على شفيق ، وأنا أرجو أن تكون الدائره عليكم وأن يهلككم الله فى الواقعه ، وأن ينزل بكم الذل وأن تولوا الدبر ، فإن يكن لكم الأمر فى الدنيا فكم وكم لعمرى من ظالم قد نصرتم ، وكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم به ، وإلى الله المصير ، وإليه ترد الأمور ، وهو أرحم الراحمين ، والله المستعان على ما تصفون .

قال:وكتب محمد بن أبى بكر إلى عمرو بن العاص جواب كتابه: أما بعد فقد فهمت كتابك وعلمت ما ذكرت ، وزعمت أنك لا تحب أن يصيبنى منك ظفر ، فأشهد بالله إنك لمن المبطلين ، وزعمت أنك لى ناصح ، وأقسم أنك عندى ظنين ، وزعمت أن أهل البلد قد رفضونى وندموا على أتباعى ، فأولئك حزبك وحزب الشيطان الرجيم ، حسبنا الله رب العالمين ونعم الوكيل ، وتوكلت على الله العزيز الرحيم ، رب العرش العظيم .

قال: وأقبل عمرو بن العاص فقصد مصر فقام محمد بن أبى بكر فى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ثم قال: أما بعد يا معشر المؤمنين فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمه ، وينعشون الضلاله ، ويشبون نار الفتنه ، ويستطيلون بالجبريه ، قد نصبوا لكم العداوه وساروا إليكم بالجنود

فمن أراد الجنه والمغفره فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجالدهم فى الله . إنتدبوا إلى هؤلاء رحمكم الله ، مع كنانه بن بشر ، ومن يجيب معه من كنده .

فانتدب معه ألفا رجل ، وخرج محمد فى نحو ألفين ، واستقبل عمرو كنانه وهو على مقدمه محمد ، فأقبل عمرو نحو كنانه ، فلما دنا منه سرح نحوه الكتائب كتيبه بعد كتيبه ، فجعل كنانه لا يأتيه كتيبه من كتائب أهل الشام ، إلا شد عليها بمن معه فيضربها حتى يلحقها بعمرو ، ففعل ذلك مراراً ، فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاويه بن حديج الكندى ، فأتاه فى مثل الدهم فلما رأى كنانه ذلك الجيش ، نزل عن فرسه ونزل معه أصحابه ، فضاربهم بسيفه وهو يقول: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الأَخِرَهِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ . ثم ضاربهم بسيفه حتى استشهد (رحمه الله) .

وإن عمرو بن العاص لما قتل كنانه أقبل نحو محمد بن أبى بكر ، وقد تفرق عنه أصحابه ، فلما رأى ذلك محمد خرج يمضى فى الطريق حتى انتهى إلى خربه فى ناحيه الطريق فآوى إليها ، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط ، وخرج معاويه بن حديج فى طلب محمد بن أبى بكر ، حتى انتهى إلى علوج على قارعه الطريق فسألهم: هل مر بكم أحد تنكرونه؟ قالوا: لا ، فقال أحدهم: إنى دخلت تلك الخربه فإذا أنا فيها برجل جالس .

فقال ابن حديج: هو هو ورب الكعبه ، فانطلقوا يركضون حتى دخلوا عليه واستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ، فأقبلوا به نحو الفسطاط . قال: ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبى بكر إلى عمرو بن العاص ، وكان فى جنده فقال: والله لا يقتل أخى صبراً، إبعث إلى معاويه بن حديج فانهه عن قتله! فأرسل عمرو إلى معاويه أن إئتنى بمحمد ، فقال معاويه: أقتلتم كنانه بن بشر ابن عمى وأخلى عن محمد ! هيهات ، أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءه فى الزبر ! فقال محمد: إسقونى قطره من الماء . فقال معاويه: لاسقانى الله إن سقيتك قطره أبداً ، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه ظامياً محرماً فسقاه الله من الرحيق المختوم ، والله لأقتلنك يا ابن أبى بكر وأنت ظمآن ، فيسقيك الله من الحميم والغسلين !

فقال له محمد بن أبى بكر: يا ابن اليهوديه النساجه: ليس ذلك إليك ولا إلى من ذكرت ، إنما ذلك إلى الله يسقى أولياءه ويظمئ أعداءه ، وهم أنت وقرناؤك ، ومن تولاك وتوليته . والله لو كان سيفى فى يدى ما بلغتم منى ما بلغتم !

فقال له معاويه بن حديج: أتدرى ما أصنع بك ! أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار ! فقال محمد: لئن فعلتم ذلك بى فطالما فعلتم ذلك بأولياء الله ، وأيم الله إنى لأرجو أن يجعل الله هذه النار التى

تخوفنى بها علىَّ برداً وسلاماً ، كما جعلها على إبراهيم خليله ، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه ، وإنى لأرجو أن يحرقك الله وإمامك ، يعنى معاويه بن أبى سفيان ، وهذا وأشار إلى عمرو بن العاص بنار تلظى عليكم ، كلما خبت زادها الله سعيراً.

فقال له معاويه: إنى لا أقتلك ظلماً إنما أقتلك بعثمان . فقال له محمد: وما أنت وعثمان ؟ إن عثمان عمل بغير الحق وبدل حكم القرآن وقد قال الله عز وجل: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ . وأولئك هم الظالمون ، وأولئك هم الفاسقون ، فنقمنا عليه أشياء عملها، فأردنا أن يختلع من عملنا فلم يفعل ، فقتله من قتله من الناس.

فغضب معاويه بن حديج فقدمه فضرب عنقه ، ثم ألقاه فى جوف حمار وأحرقه بالنار..! وكان معاويه بن حديج ملعوناً خبيثاً ، وكان يسب على بن أبى طالب (عليه السّلام) ...

قال: وكتب عمرو بن العاص إلى معاويه بن أبى سفيان عند قتل محمد بن أبى بكر وكنايه بن بشر: أما بعد فإنا لقينا محمد بن أبى بكر وكنايه بن بشر فى جموع من أهل مصر،فدعوناهم إلى الكتاب والسنه فعصوا الحق وتهوكوا فى الضلال، فجاهدناهم فاستنصرنا الله عليهم فضرب الله وجوههم وأدبارهم

ومنحنا أكتافهم ، فقتل محمد بن أبى بكر ، وكنانه بن بشر ، والحمد لله رب العالمين . والسلام ».

وفى نهايه الإرب:١/١١٠: « فلما رأى كنانه ذلك ترجل عن فرسه وترجل أصحابه وقرأ: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ... فقاتل حتى قتل ، بعد أن قتل من أهل الشام مقتله عظيمه ، فلما رأى أصحاب محمد ذلك تفرقوا عنه فنزل محمد عن فرسه ، ومشى حتى انتهى إلى خربه فأوى إليها.. واستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ، فأقبلوا به على الفسطاط ، ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق إلى عمرو بن العاص وكان فى جنده فقال: أيقتل أخى صبراً ! فأرسل عمرو إلى معاويه بن حديج يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبى بكر كرامه لأخيه عبد الرحمن بن أبى بكر ، فقال معاويه: أيقتل كنانه بن بشر وأخلى أنا محمداً ، هيهات هيهات..!

فقال له معاويه: أتدرى ما أصنع بك ، أدخلك فى جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار! قال محمد: إن فعلتم ذلك لطالما فعلتموه بأولياء الله تعالى! ثم طال الكلام بينهما حتى أخذ معاويه محمداً ثم ألقاه فى جيفه حمار ميت ، ثم حرقه بالنار . وقيل إنه قطع رأسه وأرسله إلى معاويه بن أبى سفيان بدمشق وطيف به ، وهو أول رأس طيف به »!

ص: ١٣٨

وقال الدكتور إبراهيم حسن فى: تاريخ عمرو بن العاص/۲۶۸:« قال المقريزى إن الموقعه المذكوره كانت فى مدينه يقال لها المنشأه. وقد ذكرها اليعقوبى المسناه أما المنشأه فقد ذكرها المرحوم على مبارك باشا فى خططه فقال: يوجد من هذا الإسم عده قرى أكبرها وأشهرها منشأه أخميم ، ثم منشأه بكار ، من مديريه الجيزه ، ومنشأه سدود من مديريه المنوفيه ، ومنشأه سيوط ، ومنشأه عاصم، وهى قريه من مديريه الدقهليه بمركز دكرنس على الشاطئ الشرقى للبحر الصغير . والظاهر أن الواقعه كانت فى هذه القريه وباسمها سميت».

وقال الأستاذ صالح الوردانى فى كتاب الشيعه فى مصر/۱۰۹:«ويقع مرقده فى بلده ميت دمسيس التابعه للمنصوره ، وهناك قبر ناحيه الفسطاط يقال له محمد الصغير ، والعامه يعتقدون أنه محمد بن أبى بكر ، إلا أن الراجح أن مرقده ناحيه المنصوره » .

محاوله على (عليه السّلام) نصره محمد بن أبى بكر رضى الله عنه

تسلم محمد رضى الله عنه حكم مصر من قيس بن سعد ، وأخذ يعالج مشكله جماعه معاويه ، التى كبرت وصارت ألوف المقاتلين !

وتفاقم الخطر على محمد ، فكتب الى أمير المؤمنين (عليه السّلام) ليمده بجيش ، فتباطأ المسلمون عن إجابه أمير المؤمنين (عليه السّلام) .

وأرسل الإمام (عليه السّلام) قائداً قوياً فى الإداره والحرب ، هو مالك الأشتر رضى الله عنه ، لكن معاويه وأنصاره فى خربتا تعاونوا ودبَّروا له السم عند مشارف القاهره ، فاستشهد قبل أن يتسلم عمله من محمد بن أبى بكر ، رضى الله عنهما .

ونشطت المجموعه العثمانيه فى خَرَبْتَا ، بقياده مسلمه بن مخلد ومعاويه بن حديج ، وبسر بن أرطاه ، وكانوا بموجب اتفاقهم مع قيس بن سعد دوله داخل الدوله ، وأعلنوا الحرب على محمد بن أبى بكر ، ووعدهم معاويه أن يرسل لهم جيشاً .

روى الثقفى فى الغارات:١/٢٨٨، عن جندب بن عبد الله قال: « والله إنى لعند علىٍّ (عليه السّلام) جالس، إذْ جاءه عبد الله بن قعين جد كعب يستصرخ من قبل محمد بن أبى بكر وهو يومئذ أميرٌ على مصرفقام على (عليه السّلام) فنادى فى الناس:الصلاه جامعه ، فاجتمع الناس ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ثم قال:

أما بعد، فهذا صريخ محمد بن أبى بكر وإخوانكم من أهل مصر ، وقد سار إليهم ابن النابغه عدو الله وعدوكم ، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت ، أشد اجتماعاً على باطلهم وضلالتهم منكم

على حقكم ، فكأنكم بهم قد بدؤوكم وإخوانكم بالغزو ، فاعجلوا إليهم بالمواساه والنصر .

عباد الله إن مصر أعظم من الشام خيراً وخير أهلاً ـ فلا تُغلبوا على مصر فإن بقاء مصر فى أيديكم عزٌّ لكم ، وكبت لعدوكم . أخرجوا إلى الجرعه (بين الكوفه والحيره) لنتوافى هناك كلنا غداً ، إن شاء الله .

فلما كان الغد خرج يمشى فنزلها بكرةً فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك فلم يوافه منهم مائه رجل فرجع ، فلما كان العشى بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر وهو كئيب حزين فقال:

الحمد لله على ما قضى من أمر ، وقدر من فعل ، وابتلانى بكم أيتها الفرقه التى لاتطيع إذا أمرتُ ولا تجيب إذا دعوتُ ! لا أباً لغيركم ما تنتظرون بنصركم ربكم والجهاد على حقكم: الموتَ ، أو الذلَّ لكم فى هذه الدنيا فى غير الحق! والله لئن جاءنى الموت ، وليأتينى فليفرقن بينى وبينكم وإنى لصحبتكم لقال .

ألا ـ دينٌ يجمعكم ، ألا ـ حميةٌ تغضبكم إذْ أنتم سمعتم بعدوكم ينتقص بلادكم ، ويشن الغاره عليكم ! أوليس عجباً أن معاويه يدعو الجفاه الظلمه الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونه ، فيجيبونه فى السنه المره والمرتين والثلاث ، إلى أى وجه شاء . ثم إنى أدعوكم وأنتم أولوا النهى

وبقيه الناس ، على المعونه وطائفه منكم على العطاء ، فتختلفون وتتفرقون عنى ، وتعصوننى وتخالفون علىَّ .

فقام إليه مالك بن كعب الأرحبى فقال: يا أمير المؤمنين أنـدُب الناس معى فإنه لاعطر بعـد عروس ، لمثل هـذا اليوم كنت أدخر نفسى ، وإن الأجر لا يأتى إلا بالكره .

ثم التفت إلى الناس وقال: إتقوا الله وأجيبوا إمامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوكم ، وأنا أسير إليهم يا أمير المؤمنين .

قال: فأمر علىٌّ مناديه سـعداً مولاه فنادى: ألا سـيروا مع مالك بن كعب إلى مصر ، وكان وجهاً مكروهاً ، فلم يجتمعوا إليه شهراً ، فلما اجتمع له منهم ما اجتمع ، خرج بهم مالك بن كعب فعسـكر بظاهر الكوفه، ثم إنه خرج وخرج معه أمير المؤمنين على (عليه السّـلام) فنظروا فـإذا جميع من خرج معه نحو من ألفى رجـل، فقـال على (عليه السّـلام) : سـيروا على اسم الله ، فوالله مـا إخالكم تدركون القوم حتى ينقضى أمرهم !

قال: فخرج مالك بهم، وسار بهم خمس ليال . ثم إن الحجاج بن غزيه الأنصارى قـدم على على (عليه السّـلام) من مصـر ، وقدم عليه عبـد الرحمن بن المسـيب الفزارى من الشـام، فأما الفزارى فكان عينه (عليه السّـلام) بالشام ، وأما الأنصارى فكان مع محمد بن أبى بكر بمصـرفحدثه الأنصارى بما عاين وشـهد بهلاك محمد ، وحدثه الفزارى أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشرى من قبل عمرو بن العاص تترى يتبع بعضها على أثر بعض

بفتح مصر وقتل محمد بن أبی بکر ، وحتی أذّن معاویه بقتله علی المنبر، فقال له: یا أمیر المؤمنین ما رأیت یوماً قط سروراً مثل سرور رأیته بالشام حین أتاهم هلاک ابن أبی بکر!

فقال علی (علیه السّلام) : أما إن حزننا علی قتله علی قدر سرورهم به ، لا بل یزید أضعافاً . قال: فسرح علی (علیه السّلام) عبد الرحمن بن شریح الشامی إلی مالک بن کعب ، فرده من الطریق » .

وفی نهایه الإرب للنویری(۱/۱۱۲): « فبعث إلی مالک بن کعب فرده من الطریق ، وذلک لأنه خشی علیهم من أهل الشام قبل وصولهم إلی مصر .

واستقر أمر العراقین علی خلاف علی (علیه السّلام) فیما یأمرهم به وینهاهم عنه ، والخروج علیه والتنقد علی أحکامه وأقواله وأفعاله ، لجهلهم وقله عقلهم وجفائهم وغلظتهم ، وفجور کثیر منهم .

فکتب علی عند ذلک إلی ابن عباس وهو نائبه علی البصره ، یشکو إلیه ما یلقاه من الناس من المخالفه والمعانده...».

وقال الیعقوبی فی تاریخه:۲/۱۹۳: « وجه معاویه بن أبی سفیان عمرو بن العاص علی مصر علی شرطٍ له ، فقدِمها سنه ۳۸ ومعه جیش عظیم من أهل الشام ، فکان علی أهل دمشق یزید بن أسد البجلی ، وعلی أهل فلسطین شمیر الخثعمی، وعلی أهل الأردن أبو الأعور السلمی ومعاویه بن حدیج الکندی علی الخارجه .

فلقيهم محمد بن أبى بكر بموضع يقال له المسنَّاه ، فحاربهم محاربه شديده ، وكان عمرو يقول: ما رأيت مثل يوم المسناه ، وقد كان محمد استذمَّ إلى اليمانيه فمايل عمرو بن العاص اليمانيه، فخلَّفوا محمد بن أبى بكر وحده! فجالد ساعه ثم مضى فدخل منزل قوم خرابه ، واتبعه ابن حديج الكندى فأخذه وقتله ، وأدخله جيفه حمار وحرقه بالنار ، فى زقاق يعرف بزقاق الحوف! وبلغ علياً ضعف محمد بن أبى بكر ، ومما لأه اليمانيه معاويه وعمرو بن العاص ، فقال: ما أُتىَ محمد من حَرَض »!

معناه: ما غلبه أعداؤه لضعف دينه أو عقله ، ولكنها المقادير .

وفى الغارات:٢/٧٥٦: (فدخلوا إليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض وأمر به أن يحرق بالنار فى جيفه حمار ! ودفن فى الموضع الذى قتل فيه . فلما كان بعد سنه من دفنه أتى غلامه وحفر قبره ، فلم يجد فيه سوى الرأس ، فأخرجه ودفنه فى المسجد تحت المناره ».

وفى المواعظ للمقريزى:٣/٧٥: (فكانت ولايه محمد بن أبى بكر خمسه أشهر ، ومقتله لأربع عشره خلت من صفر ، سنه ثمان وثلاثين » .

أقول: تدل روايات غزو معاويه لمصر على أن قوات المسلمين فيها لم تكن كبيره ، فقد كان مع محمد بن أبى بكر أربعه آلاف ، ألفان مع قائد جيشه كنانه بن بشر ، وألفان معه . ولم يثبتوا فى المعركه مع قادتهم . وكان مع

عمرو العاص سته آلاف ، جاء بهم من الشام ، ولعل أهل خَرَبْتا مع معاويه بن حديج وزملائه كانوا ألفين .

وهـذا يدل على أن روايه الطبرى (٣/٣٥٣) بأن عـددهم عشـره آلاف مبالغه. ويبـدو أنه لم يكن فى الطرفين مقاتلون أولى بأس ، فأقوى جيش محمد كنانه بن بشر المتهم بقتل عثمان فقد قاتل قتالاً شديداً . ومحمد مقاتل متوسط .

أمـا جيش معـاويه فلم يكن فيهم مقاتـل مميز ، لكن الموجه السياسـيه كـانت لهم ، وكـانوا أكثر ، فهزموا جيش محمـد وكنـانه ، وقتلوهما رضى الله عنهما .

كما يدل على أن الأقباط لم يدخلوا طرفاً فى صراع الحكم فى مصر حتى بعد مضى ربع قرن على الحكم الإسلامى فيها، ودخول كثير منهم فى الإسلام .

حزن أمير المؤمنين (عليه السّلام) على محمد بن أبى بكر

قال الثقفى فى الغارات:١/٢٩٥: « وحزن على (عليه السّـلام) على محمـد بن أبى بكر حتى رؤىَ ذلك فيه وتبين فى وجهه ، وقام فى الناس خطيباً فحمـد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا وإن مصـر قـد افتتحها الفجره أولياء الجور والظلم ، الذين صدوا عن سبيل الله ، وبغوا الإسلام عوجاً . ألا وإن محمد بن أبى بكر قد استشهد (رحمه الله) ، فعند الله نحتسبه .

ص: ١۴۵

أما والله لقد كان ما علمت لممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ، ويبغض شكل الفاجر ، ويحب هَيْن المؤمن .

وإنى والله ما ألوم نفسى على تقصير ولا عجز ، وإنى بمقاساه الحرب لجد بصير ، وإنى لأقدم على الأمر وأعرف وجه الحزم ، وأقوم بالرأى المصيب فأستصرخكم معلناً ، وأناديكم نداء المستغيث معرباً، فلاتسمعون لى قولاً ولا تطيعون لى أمراً ، تُصَيِّرُون الأمور إلى عواقب المساءه ! فأنتم القوم لايدرك بكم الثار ، ولا تنقض بكم الأوتار !

دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين يوماً ، فجرجرتم علىَّ جرجره الجمل الأشدق ، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نيه فى جهاد العدو ، ولا رأى له فى اكتساب الأجر .

ثم خرج إلى منكم جُنيد متذائب ضعيف ، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، فأفٍّ لكم ! ثم نزل ، فدخل رحله .

قال: كتب على (عليه السّلام) إلى عبد الله بن العباس وهو على البصره:

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن العباس: سلام عليك ورحمه الله وبركاته ، أما بعد فإن مصر قد افتتحت ، وقد استشهد محمد بن أبى بكر فعند الله عز وجل نحتسبه. وقد كنت كتبت إلى الناس وتقدمت إليهم فى بدء الأمر ، وأمرتهم بإغاثته قبل الوقعه ،

ودعوتهم سراً وجهراً ، وعوداً وبدءاً ، فمنهم الآتى كارهاً ، ومنهم المعتل كاذباً ، ومنهم القاعد خاذلاً !

أسأل الله تعالى أن يجعل لى منهم فرجاً ومخرجاً ، وأن يريحنى منهم عاجلاً . فوالله لولا طمعى عند لقاء عدوى فى الشهاده ، وتوطينى نفسى على المنيه ، لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً .

عزم الله لنا ولكك على الرشد ، وعلى تقواه وهداه ، إنه على كل شئ قدير . والسلام .

قال ابن أبى الحديد فى شرحه(١٦/١٤٦): « أنظر إلى الفصاحه كيف تعطى هذا الرجل قيادها وتملكه زمامها . واعجب لهذه الألفاظ المنصوبه ، يتلو بعضها بعضاً كيف تواتيه وتطاوعه ، سلسةً سهلةً ،تتدفق من غير تعسف ولا تكلف ، حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال: يوماً واحداً ، ولا ألتقى بهم أبداً.

وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا فى كتاب أو خطبه ، جاءت القرائن والفواصل تاره مرفوعه ، وتاره مجروره ، وتاره منصوبه ، فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها فى التكلف أثرٌ بين ، وعلامةٌ واضحه .

وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الاعجاز فى القرآن ، ذكره عبد القاهر ، قال: أنظر إلى سوره النساء وبعدها سوره المائده: الأولى منصوبه الفواصل ، والثانيه ليس فيها منصوب أصلاً ، ولو مزجت إحدى السورتين بالأخرى

لم تمتزجا ، وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما . ثم إن فواصل كل واحد منهما تنساق سياقةً بمقتضى البيان الطبيعى ، لا الصناعه التكلفيه .

ثم انظر إلى الصفات والموصوفات فى هذا الفصل ، كيف قال: ولداً ناصحا ، وعاملاً كادحا ، وسيفاً قاطعا ، وركناً دافعا . ولو قال ولداً كادحاً وعاملاً ناصحاً ، وكذلك ما بعده لما كان صواباً ، ولا فى الموقع واقعاً .

فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسه والخصائص الشريفه ! أن يكون غلام من أبناء عرب مكه ، ينشأ بين أهله ، لم يخالط الحكماء ، وخرج أعرف بالحكمه ودقائق العلوم الإلهيه من أفلاطون وأرسطو ! ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقيه والآداب النفسانيه ، لأن قريشاً لم يكن أحد منهم مشهوراً بمثل ذلك ، وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط !

ولم يرب بين الشجعان ، لأن أهل مكه كانوا ذوى تجاره ، ولم يكونوا ذوى حرب ، وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض!

قيل لخلف الأحمر: أيما أشجع عنبسه وبسطام أم على بن أبى طالب؟ فقال: إنما يذكر عنبسه وبسطام مع البشر والناس ، لا مع من يرتفع عن هذه الطبقه ! فقيل له: فعلى كل حال . قال: والله لو صاح فى وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما .

وخرج أفصح من سحبان وقس، ولم تكن قريش بأفصح العرب ، كان غيرها أفصح منها . قالوا: أفصح العرب جرهم ، وإن لم تكن لهم نباهه .

وخرج أزهد الناس فى الدنيا ، وأعفهم ، مع أن قريشاً ذووا حرص ومحبه للدنيا . ولا غرو فيمن كان محمد (صلّى الله عليه و آله وسلّم) مربيه ومخرجه ، والعنايه الإلهيه تمده وترفده ، أن يكون منه ما كان » !

وفى الغارات للثقفى:١/٣٠٠: « فكتب إليه عبد الله بن عباس: بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله على أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس: سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمه الله وبركاته ، أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه افتتاح مصر وهلاك محمد بن أبى بكر، وأنك سألت الله ربك أن يجعل لك من رعيتك التى ابتليت بها ، فرجاً ومخرجاً . وأنا أسأل الله أن يُعلى كلمتك ، وأن يُعينك بالملائكه عاجلاً ، وأعلم أن الله صانع لك ذلك ، ومعزك ومجيب دعوتك وكابتُ عدوك ، وأخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تباطؤوا ثم نشطوا ، فارفق بهم يا أمير المؤمنين ودارهم ومَنِّهم ، واستعن بالله عليهم كفاك الله المهم . والسلام .

قال: وأخبرنى ابن أبى سيف أن عبد الله بن عباس قدم على على (عليه السّلام) من البصره فعزاه بمحمد بن أبى بكر (رحمه الله) ».

منشور أمير المؤمنين (عليه السّلام) فى أبى بكر وعمر

رواه الكلينى بسنده قال: «كتب أمير المؤمنين (عليه السّلام) بعد منصرفه من النهروان كتاباً وأمر أن يقرأ على الناس ، وذلك أن الناس سألوه عن أبى بكر وعمر وعثمان، فغضب لذلك وقال:قد تفرغتم للسؤال عما لا يعنيكم وهذه مصرُ قد افتتحت وقَتل معاويه بن خديج محمد بن أبى بكر، فيا لها من مصيبه ما أعظمها مصيبتى بمحمد ، فوالله ما كان إلا كبعض بنىَّ. سبحان الله ، بينا نحن نرجو أن نغلب القوم على ما فى أيديهم ، إذ غلبونا على ما فى أيدينا ، وأنا أكتب لكم كتاباً فيه تصريح ما سألتم إن شاء الله تعالى .

فدعا كاتبه عبيد الله بن أبى رافع فقال له:أدخل علىَّ عشرةً من ثقاتى، فقال: سمِّهم يا أمير المؤمنين ، فقال: أدخل أصبغ بن نباته ، وأبا الطفيل عامر بن واثله الكنانى ، وزر بن حبيش الأسدى ، وجويريه بن مسهر العبدى ، وخندف بن زهير الأسدى ، وحارثه بن مضرب الهمدانى ، والحارث بن عبد الله الأعور الهمدانى ، ومصابيح النخعى ، وعلقمه ابن قيس ، وكميل بن زياد ، وعمير بن زراره ، فدخلوا إليه فقال لهم: خذوا هذا الكتاب وليقرأه عبيد الله بن أبى رافع وأنتم شهود ، كل يوم جمعه ، فإن شغب شاغب عليكم فأنصفوه بكتاب الله بينكم وبينه .

ص: ١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله على أمير المؤمنين ، إلى شيعته من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد فإن الله يقول:وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ، وهو إسمٌ شرفه الله تعالى فى الكتاب ، وأنتم شيعه النبى محمد (صلّى الله عليه و آله وسلّم) كما أنه من شيعه إبراهيم ، إسمٌ غير مختص وأمر غير مبتدع ، وسلام الله عليكم ، والله هو السلام ، المؤمِّن أولياءه من العذاب المهين ، الحاكم عليكم بعدله..» .

الى آخر المنشور وهو طويل ، وفيه موقفه (عليه السّلام) من الخلافه وما حدث بعد النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) . ورواه الثقفى فى الغارات:۱/۳۰۲، وابن طاووس فى كشف المحجه/۱۷۳، وآخرون.

حزن أسماء على ابنها وعائشه على أخيها محمد

قال الثقفى فى الغارات:۱/۲۸۵: «فلما بلغ ذلك عائشه أم المؤمنين جزعت عليه جزعاً شديداً ، وقنتت فى دبر كل صلاه تدعو على معاويه بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ومعاويه بن حديج ، وقبضت عيال محمد أخيها وولده إليها ، فكان القاسم بن محمد بن أبى بكر فى عيالها...عن أبى إسحاق: أن أسماء بنت عميس لما أتاها نعىُ محمد بن أبى بكر وما صنع به كظمت حزنها، وقامت إلى مسجدها حتى تشخبت دماً».وفى روايه تشخب ثدياها دماً.

وفى الغارات:۲/۷۵۶: (ولما سمعت أمه أسماء بنت عميس بقتله كظمت الغيظ حتى شخبت ثدياها دماً . ووَجَدَ (حزن) عليه على بن أبى طالب (عليه السّلام) وجْداً عظيماً وقال: كان لى ربيباً ، وكنت أعده ولداً ، ولبنىَّ أخاً ».

وفی مقابل حزن أسماء بنت عمیس علی ابنها ، وحزن عائشه علی أخیها ، کانت فرحه ضرتها أم حبیبه «أم المؤمنین» بنت أبی سفیان أخت معاویه ، فقد ابتکرت بکیدها أسلوباً للشماته بمقتل محمد !

ففی الغارات للثقفی:۲/۷۵۷: «لما قتل ووصل خبره إلی المدینه مع مولاه سالم ومعه قمیصه ، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء ! فأمرت أم حبیبه بنت أبی سفیان زوج النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) بکبش فشُوِیَ،وبعثت به إلی عائشه وقالت: هکذا قد شُوِیَ أخوک ! فلم تأکل عائشه بعد ذلک شواء حتی ماتت»! (وروی نحوه البلاذری فی أنساب الأشراف/۴، ورواه الدمیری فی الحیوان:۱/۴۰۴.

وفی الغارات:۱/۲۸۷: «حلفت عائشه لا تأکل شواءً أبداً ، فما أکلت شواءً بعد مقتل محمد حتی لحقت بالله ! وماعثرت قط إلا قالت:تعس معاویه بن أبی سفیان وعمرو بن العاص ومعاویه بن حدیج ».

لکن عائشه مع ذلک لم تُحرض علی معاویه ، کما فعلت مع عثمان !

ففی سیر الذهبی:۲/۱۸۶: « إن معاویه لما حج قدم فدخل علی عائشه ، فلم یشهد کلامها إلا ذکوان مولی عائشه فقالت لمعاویه: أأمنتَ أن أخبئ لک رجلاً یقتلک بأخی محمد ؟ قال: صدقت »! والطبری: ۴/۲۰۵.

وفی شرح الأخبار:۲/۱۷۱، قال معاویه: « لا أخاف ذلک لأنی فی دار أمان ، لکن کیف أنا فی حوائجک ؟! قالت: صالح . قال: فدعینی وإیاهم حتی نلتقی عند الله ». ومعناه: أنه أرضاها بالمال فسکتت !

وکذلک سکت عبد الرحمن بن أبی بکر عن أخذ ثأر أخیه سکوتاً ذلیلاً ، فقد کان فی جیش عمرو العاص ، واعترض علی قتل أخیه محمد ، لکن ابن حدیج أصر علیه لأنهم قتلوا کنانه بن بشر ، وهو کندی من قبیلته ! فسکت عبد الرحمن ولم یقل شیئاً !

وکذلک سکت بنو تَیم عن الأخذ بثأر محمد بن أبی بکر من بنی أمیه . مع أن القبائل لا تسکت عاده عن ثأر ابنها ، وحتی عن ثأر حلیفها وغلامها !

معاویه خال المؤمنین ومحمد بن أبی بکر لیس خالهم !

قال إمام المعتزله أبو جعفر الإسکافی فی کتابه المعیار والموازنه/۲۱: « وأبین من هذا فی جهل الأنعام الضاله والحمُر المستنفره ، أن عائشه عندهم فی أزواج النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) أفضل من بنت أبی سفیان وأکثر فی الشهره والمعرفه ، فإذا ذکر معاویه بسوء غضبوا وأنکروا ولعنوا، وعلتهم أنه خال المؤمنین ! وإذا ذکر محمد بن أبی بکر بسوء رضوا وأمسکوا ومالوا مع ذاکره ، وخؤولته ظاهره بائنه .

وقد نفرت قلوبهم من على بن أبى طالب ، لأنه حارب معاويه وقاتله وسكنت قلوبهم عند قتل معاويه عماراً ومحمد بن أبى بكر ، وله حرمه الخؤوله ، وهو أفضل من معاويه ، وأبوه خير من أبى معاويه .

فتدبروا فيما ذكرناه ، لتعلموا أن عله القوم الخديعه والجهاله ، وإلا فما بالهم لايستنكرون قتل محمد بن أبى بكر، ولايذكرون خؤولته للمؤمنين ؟ قاتلهم الله أنى يؤفكون .

وقد مالوا عن إمامه على بن أبى طالب وضعفوها، وبعضهم نفاها بما كان من خلاف عائشه وطلحه والزبير ، وقعود ابن عمر ومحمد بن مسلمه وأسامه بن زيد ، وهؤلاء النفر الذين أوجبوا الشك فى على عندهم وضعفوا إمامته بقولهم ، هم الذين طعنوا على عثمان وألبوا عليه وذكروه بالتبديل والإستيثار ، وأولهم بادرةً عليه عائشه ، كانت تخرج إليه قميص رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) وهو على المنبر وتقول: يا عثمان هذا قميص رسول الله لم يَبْلَ وقد أبليت سنته !

فوالله ما قدح الشك فى قلوبهم فى عثمان بقولهم ، ولا قصروا عن تفصيله وتقديمه بطعنهم ، ولا أثر ذلك فى صدورهم...!

وكيف تمت بيعه أبى بكر عندكم بأبى عبيده بن الجراح وعمر بن الخطاب ، مع خلاف سعد وامتناعه من البيعه ، وخلاف الأنصار ، وأبو بكر الساعى

إليها والـداعى لها ؟! ولم تتم بيعه على بن أبى طالب بالمهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإيمان ، وهم الطالبون له والمجتمعون عليه ، وليس له نظير فى زمانه يشاكله ويعادله .

أفٍّ لهذا من مقال ، ما أبين تناقضه وأقل حياء الدائن به »!

وقـال الكراجكى فى كتـابه: التعجب من أغلاـط العـامه /١٠۴: (ومن عجيب أمر الحشـويه ووقـاحتهم فى العنـاد والعصـبيه ، أنهم يقولـون: إن معـاويه بن أبى سـفيان خـال المـؤمنين...فلم لايسـمون محمـد بن أبى بكر خـال المؤمنين ، ويكون أحق بـذلك من معاويه بن أبى سفيان...وكيف يجب أن تحفظ أم حبيبه فى أخيها معاويه ، ولم يجب أن تحفظ عائشه فى أخيها محمد » !؟

وقال ابن كثير فى تفسيره:٣/۴٧٧: (وهـل يقال لمعاويه وأمثاله: خال المؤمنين؟ فيه قولان للعلماء ، ونص الشافعى على أنه لا يقال ذلك .

وهـل يقـال لهن أمهـات المؤمنـات فيـدخل النسـاء فى جمع المـذكر السالم تغليباً؟ فيه قولان ، صـح عن عائشه أنها قالت لا يقال ذلك ، وهذا أصح الوجهين فى مذهب الشافعى ».

لم يتهنأ ابن العاص بملك مصر !

وفى تاريخ دمشق: ۴۹/۴۲۷: «وقدم عمرو بن العاص على معاويه بعد فتحه مصر فعمل معاويه طعاماً فبدأ بعمرو وأهل مصر فغداهم ، ثم خرج أهل مصر واحتبس عمرواً عنده ، ثم أدخل أهل الشام فتغدوا، فلما فرغوا من الغداء قالوا: يا أبا عبد الله بايع! قال: نعم ، على أن لى عُشْراً ، يعنى مصر!

فبايعه على أن له ولايه مصر ما كان حياً . فبلغ ذلك علياً فقال ما قال ».

يقصد قول أمير المؤمنين (عليه السّلام) : « كرَّ على العاصى بن العاصى فاستماله فمال إليه، ثم أقبل به بعد أن أطعمه مصر! وحرامٌ عليه أن يأخذ من الفئ دون قَسْمه درهماً». (الخصال/۳۷۸) .

أو قوله: « إنه لم يبايع معاويه حتى شرط له أن يؤتيه أتيَّه ، ويرضخ له على ترك الدين رضيخه » ! (نهج البلاغه:۱/۱۴۸).

وفى تاريخ اليعقوبى:۲/۲۲۱: «وكانت مصر والمغرب لعمرو بن العاص طُعْمَةً شرطها له يوم بايع! ونسخه الشرط: هذا ما أعطى معاويه بن أبى سفيان عمرو بن العاص ، مصرَ، أعطاه أهلها ، فهم له حياته »!

أقول: لاحظ أن معاويه يرى مصراً وشعبها ملك له ، فيهبهما لابن العاص ! والحمد لله أن ابن العاص كان فى آخر عمره ، فلم يتمتع بحكم مصر وواردتها ، إلا سنتين وكسراً !

روى الحاكم:٣ /٤٥٢:«لما حضرت عمرو بن العاص الوفاه قال: كِيلوا مالى، فكالوه فوجدوه اثنين وخمسين مُداً ، فقال: من يأخذه بما فيه ، يا ليته كان بعراً! قال:وكان المد سته عشر أوقيه والأوقيه منه مكوكان. ومات عمرو بن العاص يوم الفطر وقد بلغ أربعاً وتسعين سنه » .

ونقل الرواه عن عمرو حاله صحو وجرأه اعترف فيها بالحق على نفسه ! ففى تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن إبراهيم /٢٧٠: «قال عمرو بن العاص: أعجب الأشياء أن المبطل يغلب المحق! يُعَرِّض بعلى ومعاويه ! فقال معاويه: بل أعجب الأشياء أن يعطى الإنسان ما لا يستحق . يعرض بعمرو ومصر التى أخذها له طُعمه » !

وفى الإستيعاب لابن عبد البر:٣ /١١٩٠، عن الشافعى قال: « دخل ابن عباس على عمرو بن العاص فى مرضه فسلَّم عليه وقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال:أصلحت من دنياى قليلاً وأفسدت من دينى كثيراً! فلو كان الَّذى أصلحت هوالَّذى أفسدت والَّذى أفسدت هو الَّذى أصلحت لفُزت. ولو كان ينفعنى أن أطلب طلبت ولو كان ينجينى أن أهرب هربت ، فصرت كالمنجنيق بين السماء والأرض ، لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين » !

وهكذا اعترف بأنه أفسد دينه بالظلم والقتل والمعاصى ، لكنه اعتراف بعد فوات الأوان ! فمعاصيه تركت بصماتها على تاريخ المسلمين وعقائدهم !

وروى أحمد فى مسنده: ۴/۲۰۰ ، وصححه الهيتمى فى الزوائد: ۹/۳۵۳: «جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعاً شديداً ، فلما رأى ذلك ابنه عبد الله بن عمرو قال: يا أبا عبد الله ما هذا الجزع وقد كان رسول الله يدنيك ويستعملك ؟ قال: أى بنىَّ قد كان ذلك وسأخبرك عن ذلك: إنى والله ما أدرى أحباً ذلك كان أم تألفاً يتألفنى! ولكن أشهد على رجلين أنه قد فارق الدنيا وهو يحبهما: ابن سميه وابن أم عبد ».

ومعناه أنه أحس أن النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) كان يَعُدُّه من المؤلفه قلوبهم ، لا من المؤمنين !

ص: ۱۵۸

شخصیه محمد بن أبی حذیفه رضی الله عنه

۱. هو محمـد ، بن أبی حذیفه ، بن عتبه ، بن ربیعه ، بن عبد شـمس. وجده عتبه زعیم بنی أمیه ، وکان من أشد المشـرکین علی النبی (صـلّی الله علیه و آله وسلّم) ، ومع ذلک کان أعقلهم ، یفکر فی حل وسط بین قریش والنبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) فعرض علیه یومـاً أن یعبـدوا ربه یومـاً ویعبـد أصـنامهم یوماً ! فأنزل الله تعالی: قُلْ یَا أَیُّهَا الْکَافِرُونَ. لا أَعْبُـدُ مَا تَعْبُـدُونَ. وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ .

وکانوا یوماً فی دار الندوه (ابن هشام:۱/۱۹۰) فعرض علیهم عتبه أن یکلم النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) لعله یتوصل معه الی حل، فذهب الیه وکلمه فقرأ علیه النبی (صـلّی الله علیه و آله وسلّم) سوره السجده فذهل عتبه: « فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقـد جاءکم أبو الولیـد بغیر الوجه الذی ذهب به . فلما جلس إلیهم قالوا: ماوراءک یا أبا الولید؟ قال: ورائی أنی قد سـمعت قولاً والله ماسـمعت مثله قط ! والله ما هو بالشـعر ولا بالسحر ولا بالکهانه . یا معشر قریش أطیعونی واجعلوها بی ، خَلُّوا بین هذا الرجل وبین مـا هو فیه ، فـاعتزلوه ، فوالله لیکونن لقوله الـذی سـمعت منه نبأ عظیم ، فإن تصـبه العرب فقـد کفیتموه بغیرکم ، وإن یظهر علی العرب فملکه ملککم وعزه عزکم ، وکنتم أسـعد النـاس به. قـالوا: سَـحَرَکَ والله یـا أبـا الولیـد بلسانه ! قال: هـذا رأیی فیه ، فاصنعوا ما بدا لکم » !

ص: ۱۵۹

وكان عتبه أبرز قاده المشركين فى بدر ، فقال النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) عنه (ابن هشام:۲/۴۵۳): «إن يكن فى أحد من القوم خير ، فعند صاحب الجمل الأحمر ، فإن يطيعوه يرشدوا » !

ولما رأوا عزم النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) على القتال قال له حكيم بن حزام: « يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ فقال: وما ذاك ياحكيم؟ قال: تُرجع الناس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى (الذى كان قتله جيش النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم)) قال: قد فعلت ، أنت علىَّ بذلك ، إنما هو حليفى فعلىَّ عقله وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظليه ، قال ابن هشام: والحنظليه أم أبى جهل..فإنى لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره.. ثم قام عتبه خطيباً ، فقال: يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون...فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ! وما بعتبه ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكله جزور ، وفيهم ابنه قد تخوفكم عليه». (ابن هشام:۲/۴۵۴).

يقصد أبو جهل أن عتبه انتفخت أوداجه وجَبُنَ، وخاف أن يقتلوا ابنه أبا حذيفه وكان مع المسلمين ! فأثاره أبو جهل بذلك فكان أول المبارزين هو وأخوه شيبه وابنه الوليد، فقتلهم الله بيد على وحمزه وعبيده بن عبد المطلب.

«ولما أمر رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) بهم أن يلقوا فى القليب ، أخذ عتبه بن ربيعه فسحب إلى القليب ، فنظر رسول الله فيما بلغنى فى وجه أبى حذيفه بن عتبه فإذا هو كئيب قد تغير لونه ، فقال: يا أبا حذيفه لعلك قد دخلك من شأن أبيك شئ ؟ أو كما قال (صلّى الله عليه و آله وسلّم) . فقال: لا والله يا رسول الله ، ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكننى كنت أعرف من أبى رأياً وحلماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك . فدعا له رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) بخير ، وقال له خيراً » . (ابن هشام:۲/۴۶۸).

۲. أسلم أبو حذيفه بن عتبه ، وهاجر الى الحبشه مع زوجته سهله بنت سهيل بن عمرو رئيس بنى سهم ، وولد ابنه محمد فى الحبشه .

وتزوج أبو حذيفه امرأه أنصاريه تسمى ثبيته بنت يعار ، ثم طلقها وكان لها غلام فارسى هو سالم مولى أبى حذيفه ، فأعتقته ، فتبناه أبو حذيفه وزوجه بنت أخيه الوليد بن عتبه

واشتهر سالم من صغره بذكائه ودهائه ، فأعجب به عمر وأبو بكر وكان يصلى بهم على صغر سنه لأنه يحفظ القرآن: « وروى البخارى من حديث ابن عمر: كان سالم مولى أبى حذيفه يؤم المهاجرين الأولين فى مسجد قباء ، فيهم أبو بكر وعمر». (الإصابه:٣/١٢).

ثم كان سالم وأبو عبيده شريكى الشيخين فى عملهم لأخذ الخلافه وكأنهم اتفقوا على التناوب عليها ! قال فى تاريخ المدينه:٣/١٤٠: « لما طعن عمر قيل له: لو استخلفت؟ قال: لو شهدنى أحد رجلين استخلفته أنى قد اجتهدت ولم آثم أو وضعتها موضعها: أبو عبيده بن الجراح، وسالم مولى أبى حذيفه». وسالم فارسى ، لا عربى ولا قرشى.

وقد اشترك أبو حذيفه وسالم مولاه فى حرب مسيلمه الكذاب ، التى عرفت بحرب اليمامه ، واستشهدا معاً فيها .

وقد اشتهر سالم بأنه رضع وهو كبير من سهله زوجه أبى حذيفه ليحرم عليها،ولم يُروَ ذلك عن سالم ولا عن سهله مباشرةً ، بل زعمت عائشه أن النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أجاز لسهله ذلك ، وتحججت به عائشه فأرضعت بضعه رجال من أختها وزوجه أخيها ليحرموا عليها ، واستنكر ذلك نساء النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ! وقد روى عبد الرزاق فى مصنفه:٧/٤٥٨ نحو خمسين روايه فى باب رضاع الكبير ، وفيها استنكار المسلمين لعمل عائشه ، وأسماء بعض من أرضعتهم ليحرموا عليها ويدخلوا عليها !

٣. عندما استشهد أبوه ، كان محمد بن أبى حذيفه شاباً دون العشرين، ويظهر أنه عاش بعيداً عن أمه سهله ، ففى الإصابه:٨/١٩٣: « ثم تزوجت شماخ بن سعيد بن قائف بن الأوقص السلمى ، فولدت له عامراً ، ثم تزوجت عبد الله بن الأسود بن عمرو من بنى مالك بن حسل فولدت له سليطاً ، ثم تزوجت عبد الرحمن بن عوف فولدت له سالماً ، فهم إخوه محمد بن أبى حذيفه لأمه » .

وقد شارك محمد فى فتوح الشام ، وذات يوم ركب سفينه مع كعب الأحبار الذى كان المفتى لعمر وعثمان ، وكان يرافق جيش الفتح أحياناً إلى المناطق الآمنه ويزعم أنه يعرف المغيبات ويحدثهم بها ! فكان محمد بن أبى حذيفه (رحمه الله) يسخر منه ومن علمه المزعوم ! قال عمر ابن شبه فى تاريخ المدينه:٣ /١١١٧: « عن محمد بن سيرين قال: ركب كعب الأحبار ومحمد بن أبى حذيفه فى سفينه قِبَلَ الشام ، زمن عثمان فى غزوه غزاها المسلمون ، فقال محمد لكعب: كيف تجد نعت سفينتنا هذه فى التوراه تجرى غداً فى البحر! فقال كعب: يا محمد لاتسخر بالتوراه فإن التوراه كتاب الله . قال: ثم قال له (محمد) ذاك ثلاث مرات » !

وهذا يشير الى أن محمداً كان شيعياً ، لا يقبل علم كعب ، حاخام الحكومه .

وكان محمد (رحمه الله) يجيد القرآن ، فقد وصفت روايه البيهقى (٣/٢٢٥) خطبته يوم الجمعه فى مصر، فقالت: « خرج محمد بن أبى حذيفه فاستوى على المنبر فخطب وقرأ سوره ، وكان من أقرأ الناس » .

۴. تمکن معاویه من القبض علی ابن خاله محمد بن أبی حذیفه ، وقتله . وأشاع روایات متضاربه فی قتله ، لیبعد التهمه عن نفسه ، فلا ننسَ أن آل عتبه بن ربیعه الذین منهم محمد ، أشرف فی الحساب القبلی من آل حرب الذین منهم معاویه . وأن آل حرب الذین منهم معاویه أشرف من آل العاص الذین منهم عثمان !

لـذا اهتم معـاویه أن یبعـد عن نفسه قتـل ابن خاله لئلایکون لآل عتبه ثأر عنـده ، فصـرت تجـد روایات متضاربه فی مقتل محمد رضـی الله عنه ، کروایه أنه هرب من السـجن فلحقه غلاـم لمعـاویه بحـوارین قرب حمص وقتله دون علم معـاویه ! مع أن الغلاـم والجندی لایجرأ علی قتل شخص من الأسره الحاکمه بدون أمر الحاکم .

وتجـد روایه أخری أن مالک بن هبیره الکنـدی ، الـذی توسط عند معاویه لحجر بن عدی الکندی فلم یقبل وساطته وقتل حِجراً ،ف غضب وقتل محمد بن أبی حذیفه ثأراً بحجر .. وتجد روایه ثالثه ، ورابعه !

قال الطبری:۳/۵۴۸: «وفی هذه السنه أعنی سنه۳۶ قتل محمد بن أبی حذیفه، وکان سبب قتله أنه لما خرج المصریون إلی عثمان مع محمـد بن أبی بکر ، أقام بمصـر ، وأخرج عنها عبـد الله بن سـعد بن أبی سـرح وضـبطها ، فلم یزل بها مقیماً حتی قتل عثمان وبویع لعلی .

ص: ۱۶۴

وأظهر معاويه الخلاف وبايعه على ذلك عمرو بن العاص ، فسار معاويه وعمرو إلى محمد بن أبى حذيفه قبل قدوم قيس بن سعد مصر فعالجا دخول مصر فلم يقدرا على ذلك ، فلم يزالا يخدعان محمد بن أبى حذيفه حتى خرج إلى عريش مصر فى ألف رجل فتحصن بها ، وجاءه عمرو فنصب المنجنيق عليه حتى نزل فى ثلاثين من أصحابه وأخذوا وقتلوا رحمهم الله »!

وفى الإصابه:۶/۱۱: « ذكر خليفه بن خياط فى تاريخه أن علياً لما ولى الخلافه أقرَّ محمد بن أبى حذيفه على إمره مصر ، ثم ولاها محمد بن أبى بكر .

واختُلف فى وفاته ، فقال ابن قتيبه: قتله رُشدين مولى معاويه . وقال ابن الكلبى: قتله مالك بن هبيره السكونى ».

وقال الطبرى فى:۴/۸۰: « اختلف أهل السير فى وقت مقتله ، فقال الواقدى: قتل فى سنه ۳۶، وذكر خبر تحصنه فى العريش ثم قال: وأما هشام بن محمد الكلبى فإنه ذكر أن محمد بن أبى حذيفه إنما أخذ بعد أن قتل محمد بن أبى بكر ، ودخل عمرو بن العاص مصر وغلب عليها ، وزعم أن عمراً لما دخل هو وأصحابه مصر أصابوا محمد بن أبى حذيفه ، فبعثوا به إلى معاويه وهو بفلسطين فحبسه فى سجن له ، فمكث فيه غير كثير ، ثم إنه هرب من السجن ، وكان ابن خال معاويه فأرى معاويه الناس أنه قد كره انفلاته فقال لأهل الشام: من يطلبه ؟ قال: وقد كان معاويه يحب فيما يرون أن

ينجو. فقـال رجل من خثعم يقال له عبـد الله بن عمرو بن ظلام وكان رجلًا شـجاعاً وكان عثمانياً: أنا أطلبه ، فخرج فى حاله حتى لحقه بأرض البلقاء بحوران ، وقـد دخل فى غار هناك ، فجاءت حمر تدخله وقد أصابها المطر، فلما رأت الحمر الرجل فى الغار فزعت فنفرت ، فقال حصادون كانوا قريباً من الغار: والله إن لنفر هـذه الحمر من الغار لشأناً ، فـذهبوا لينظروا فإذا هم به ، فخرجوا ويوافقهم عبد الله بن عمرو بن ظلام الخثعمى فسألهم عنه ووصـفه لهم، فقالوا له: ها هوذا فى الغار ، فجاء حتى اسـتخرجه ، وكره أن يرجعه إلى معاويه فيخلى سبيله ، فضرب عنقه » .

ورووا أنه فرَّ مع أصحابه من السجن فلحقه جند معاويه وقتلوه فى فلسطين ! ففى تاريخ دمشق:٥٢/٢٧٢: « كان رجال من أصحاب النبى يحـدثون أن رسول الله (صـلّى الله عليه و آله وسـلّم) قـال: يقتل فى جبل الجليل والقطران من أصـحابى أو من أمتى ناس ، فكان أولئك النفر الذين قتلوا مع محمد بن أبى حذيفه وأصحابه ، بجبل الجليل والقطران هناك » .

وروى البلاذرى فى أنساب الأشراف:٢/٤٠٧، عده أقوال فى شهادته (رحمه الله) قال:

«ويقـال أيضـاً: إن ابن أبى حـذيفه توارى فطلبه عمرو بن العـاص حتى قـدر عليه وحمله إلى معاويه فحبسه ، ثم هرب من حبسـه فلُحق فقتل...عن الليث بن سعد قال: بلغنا أن محمد بن أبى حذيفه لما ولِىَ قيس بن سعد ،

شَخَصَ عن مصر يريد المدينه أو يريد علياً ، وبلغ معاويه خبر شخوصه فوضع عليه الأرصاد حتى أخذ وحمل إليه فحبسه ، فتخلص من الحبس ، واتبعه رجل من اليمانيه فقتله...

عن صالح بن كيسان قال: لما اجتمع أمر معاويه وعمرو بن العاص بعد الجمل وقبل صفين ، سار عمرو فی جيش إلى مصر ، فلما قرب منها لقيه محمد بن أبی حذيفه فی الناس ، فلما رأی عمرو كثره من معه أرسل إليه فالتقيا واجتمعا فقال له عمرو: إنه قد كان ما ترى وقد بايعت هذا الرجل وتابعته ، وما أنا راض بكثير من أمره ولكن له سناً ، وإنی لأعلم أن صاحبك علياً أفضل من معاويه نفساً وقدماً وأولى بهذا الأمر ، ولكن واعدنی موعداً ألتقی أنا وأنت فيه على مهل فی غير جيش ، تأتی فی مائه راكب ليس معهم إلا السيوف فی القرب وآتی فی مثلهم . فتعاقدا وتعاهدا على ذلك ، واتعدا العريش لوقت جعلاه بينهما ، ثم تفرقا ورجع عمرو إلى معاويه فأخبره الخبر ، فلما حل الأجل ، سار كل واحد منهما إلى صاحبه فی مائه راكب ، وجعل عمرو له جيشاً خلفه ، وكان ابن أبی حذيفه يتقدمه فينطوی خبره . فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمرو على أثره ، فعلم محمد أنه قد غدر به، فانحاز إلى قصر بالعريش فتحصّن فيه فرماه عمرو بالمنجنيق حتى أخذه أخذاً ، فبعث به عمرو إلى معاويه فسجنه عنده ، وكانت ابنه

قرظه امرأه معاويه ابنه عمه محمد بن أبى حذيفه ، أمها فاطمه بنت عتبه بن ربيعه، تصنع له طعاماً وترسل به إليه وهو فى السجن ، فلما سار معاويه إلى صفين أرسلت ابنه قرظه بشئ فيه مساحل من حديد إلى ابن أبى حذيفه فقطع بها الحديد عنه ، ثم جاء فاختبأ فى مغاره بجبل الذيب بفلسطين ، فدُلَّ عليه رشدين مولى أبى حذيفه أبيه ، وكان معاويه خلَّفه على فلسطين فأخذه فقال له محمد: أنشدك الله لما خلَّيت سبيلى ، فقال له: أخلى سبيلك فتذهب إلى ابن أبى طالب وتقاتل معه ابن عمتك وابن عمك معاويه ، وقد كنت فيمن شايع علياً على قتل عثمان ، فقدمه فضرب عنقه .

وقال المدائنى: وقد قيل إن محمد بن أبى حذيفه كان فى جيش محمد بن أبى بكر ، فأخذ وبعث به إلى معاويه . والله أعلم .

وقوم يقولون: أن ابن أبى حذيفه حين أخذ لم يزل فى حبس معاويه إلى بعد مقتل حجر بن عدى ، ثم إنه هرب فطلبه مالك بن هبيره بن خالد الكندى ثم السكونى ، ووضع الأرصاد عليه فلما ظفر به قتله غضباً لحجر » .

أقول: هكذا أبعد معاويه دم ابن خاله عن نفسه ، بروايات متناقضه!

وتقدم أنا نرجح أنه توجه الى المدينه قبل صفين ليلتحق بأمير المؤمنين (عليه السّلام) مع عدد قليل من أصحابه ، قبل صفين وقبل وصول قيس بعد سعد بن عباده والياً عليها لأن قيساً كان وقت حرب الجمل فى مصر، فتمكن معاويه

من القبض على محمد وأصحابه فى الطريق ، وحبسهم فى دمشق ، حتى احتال عليهم وقتلهم !

وتقدم فى روايه البلاذرى: « فلما ولِيَ قيس بن سعد ، شَخَصَ عن مصر يريد المدينه أو يريد علياً ، وبلغ معاويه خبر شخوصه فوضع عليه الأرصاد حتى أخذ وحمل إليه فحبسه ».

ويؤيده ما رواه الكشى:۱/۲۸۶:« عن أبى الحسن الرضا (عليه السّلام) قال:كان أمير المؤمنين (عليه السّلام) يقول: إن المحامده تأبى أن يعصى الله عز وجل. قلت: ومن المحامده ؟ قال محمد بن جعفر ، ومحمد بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حذيفه ، ومحمد بن أمير المؤمنين .

أما محمد بن أبى حذيفه هو ابن عتبه بن ربيعه وهو ابن خال معاويه أخبرنى بعض رواه العامه عن محمد بن إسحاق قال: حدثنى رجل من أهل الشام قال: كان محمد بن أبى حذيفه بن عتبه بن ربيعه مع على بن أبى طالب ومن أنصاره وأشياعه ، وكان ابن خال معاويه ، وكان رجلاً من خيار المسلمين ، فما توفى علىٌّ (عليه السّلام) أخذه معاويه وأراد قتله فحبسه فى السجن دهراً، ثم قال معاويه ذات يوم: ألا نرسل إلى هذا السفيه محمد بن أبى حذيفه فنُبَكِّتَهُ ونخبره بضلاله ، ونأمره أن يقوم فيسب علياً ؟ قالوا: نعم .

فبعث إليه معاويه فأخرجه من السجن ، فقاله له معاويه:يا محمد بن أبى حذيفه ألم يَأْنَ لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلاله بنصرتك على بن أبى طالب الكذاب . ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوماً ، وأن عائشه وطلحه والزبير خرجوا يطلبون بدمه ، وأن علياً هو الذى دس فى قتله ، ونحن اليوم نطلب بدمه ؟

قال محمد بن أبى حذيفه: إنك لتعلم أنى أمسُّ القوم بك رحماً ، وأعرفهم بك ؟ قال: أجل. قال فوالله الذى لا إله غيره ، ما أعلم أحداً شرك فى دم عثمان ، وألَّب الناس عليه غيرك ، لما استعملك ومن كان مثلك ، فسأله المهاجرون والأنصار أن يعز لك فأبى ، ففعلوا به ما بلغك !

ووالله ما أحد اشترك فى قتله بدءً وأخيراً إلا طلحه والزبير وعائشه ، فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمه وألبوا عليه الناس ، وشركهم فى ذلك عبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، وعمار ، والأنصار جميعاً .

قال: قد كان ذلك . قال: فوالله إنى لأشهد أنك مذ عرفتك فى الجاهليه والإسلام لعلى خلق واحد ، ما زاد فيك الإسلام قليلاً ولا كثيراً ، وإن علامه ذاك فيك لبينه !

تلومنى على حب على! خرج مع على كل صوام قوام مهاجرى وأنصارى ، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء ، خدعتهم عن دينهم

وخدعوك عن دنياك ، والله ما خفى عليك ما صنعت ، وما خفى عليهم ما صنعوا إذ أحلوا أنفسهم لسخط الله فى طاعتك !

والله لا أزال أحب علياً لله ولرسوله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) وأبغضك فى الله ورسوله ، أبداً ما بقيت! قال معاويه: وإنى أراك على ضلالك بعد . ردوه ، فردوه وهو يقرأ: قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ ».

وقد انفردت هذه الروايه بأن محمداً رضى الله عنه ، بقى فى سجن معاويه الى ما بعد شهاده أمير المؤمنين على (عليه السّلام) .

ص: ۱۷۱

ولايه مالک الأشتر علی مصر

روی الثقفی فی الغارات (۱/۲۵۴) عن المدائنی قال:«فلم یلبث ابن أبی بکر شهراً کاملاً حتی بعث إلی أولئک المعتزلین،الذین کان قیس بن سعد موادعاً لهم، فقال: یا هؤلاء إما أن تدخلوا فی طاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا . فبعثوا إلیه: إنا لا نفعل فدعنا حتی ننظر إلی ما یصیر إلیه أمر الناس فلا تعجل حربنا ، فأبی علیهم ، فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم .

ثم کانت وقعه صفین وهم لمحمد هائبون ، فلما أتاهم خبر معاویه وأهل الشام وصارت أمورهم إلی الحکومه ، وأن علیاً وأهل العراق قد رجعوا عن معاویه وأهل الشام

إلی عراقهم ، اجترؤوا علی محمد بن أبی بکر وأظهروا المنابذه له ، فلما رأی ذلک محمد بعث ابن جمهان البلوی إلیهملاـ وفیهم یزید بن الحارث من بنی کنانه فقاتلهم فقتلوه ، ثم بعث إلیهم رجلاً من کلب فقتلوه أیضاً .

وخرج معاویه بن حدیج السکسکی فدعا إلی الطلب بدم عثمان ، فأجابه ناس کثیر آخرون ، وفسدت مصر علی محمد بن أبی بکر ، فبلغ علیاً توثبهم علیه فقال: ما لمصر إلا أحد الرجلین: صاحبنا الذی عزلناه عنها بالأمس یعنی قیس بن سعد ، أو مالک بن الحارث .

ص: ۱۷۲

وكان على (عليه السّلام) حين رجع عن صفين قد رد الأشتر إلى عمله بالجزيره، وقال لقيس بن سعد: أقم أنت معى على شرطتى حتى نفرغ من أمر هذه الحكومه ، ثم اخرج إلى آذربيجان ، فكان قيس مقيماً على شرطته . فلما انقضى أمر الحكومه كتب على إلى مالك الأشتر وهو يومئذ بنصيبين:

أما بعد

فإنك ممن أستظهر به على إقامه الدين ، وأقمع به نخوه الأثيم ، وأسدُّ به الثغر المخوف ، وقد كنت وليت محمد بن أبى بكر مصر، فخرجت عليه خوارج وهو غلام حدث السن، ليس بذى تجربه للحروب ولا مجرباً للأشياء ، فأقدم علىَّ لننظر فيما ينبغى ، واستخلف على عملك أهل الثقه والنصيحه من أصحابك . والسلام .

فأقبل مالك إلى على (عليه السّلام) واستخلف على عمله شبيب بن عامر الأزدى ، وهو جد الكرمانى الذى كان بخراسان صاحب نصر بن سيار ، فلما دخل مالك على على (عليه السّلام) حدثه حديث مصر ، وخبره خبر أهلها وقال: ليس لها غيرك فاخرج إليها رحمك الله ، فإنى إن لم أوصك اكتفيت برأيك ، واستعن بالله على ما أهمك . أخلط الشده باللين ، وارفق ما كان الرفق أبلغ ، واعتزم على الشده حين لا يغنى عنك إلا الشده ».

أقول: لا يصح عندنا أن الإمام (عليه السّلام) ندم على عزله قيساً ، وأنه كان يفكر بتوليته مصر مره ثانيه .

هذا ، وقد كتب الإمام (عليه السّلام) عهداً لمالك الأشتر ، يعتبر برنامج عمل للحاكم ، وكتب معه رساله الى أهل مصر:

رساله الإمام (عليه السّلام) الى أهل مصر لما أراد معاويه غزوها

(من كتاب له (عليه السّلام) إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر (رحمه الله) : من عبد الله علىٍّ أمير المؤمنين، إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصى فى أرضه وذُهب بحقه ، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر ، والمقيم والظاعن ، فلا معروف يستراح إليه ، ولا منكر يتناهى عنه .

أما بعد فإنى قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله ، لاينام أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء حذر الدوائر . لا ناكلٍ من قدم ، ولا واهٍ فى عزم ، من أشد عباد الله بأساً ، وأكرمهم حسباً ، أضر على الفجار من حريق النار، وأبعد الناس من دنس أو عار ، وهو مالك بن الحارث الأشتر ، حسام صارم ، لا نابى الضريبه ، ولا كليل الحد . حليم فى السلم، رزين فى الحرب، ذو رأى أصيل ، وصبر جميل .

فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإن أمركم بالنفر فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنه لا يقدم ولايحجم إلا بأمرى .

ص: ۱۷۴

وقد آثرتكم به على نفسينصيحه لكم وشده شكيمه على عدوكم، عصمكم الله بالهدى ، وثبتكم بالتقوى ، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى . والسلام عليكم ورحمه الله ». (نهج البلاغه:۳/۶۳، والإختصاص/۸۰).

وقال ابن أبى الحديد فى شرحه:۱۶/۱۵۶: « هذا الفصل يُشكل علىَّ تأويله لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان ، وإذا شهد أمير المؤمنين (عليه السّلام) أنهم غضبوا لله حين عصىَ فى الأرض ، فهذه شهاده قاطعه على عثمان بالعصيان وإتيان المنكر !

ويمكن أن يقال وإن كان متعسفاً:إن الله تعالى عُصىَ فى الأرض لامن عثمان بل من ولاته وأمرائه وأهله ، وذهب بينهم بحق الله وضرب الجور سرادقه بولايتهم ، وأمرهم على البر والفاجر ، والمقيم والظاعن ، فشاع المنكر ، وفقد المعروف .

يبقى أن يقال: هب أن الأمر كما تأولت ، فهؤلاء الذين غضبوا لله إلى ماذا آل أمرهم ، أليس الأمر آل إلى أنهم قطعوا المسافه من مصر إلى المدينه فقتلوا عثمان ! فلا تعدو حالهم أمرين ، إما أن يكونوا أطاعوا الله بقتله فيكون عثمان عاصياً مستحقاً للقتل ، أو يكونوا أسخطوا الله تعالى بقتله ، فعثمان إذا على حق وهم الفساق العصاه .

فكيف يجوز أن يبجلهم أو يخاطبهم خطاب الصالحين !

يمكن أن يجاب عن ذلك بأنهم غضبوا لله وجاءوا من مصر وأنكروا على عثمان تأميره الأمراء الفساق ، وحصروه فى داره طلباً أن يدفع إليهم مروان ليحبسوه ، أو يؤدبوه على ما كتبه فى أمرهم ، فلما حُصر طمع فيه مبغضوه وأعداؤه من أهل المدينه وغيرها ، وصار معظم الناس إلباً عليه ، وقلّ عدد المصريين بالنسبه إلى ما اجتمع من الناس على حصره ومطالبته بخلع نفسه ، وتسليم مروان وغيره من بنى أميه إليهم ، وعزل عماله والإستبدال بهم ، ولم يكونوا حينئذ يطلبون نفسه ، ولكن قوماً منهم ومن غيرهم تسوروا داره ، فرماهم بعض عبيده بالسهام فجرح بعضهم ، فقادت الضروره إلى النزول والإحاطه به ، وتسرع إليه واحد منهم فقتله ، ثم إن ذلك القاتل قتل

فى الوقت ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ، وشرحناه ، فلا يلزم من فسق ذلك القاتل وعصيانه أن يفسق الباقون ، لأنهم ما أنكروا إلا المنكر ، وأما القتل فلم يقع منهم ، لا راموه ولا أرادوه ، فجاز أن يقال: إنهم غضبوا لله ، وأن يثنى عليهم ويمدحهم ». هذا ، وسنذكر شهاده الأشتر (رحمه الله) .

ص: ١٧۶

رساله أخرى بعثها الإمام (عليه السّلام) الى أهل مصر

ويظهر أنها تمهيد لإرسال مالك الأشتر ، وذكر بعضهم أنه أرسلها معه:

« أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً (صلّى الله عليه و آله وسلّم) نذيراً للعالمين ومهيمناً على المرسلين، فلما مضى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فوالله ما كان يُلقى فى روعى ولا يخطر ببالى أن العرب تُزعج هذا الأمر من بعده (صلّى الله عليه و آله وسلّم) عن أهل بيته ، ولا أنهم منحوه عنى من بعده . فما راعنى إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه ، فأمسكت يدى ، حتى رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد (صلّى الله عليه و آله وسلّم) فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً ، تكون المصيبه به علىَّ أعظم من فوت ولايتكم ، التى إنما هى متاع أيام قلائل ، يزول منها ما كان كما يزول السراب ، أو كما يتقشع السحاب ، فنهضت فى تلك الأحداث ، حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين وتنهنه .

ومنها: إنى والله لو لقيتهم واحداً وهم طِلاع الأرض كلها ، ما باليت ولا استوحشت ! وإنى من ضلالهم الذى هم فيه والهدى الذى أنا عليه ، لعلى بصيره من نفسى ، ويقين من ربى. وإنى إلى لقاء الله وحسن ثوابه لمنتظر راج. ولكننى آسى أن يلى أمر هذه الأمه سفهاؤها وفجارها ، فيتخذوا مال الله

دِولاً، وعباده خَوَلاً ، والصالحين حرباً ، والفاسقين حزباً ، فإن منهم الذى قد شرب فيكم الحرام ، وجلد حداً فى الإسلام ، وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ..!

إنفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم ، ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف وتبوؤوا بالذل ، ويكون نصيبكم الأخس. وإن أخا الحرب الأرق ومن نام لم ينم عنه . والسلام ». (نهج البلاغه:۳/۱۱۸).

شهاده مالک الأشتر رضی الله عنه

قال ابن تغرى فى النجوم الزاهره:۱/۱۰۳: « فخرج الأشتر من عند على وأتى رحله ، وتهيأ للخروج إلى مصر، وكتب عيون معاويه إليه بولايه الأشتر على مصر فشق عليه وعظم ذلك لديه، وكان قد طمع فى مصروعلم أن الأشتر متى قدمها كان أشد عليه .فكتب معاويه إلى الخانْسِيَار رجل من أهل الخراج ، وقيل كان دهقان القلزم يقول إن الأشتر واصل إلى مصر قد وليها

فإن أنت كفيتنى إياه لم آخذ منك خراجاً ما بقيتُ ، فأقبل لهلاكه بكل ما تقدر عليه .

فخرج الخانسيار حتى قدم إلى القلزم فأقام به ، وخرج الأشتر من العراق يريد مصر حتى قدم القلزم ، فاستقبله الخانسيار فقال له: إنزل فإنى رجل

من أهل الخراج وقد أحضرت ما عندى ، فنزل الأشتر

فأتاه بطعام وعلف ، وسقاه شربه من عسل جعل فيها سُمّاً فلما شربه مات . وبعث الخانسيار من أخبر بموته معاويه ، فلما بلغ معاويه وعمرو بن العاص موت الأشتر ، قال عمرو بن العاص إن لله جنوداً من عسل .

وقال ابن الكلبى عن أبيه: لما سار الأشتر إلى مصر أخذ فى طريق الحجاز فقدم المدينه فجاءه مولى لعثمان بن عفان يقال له نافع ، وأظهر له الود وقال له: أنا مولى عمر بن الخطاب ، فأدناه الأشتر وقربه ووثق به وولاه أمره ، فلم يزل معه إلى عين شمس ، أعنى المدينه الخراب خارج مصر بالقرب من المطريه، وفيها ذلك العمود المذكور فى أول أحوال مصر من هذا الكتاب ، فلما وصل إلى عين شمس تلقاه أهل مصر بالهدايا ، وسقاه نافع المذكور العسل فمات منه ».

قال الطبرى:٢/٧٢: « وأقبل معاويه يقول لأهل الشأم: إن علياً وجَّهَ الأشتر إلى مصرفادعوا الله أن يكفيكموه، فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشتر. وأقبل الذى سقاه إلى معاويه فأخبره بمهلك الأشتر، فقام معاويه فى الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فإنه كانت لعلى بن أبى طالب يدان يمينان ، قَطعتُ إحداهما يوم صفين يعنى عمار بن ياسر ، وقَطعت الأخرى اليوم يعنى الأشتر».

ص: ١٧٩

وفی تاریخ دمشق:۵۶/۳۷۶ ، أن معاویه قال لأهل الشام: « یا أهل الشام إنکم منصورون ومستجاب لکم الدعاء فادعوا الله علی عدوکم ! فرفع أهل الشام أیدیهم یدعون علیه ، فلما کانت الجمعه الأخری خطب فقال: یا أهل الشام إن الله قد استجاب لکم وقتل عدوکم! وإن لله جنوداً فی العسل، فرفع أهل الشام أیدیهم حامدین الله علی کفایتهم إیاه». (ونحوه تاریخ الیعقوبی:۲/۱۷۹، وشرح النهج:۶/۷۶).

وفی مجمع الأمثال:۲/۲۱۵: « لاجِدَّ إلا ما أقْعَصَ عنک . یقال ضربه فأقعصه أی قتله مکانه . یقول: جدک الحقیقی ما دفع عنک المکروه ، وهو أن تقتل عدوک دونک . قاله معاویه حین خاف أن یمیل الناس إلی عبد الرحمن بن خالد بن الولید ، فاشتکی عبد الرحمن فسقاه الطبیب شربه عسل فیها سُمٌّ فأخرقته ، فعند ذلک قال معاویه هذا القول».

وفی محاضرات الأدباء للراغب:۱/۵۳۱: « قال معاویه لما أتاه خبر موت أمیر المؤمنین علی: لا جدَّ إلا ما أقعص عنک » .

حزن الإمام (علیه السّلام) علی مالک الأشتر

« عن صعصعه بن صوحان قال: فلما بلغ علیاً (علیه السّلام) موت الأشتر قال: إنا لله وإنا إلیه راجعون ، والحمد لله رب العالمین. اللهم إنی أحتسبه عندک فإن

موته من مصائب الدهر ، فرحم الله مالكاً فقد وفى بعهده ، قضى نحبه ولقى ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا على أن نصبر على كل مصيبه بعد مصابنا برسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ، فإنها أعظم المصائب..

عن فضيل بن خديج ، عن أشياخ النخع قالوا: دخلنا على على (عليه السّلام) حين بلغه موت الأشتر ، فجعل يتلهف ويتأسف عليه ويقول: لله در مالك ، وما مالك ! لو كان جبلاً لكان فِنداً ، ولو كان حجراً لكان صَلْداً ، أما والله ليهدن موتك عالماً وليفرحن عالماً ، على مثل مالك فلتبك البواكى ، وهل موجود كمالك؟! فقال علقمه بن قيس النخعى: فما زال علىٌّ (عليه السّلام) يتلهف ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا ، وقد عُرف ذلك فى وجهه أياماً ».

وفى الإختصاص/٨١: « وبكى عليه أياماً ، وحزن عليه حزناً شديداً ، وقال: لا أرى مثله بعده أبداً ».

وفى أمالى المفيد/٨١: « ولما بلغ أمير المؤمنين (عليه السّلام) وفاه الأشتر جعل يتلهف ويتأسف عليه ويقول: لله در مالك ، لو كان من جبل لكان أعظم أركانه ، ولو كان من حجر لكان صلداً . أما والله ليهدن موتك عالماً ، فعلى مثلك فلتبك البواكى. ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، إنى أحتسبه عندك ، فإن موته من مصائب الدهر ، فرحم الله مالكاً فقد وفى بعهده وقضى نحبه ولقى ربه » .

وشـهد أمير المؤمنين (عليه السّـلام) فى الأشتر شـهاده عظيمه فقال: «رحم الله مالكاً وما مالك ! عزَّ علىَّ به هالكاً . لو كان صـخراً لكان صَلداً (لصلابته ويقينه)ولو كان جبلاً لكان فِنداً (مميزاً عن الجبال) وكأنه قُدَّ منى قداً »(رجال الكشى:١/٢٨٣).

وأعظم منها شهاده النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) بحق المقداد رضى الله عنه!«كان عظيم الشأن كبير المنزله حسن الرأى، قال رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) :قُدَّ منِّى قَدّاً ».(نهج الحق /٣٠۴).

قبر مالک الأشتر رضى الله عنه فى مصر

«لما سار الأشتر إلى مصـر أخـذ فى طريق الحجاز فقـدم المدينه، فجاءه مولى لعثمان يقال له نافع وأظهر له الود..فلم يزل معه إلى عين شمس، فلما وصل إلى عين شمس تلقاه أهل مصر بالهدايا ، وسقاء نافع العسل فمات !

وهذه الروايه أقرب الروايات إلى الواقع ، وتؤكد صـحه موضع قبره بمنطقه القلج ، وهى من أحياء المرج ، والمرج مدخل القاهره من شمالها الشرقى وهى قرب بلده الخانكه ، وهى ضمن مدينه عين شمس القديمه». (الشيعه فى مصر للوردانى / ١٠٨) .

عهد الإمام (علیه السّلام) الی مالک الأشتر

اشاره

من کنوز الأمه الإسلامیه عهد أمیر المؤمنین علی (علیه السّلام) الی الصحابی الجلیل مالک الأشتر رضی الله عنه ، عندما ولاه مصر(نهج البلاغه:۳/۸۲) وهو برنامج عمل شامل للحاکم ، فی سلوکه الشخصی ، والسیاسی ، والعمرانی ولم یعرف قدره عالمنا الإسلامی مع الأسف، وعرفه بعض الحقوقیین الغربیین فترجموه الی الألمانیه وغیرها ، وجعلوه مصدراً للتقنین . ولا یتسع المجال للإفاضه فیه ، فنکتفی بإیراد نصه ، ووضع عناوین لفقراته:

هدف الحکم

(بسم الله الرحمن الرحیم . هذا ما أمر به عبد الله علی أمیر المؤمنین مالک بن الحارث الأشتر، فی عهده إلیه حین ولاه مصر: جبایه خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها ، وعماره بلادها .

أصول الفکر والسلوک للحاکم

أمره بتقوی الله وإیثار طاعته، واتباع ما أمر به فی کتابه: من فرائضه وسننه التی لا یسعد أحد إلا باتباعها ، ولا یشقی إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأن ینصر الله سبحانه بقلبه ویده ولسانه ، فإنه جل اسمه قد تکفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزه .

وأمره أن یکسر نفسه من الشهوات ، ویزعها عند الجمحات ، فإن النفس أماره بالسوء إلا ما رحم الله .

كيف يجب أن تكون نظره الحاكم الى نفسه ؟

ثم اعلم يـا مالـك أنى قـد وجهتك إلى بلاد قـد جرت عليها دول قبلك ، من عـدل وجور ، وأن الناس ينظرون من أمورك فى مثـل مـا كنت تنظر فيه من أمور الولاه قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم . وإنما يسـتدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسن عباده . فليكن أحب الذخائر إليك ذخيره العمل الصالح . فاملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها ، فيما أحبت أو كرهت .

أهم صفات الحاكم محبه المواطنين كلهم

وأشـعر قلبـك الرحمه للرعيه والمحبه لهم واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سـبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، فإنهم صـنفان: إما أخ لك فى الـدين وإما نظير لك فى الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيـديهم فى العمد والخطأ . فأعطهم من عفوك وصـفحك مثل الذى تحب أن يعطيك الله من عفوه وصـفحه ، فإنك فوقهم ، ووالى الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك . وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم .

خطأ شعور الحاكم بالصراع بينه وبين فئه من المواطنين

ولاـ تنصـبن نفسـك لحرب الله فـإنه لاـ يـدى لـك بنقمته ، ولاـ غنى بك عن عفوه ورحمته . ولا تنـدمن على عفو ، ولا تبجحن بعقوبه ، ولا تسرعن إلى بادره وجدت منها مندوحه ولا تقولن إنى مؤمر آمر فأطاع ، فإن ذلك إدغال فى القلب ، ومنهكه للدين ، وتقرب من الغير.

كيف يجاهد الحاكم نفسه ويتخلص من غروره؟

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهه أو مخيله ، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ، ويفئ إليك بما عزب عنك من عقلك . إياك ومساماه الله فى عظمته والتشبه به فى جبروته ، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال. أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصه أهلك ، ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض حجته ، وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب . وليس شئ أدعى إلى تغيير نعمه الله وتعجيل نقمته ، من إقامه على ظلم ، فإن الله سميع دعوه المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد .

موقف الحاكم الى جنب الجمهور وليس البطانه

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق ، وأعمها فى العدل وأجمعها لرضى الرعيه فإن سخط العامه يجحف برضى الخاصه ، وإن سخط الخاصه يغتفر مع رضى العامه .

وليس أحد من الرعيه أثقل على الوالى مؤونه فى الرخاء ، وأقل معونه له فى البلاء ، وأكره للإنصاف ، وأسأل بالإلحاف ، وأقل شكراً عند الإعطاء ، وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمات الدهر ، من أهل الخاصه . وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعده للأعداء العامه من الأمه ، فليكن صغوك لهم وميلك معهم .

موقف الحاكم من المخابرات والمتملقين والنمامين

وليكن أبعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك ، أطلبهم لمعائب الناس ، فإن فى الناس عيوباً الوالى أحق من سترها . فلا تكشفن عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك ، والله يحكم على ما غاب عنك . فاستر العوره ما استطعت ، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك .

أطلق عن الناس عقده كل حقد . واقطع عنك سبب كل وتر . وتغاب عن كل ما لا يضح لك ، ولا تعجلن إلى تصديق ساع ، فإن الساعى غاش وإن تشبه بالناصحين .

ولا تدخلن فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

صفات الوزراء الحسنه والسيئه

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ، ومن شركهم فى الآثام . فلا يكونن لك بطانه ، فإنهم أعوان الأثمه ، وإخوان الظلمه ، وأنت واجد منهم خير الخلف ، ممن له مثل آرائهم ونفاذهم ، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثما على إثمه . أولئك أخف عليك مؤونه ، وأحسن لك معونه ، وأحنى عليك عطفاً ، وأقل لغيرك إلفاً ، فاتخذ أولئك خاصه لخلواتك وحفلاتك ، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمُرِّ الحق لك ، وأقلهم مساعده فيما يكون منك ، مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع ، والصق بأهل الورع والصدق ، ثم رُضْهم على أن لايطروك ، ولايبجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثره الإطراء تحدث الزهو ،

وتدنى من العزه .

محاسبه الوزراء

ولا يكون المحسن والمسئ عندك بمنزله سواء ، فإن فى ذلك تزهيداً لأهل الإحسان فى الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءه على الإساءه ، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه .

سياسه إعطاء الحريه للمواطنين وحسن الظن بهم

واعلم أنه ليس شئ بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته ، من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم ، فليكن منك فى ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً ، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده ، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده .

احترام العادات الإجتماعيه وتحسينها

ولا تنقض سنه صالحه عمل بها صدور هذه الأمه ، واجتمعت بها الألفه ، وصلحت عليها الرعيه . ولا تحدثن سنه تضر بشئ من ماضى تلك السنن ، فيكون الأجر لمن سنها ، والوزر عليك بما نقضت منها .

المشارون فى القضايا الإستراتيجيه

وأكثر مدارسه العلماء ، ومنافثه الحكماء ، فى تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، وإقامه ما استقام به الناس قبلك .

طبيعه المجتمع وواقع كونه فئات وطبقات

واعلم أن الرعيه طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض . فمنها جنود الله . ومنها كتاب العامه والخاصه . ومنها قضاه العدل . ومنها عمال الإنصاف والرفق . ومنها أهل الجزيه والخراج من أهل الذمه ومسلمه الناس . ومنها التجار وأهل الصناعات . ومنها الطبقه السفلى من ذوى الحاجه والمسكنه .

وكلا قد سمى الله سهمه ، ووضع على حده فريضته ، فى كتابه أو سنه نبيه (صلّى الله عليه و آله وسلّم) عهداً منه عندنا محفوظاً ! فالجنود بإذن الله حصون الرعيه ، وزين الولاه ، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعيه إلا بهم .

ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج ، الذى يقوون به فى جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم .

ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاه والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها. ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار ، وذوى الصناعات ، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ، ما لا يبلغه رفق غيرهم . ثم الطبقه السفلى من أهل الحاجه والمسكنه الذين يحق رفدهم ومعونتهم ، وفى الله لكل سعه ، ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه .

وليس يخرج الوالى من حقيقه ما ألزمه الله من ذلك ، إلا بالإهتمام والإستعانه بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق ، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل .

سياسه الحاكم مع القوات المسلحه

فول من جنودك أنصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولإمامك ، وأنقاهم جيباً ، وأفضلهم حلماً ، ممن يبطئ عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء . وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف .

ثم ألصق بذوى الأحساب ، وأهل البيوتات الصالحه ، والسوابق الحسنه ، ثم أهل النجده والشجاعه ، والسخاء، والسماحه ، فإنهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف .

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقمن فى نفسك شئ قويتهم به . ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل ، فإنه داعيه لهم إلى بذل النصيحه لك وحسن الظن بك .

ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها ، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه . وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم فى معونته ، وأفضل عليهم من جِدته ، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم ، حتى يكون همهم هماً واحداً فى جهاد العدو . فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك .

سياسه الحاكم مع قاده الجيش الحكام

وإن أفضل قره عين الولاه استقامه العدل فى البلاد ، وظهور موده الرعيه . وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامه صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاه أمورهم ، وقله استثقال دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم . فافسح فى آمالهم ، وواصل فى حسن الثناء عليهم ، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم . فإن كثره الذكر

لحسن أفعالهم تهز الشجاع ، وتحرض الناكل إن شاء الله . ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ، ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره ، ولا تقصرن به دون غايه بلائه ، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ، ولا ضعه امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً .

واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ، ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ. فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعه غير المفرقه .

سياسه الحاكم مع القوه القضائيه

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك ، ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى فى الزله، ولا يحصر من الفئ إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم فى الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعه الخصم ، وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل . ثم أكثر تعاهد قضائه ، وافسح له فى البذل ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزله لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك . فانظر فى ذلك نظراً بليغاً ، فإن هذا الدين قد كان أسيراً فى أيدى الأشرار ، يُعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا .

سياسه الحاكم مع ولاه المحافظات

ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباه وأثرةً ، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانه ، وتوخ منهم أهل التجربه والحياء ، من أهل البيوتات الصالحه والقدم فى الإسلام المتقدمه ، فإنهم أكرم أخلاقاً ، وأصح أعراضاً ، وأقل فى المطامع إشرافاً ، وأبلغ فى عواقب الأمور نظراً .

ثم أسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوه لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنىً لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجه عليهم إن خالفوا أمرك ، أو ثلموا أمانتك.

جهاز المخابرات الخاص برئيس الدوله

ثم تفقد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك فى السر لأمورهم حدوه لهم على استعمال الأمانه والرفق بالرعيه . وتحفظ من الأعوان ، فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانه ، اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبه فى بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذله ، ووسمته بالخيانه ، وقلدته عار التهمه .

السياسه الماليه والضرائبيه

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن فى صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله . وليكن نظرك فى عماره الأرض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعماره . ومن طلب الخراج بغير عماره أخرب البلاد وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً ، فإن شكوا ثقلاً ، أو عله ، أو انقطاع شرب ، أو باله ، أو إحاله أرض

اغتمرها غرق ، أو أجحف بها عطش ، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم . ولا يثقلن عليك شئ خففت به المؤونه عنهم ، فإنه ذخر يعودون به عليك فى عماره بلادك وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك ، باستفاضه العدل فيهم ، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم ، والثقه منهم بما عودتهم من عدلك عليهم فى رفقك بهم . فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبه أنفسهم به ، فإن العمران محتمل ما حملته ، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاه على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء ، وقله انتفاعهم بالعبر.

الجهاز الإدارى الخاص بالحاكم

ثم انظر فى حال كُتَّابك ، فولِّ على أمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التى تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم ، لوجود صالح الأخلاق ، ممن لا تبطره الكرامه فيجترئ بها عليك فى خلاف لك بحضره ملأ ، ولا تقصر به الغفله عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جواباتها على الصواب عنك ، وفيما يأخذ لك ويعطى منك . ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل .

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك ، فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاه بتصنعهم وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحه والأمانه شئ ، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم كان فى العامه أثراً ، وأعرفهم بالأمانه وجهاً،فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره.

واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم ، لا يقهره كبيرها ، ولا يتشتت عليه كثيرها ، ومهما كان فى كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته.

سياسه الدوله مع التجار والكسبه

ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيراً: المقيم منهم ، والمضطرب بماله ، والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، فى برك وبحرك ، وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ، ولا يجترئون عليها ، فإنهم سلم لا تخاف بائقته ، وصلح لا تخشى غائلته . وتفقد أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك .

واعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً فى البياعات ، وذلك باب مضره للعامه وعيب على الولاه . فامنع من الإحتكار فإن رسول الله(عليهماالسّلام)منع منه ، وليكن البيع بيعاً سمحاً ، بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع . فمن قارف حكره بعد نهيك إياه فنكل به ، وعاقب فى غير إسراف .

سياسه الدوله مع الطبقه الفقيره

ثم الله الله فى الطبقه السفلى من الذين لا حيله لهم ، والمساكين والمحتاجين ، وأهل البؤسى والزمنى ، فإن فى هذه الطبقه قانعاً ومعتراً . واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صوافى الإسلام فى كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذى للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر،

فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصعر خدك لهم ،

وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ، ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشيه والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم ، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه ، فإن هؤلاء من بين الرعيه أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكل فأعذر إلى الله فى تأديه حقه إليه .

وتعهد أهل اليتم ، وذوى الرقه فى السن ، ممن لا حيله له ، ولا ينصب للمسأله نفسه ، وذلك على الولاه ثقيل ، والحق كله ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبه فصبروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

سياسه الحاكم مع المراجعين

واجعل لذوى الحاجات منك قسماً ، تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذى خلقك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع ، فإنى سمعت رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) يقول فى غير موطن: لن تقدس أمه لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متتعتع . ثم احتمل الخرق منهم والعى ، ونح عنك الضيق والأنف ، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته . وأعط ما أعطيت هنيئاً ، وامنع فى إجمال وإعذار .

برنامج أمير المؤمنين (عليه السّلام) لعمل الحاكم اليومى

ثم أمورٌ من أمورك لا بد لك من مباشرتها:

منها إجابه عمالك بما يعيا عنه كُتابك . ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك ، مما تحرج به صدور أعوانك . وأمض لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم ما فيه ، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل

تلـك المواقيت ، وأجزل تلـك الأقسـام ، وإن كـانت كلهـا لله ، إذا صـلحت فيها النيه وسـلمت منها الرعيه . وليكن فى خاصه ما تخلص به لله دينـك ، إقامه فرائضه التى هى له خاصه ، فأعط الله من بـدنك فى ليلك ونهارك ، ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص ، بالغاً من بدنك ما بلغ .

وإذا أقمت فى صـلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضـيعاً ، فإن فى الناس من به العله وله الحاجه . وقد سألت رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) حين وجهنى إلى اليمن كيف أصلى بهم فقال: صل بهم كصلاه أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيما .

لقاءات الحاكم المباشره مع الناس

وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك ، فإن احتجاب الولاه عن الرعيه شعبه من الضيق ، وقله علم بالأمور . والإحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن

ويحسن القبيـح ، ويشـاب الحق الحق بالباطـل ، وإنمـا الوالى بشـر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور ، وليست على الحق سيماء تتعرف بها ضـروب الصدق من الكذب ، وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل فى الحق ،ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه ، أو فعل كريم تسـديه ، أو مبتلى بالمنع ، فما أسـرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونه فيه عليك ، من شـكاه مظلمه ، أو طلب إنصاف فى معامله . ثم إن للوالى خاصه وبطانه ، فيهم استئثار ، وتطاول ، وقله إنصاف فى معامله ، فاحسم ماده أولئك ، بقطع أسباب تلك الأحوال.

سياسه الحاكم مع أقاربه وحاشيته

ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعه ، ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقده تضر بمن يليها من الناس ، فى شرب أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك فى الدنيا والآخره . وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن فى ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع . وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإن مغبه ذلك محموده ، وإن ظنت الرعيه بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك ، واعدل عنك ظنونهم بإصحارك ، فإن فى ذلك رياضه منك لنفسك ، ورفقاً برعيتك ، وإعذاراً تبلغ به حاجتك ، من تقويمهم على الحق .

سياسه السلم والحذر مع العدو والإلتزام الكامل بالإتفاقيات

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى ، فإن فى الصلح دعه لجنودك ، وراحه من همومك ، وأمناً لبلادك . ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فإن العدو ربما قارب ليتغفل ، فخذ بالحزم واتهم فى ذلك حسن الظن . وإن عقدت بينك وبين عدوك عقده ، أو ألبسته منك ذمه ، فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالأمانه ، واجعل نفسك جنه دون ما أعطيت ، فإنه ليس من فرائض الله شئٌ الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم ، من تعظيم الوفاء بالعهود . وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين ، لما استوبلوا من عواقب الغدر . فلا تغدرن بذمتك ، ولا تخيسن بعهدك ، ولا تختلن عدوك ، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقى . وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحريماً يسكنون

إلى منعته ، ويستفيضون إلى جواره . فلا إدغال ولا مدالسه ولا خداع فيه .

ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقه ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق ، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته ، خير من غدر تخاف تبعته ، وأن تحيط بك من الله فيه طلبه ، فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك .

تحذير الحاكم من سفك الدماء

إياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شئ أدعى لنقمه ولا أعظم لتبعه ولا أحرى بزوال نعمه وانقطاع مده ، من سفك الدماء بغير حقها . والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامه . فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله . ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد ، لأن فيه قود البدن. وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبه ، فإن فى الوكزه فما فوقها مقتله ، فلا تطمحن بك نخوه سلطانك عن أن تؤدى إلى أولياء المقتول حقهم . وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقه بما يعجبك منها وحب الاطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان فى نفسه ، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين .

الخطوط العامه لسياسه الحاكم مع المواطنين

وإياك والمن على رعيتك بإحسانك ، أو التزيد فيما كان من فعلك ، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فإن المن يبطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس ، قال الله تعالى:كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ.

التثبت والإعتدال فی اتخاذ القرارات

وإیاک والعجله بالأمور قبل أوانها ، أو التسقط فیها عند إمکانها ، أو اللجاجه فیها إذا تنکرت ، أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع کل أمر موضعه ، وأوقع کل عمل موقعه . وإیاک والإستئثار بما الناس فیه أسوه ، والتغابی عما یعنی به مما قد وضح للعیون ، فإنه مأخوذ منک لغیرک . وعما قلیل تنکشف عنک أغطیه الأمور ، وینتصف منک للمظلوم .

کیف یکون الحاکم حاکم نفسه ویسیطر علی غضبه؟

أملک حمیه أنفک ، وسوره حدک ، وسطوه یدک ، وغرب لسانک . واحترس من کل ذلک بکف البادره ، وتأخیر السطوه ، حتی یسکن غضبک ، فتملک الإختیار .

ولن تحکم ذلک من نفسک ، حتی تکثر همومک بذکر المعاد إلی ربک ،والواجب علیک أن تتذکر ما مضی لمن تقدمک من حکومه عادله ، أو سنه فاضله ، أو أثر عن نبینا (صلّی الله علیه و آله وسلّم) ، أو فریضه فی کتاب الله ، فتقتدی بما شاهدته مما عملنا به فیها ، وتجتهد لنفسک فی اتباع ما عهدت إلیک فی عهدی هذا ، واستوثقت به من الحجه لنفسی علیک لکیلا تکون لک علیه عند تسرع نفسک إلی هواها .

دعاء أمیر المؤمنین (علیه السّلام) للتوفیق فی تحقیق أهدافه فی الحکم

وأنا أسأل الله بسعه رحمته وعظیم قدرته علی إعطاء کل رغبه ، أن یوفقنی وإیاک لما فیه رضاه ، من الإقامه علی العذر الواضح إلیه ، وإلی خلقه ، مع حسن الثناء فی العباد ، وجمیل الأثر فی البلاد ، وتمام النعمه وتضعیف الکرامه ، وأن یختم لی ولک بالسعاده والشهاده ، وإنا إلیه راغبون ».

ص: ۱۹۸

الإمام يرسل الملك الصالح والياً على مصر !

قال السيد الأمين فى أعيان الشيعه:٧/٣٩٦: « فارس المسلمين ، أبو الغارات ، طلائع بن رزيك ، الملقب الملك الصالح وزير مصر . ولد تاسع عشر ربيع الأول سنه ۴۹۵ ، ومات مقتولاً سنه ۵۵۶ ».

وقال المقريزى فى الخطط:٣/١٨: « طلائع بن رزيك: أبو الغارات ، الملك الصالح ، فارس المسلمين ، نصير الدين ، قدم فى أول أمره إلى زياره مشهد الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه بأرض النجف من العراق فى جماعه من الفقراء، وكان من الشيعه الإماميه ، وإمام مشهد على رضى الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم ، فزار طلائع وأصحابه وباتوا هنالك ، فرأى ابن معصوم فى منامه على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول له: قد ورد عليك الليله أربعون فقيراً ، من جملتهم رجل يقال له طلائع بن رزيك من كبار محبينا، قل له: إذهب فقد ولیناك مصر !

فلما أصبح أمر أن ينادى: من فيكم طلائع بن رزيك ، فليقم إلى السيد ابن معصوم . فجاء طلائع وسلم عليه ، فقص عليه مارأى ، فسار حينئذ إلى مصر، وترقى فى الخدم حتى ولىَ مُنيه بنى خصيب .

فلما قَتَلَ نصر بن عباس الخليفه الظافر ، بعث نساء القصر إلى طلائع يستغثن به فى الأخذ بثأر الظافر ، وجعلن فى طىِّ الكتب شعور النساء ،

فجمع طلائع عندما وردت عليه الكتب ، الناس ، وسار يريد القاهره لمحاربه الوزير عباس ، فعندما قرب من البلد فرَّ عباس ودخل طلائع إلى القاهره ، فخُلع عليه خِلَع الوزاره ، ونُعت بالملك الصالح ، فارس المسلمين ، نصير الدين . فباشر البلاد أحسن مباشره ، واستبد بالأمر لصغر سن الخليفه الفائز بنصر الله إلى أن مات ، فأقام من بعده عبد الله بن محمد ، ولقَّبه بالعاضد لدين الله وبايع له ، وكان صغيراً لم يبلغ الحلم ، فقويت حرمه طلائع وازداد تمكنه من الدوله .

فثقل على أهل القصر لكثره تضييقه عليهم واستبداده بالأمر دونهم ، فوقف له رجال بدهاليز القصر وضربوه حتى سقط على الأرض على وجهه وحُمل جريحاً لايعى إلى داره، فمات يوم الإثنين تاسع عشر شهر رمضان سنه ست وخمسين وخمس مائه ، وكان شجاعاً كريماً، جواداً فاضلاً ، محباً لأهل الأدب ، جيد الشعر ، رجل وقته ، فضلاً وعقلاً ، وسياسه وتدبيراً .

وكان مهاباً فى شكله ، عظيماً فى سطوته، وجمع أموالاً عظيمه ، وكان محافظاً على الصلوات فرائضها ونوافلها ، شديد المغالات فى التشيع ، صنف كتاباً سماه: الإعتماد فى الرد على أهل العناد ، جمع له الفقهاء وناظرهم عليه، وهو يتضمن إمامه على بن أبى طالب رضى الله عنه والكلام على الأحاديث

الوارده فى ذلك. وله شعر كثير يشتمل على مجلدين فى كل فن ، فمنه فى اعتقاده:

يا أمةً سلكَتْ ضلالاً بيناً

حتى استوى إقرارها وجحودها

ملتم إلى أن المعاصى لم يكن

إلا بتقدير الإله وُجودها

لو صح ذا كان الإلهُ بزعمكُم

مَنَعَ الشريعَه أنْ تُقامَ حدودها

حاشا وكلّا أن يكونَ إلهنا

ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

وله قصيده سماها: الجوهريه فى الرد على القدريه .

وجدد الجامع الذى بالقرافه الكبرى ، ووقف ناحيه بلقس على أن يكون ثلثاها على الأشراف من بنى حسن وبنى حسين ابنى على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وسبع قراريط منها على أشراف المدينه النبويه ، وجعل فيها قيراطاً على بنى معصوم إمام مشهد علىّ رضى الله عنه .

ولما ولىَ الوزاره مال على المستخدمين بالدوله وعلى الأمراء ، وأظهر مذهب الإماميه وهو مخالف لمذهب القوم ، وباع ولايات الأعمال للأمراء بأسعار مقرره ، وجعل مده كل متولٍّ سته أشهر ، فتضرر الناس من كثره تردد الولاه على البلاد، وتعبوا من ذلك .

وكان له مجلس فى الليل يحضره أهل العلم ويدوِّنون شعره ، ولم يترك مده أيامه غزو الفرنج وتسيير الجيوش لقتالهم فى البرّ والبحر ، وكان يُخرج البعوث فى كل سنه مراراً .

وكـان يحمـل فى كـلّ عام إلى أهل الحرمين مكه والمـدينه من الأشـراف سائر ما يحتاجون إليه من الكسوه وغيرها، حتى يحمل إليهم ألواح الصبيـان التى يكتب فيها ، والأقلام والمـداد ، وآلات النساء ، ويَحمل كل سـنه إلى العلويين الـذين بالمشاهـد جملاً كبيره ، وكان أهل العلم يغدون إليه من سائر البلاد ، فلا يخيب أمل قاصد منهم .

ولما كان فى الليله التى قُتِل صبيحتها قال: هذه الليله ضُـرِبَ فى مثلها أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضـى الله عنه ، وأمر بقربه ممتلئه فاغتسـل ، وصـلى على رأى الإمـاميه مـائه وعشـرين ركعه ، أحيا بها ليله ، وخرج ليركب فعثر وسـقطت عمامته عن رأسـه وتشوشت ، فقعد فى دهليز دار الوزاره وأمر بإحضار ابن الضيف ، وكان يتعمم للخلفاء والوزراء ، وله على ذلك الجارى الثقيل، فلمـا أخـذ فى إصـلاح العمامه قال رجل للصالـح: نعيـذ بالله مولانا ، ويكفيه هـذا الـذى جرى أمراً يتطير منه ، فإن رأى مولانا أن يؤخر الركوب فعـل ، فقال: الطيره من الشـيطان ، ليس إلى تأخير الركوب سبيل ، وركب فكان من ضَـرْبِهِ ما كان ، وعاد محمولاً فمات منها كما تقدم » .

أقول: كـان إرسـال طلائع بن رزيـك كرامه لأـمير المؤمنين (عليه السّـلام) فى ظرف حسـاس على مصـر، حيث ضـعفت الـدوله الفاطميه ، بسبب مؤامرات خصومها ، وترف خلفائها وبَذْخهم ، فطمع فيها الصليبيون .

وحكم طلائع سبع سنين ، وتقدم قول المقريزى « لم يترك مده أيامه غزو الفرنج وتسيير الجيوش لقتالهم فى البرِّ والبحر ، وكان يُخرج البعوث فى كل سنه مراراً . وقد يكون الصليبيون أو عملاء الدوله العباسيه وراء اغتياله ، وقد حكم بعده ابنه رُزيك سنتين، فثار عليه والى الصعيد شاوُر عندما عزله فاستعان عليه بالفرنج وقتله ، وأدخل الفرنج مصر وأجبر الخليفه الفاطمى العاضد عى توزيره ، فاستعان العاضد بنور الدين محمود زنكى حاكم سوريا من قبل العباسيين، والمتصدى لدفع الفرنج ، فأرسل له جيشاً صغيراً بقياده شيركوه أى أسد الجبل ، وهو كردى معروف بالشجاعه ، فحارب الصليبيين فى القاهره فانهزموا منها الى الإسكندريه ، ثم حاربهم فى الإسكندريه ومعهم شاور ، لكن شيركوه صالح شاور والفرنج على أموال، وترك مصر وعاد الى الشام ، فسيطر الفرنج على القاهره ثانيةً ، وعاثوا فساداً فى مصر!

ثم طلب العاضد من نور الدين إرسال قوات ، فأرسل شيركوه ، فكرر ما عمله سابقاً ! ثم عاد الفرنج فاستنجد العاضد بجند الشام وجاء بشيركوه ثالثةً واستوزره ، فغدر به !

قال ابن تغرى فى النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهره:٥/٣٤٣: « فتحرك شاور بن مجير السعدى من بلاد الصعيد ، وجمع أوباش الصعيد من العبيد

والأوغاد ، وقدم إلى القاهره تحراباً لرزيک ، فخرج إليه رزيک بن طلائع وقاتله ، والعاضد فى الباطن مع شاور فانهزم رزيک ، ودخل شاور إلى القاهره وملكها ، وأخرب دور الوزاره ودور بنى رزيک ، واختفى الوزير رزيک المذكور إلى أن ظفر به شاور وقتله ».

وقال فى النجوم الزاهره:۵/۳۴۸: « وأقام شاوُر بالقاهره على عادته يظلم ويقتل ويصادر الناس ، ولم يبق للعاضد معه أمر ولا نهى... وسار أسد الدين (شيركوه) ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، حتى نزل بر الجيزه غربى مصر على بحر النيل ، وكان شاور قد أعطى الفرنج الأموال وأقطعهم الإقطاعات ، وأنزلهم دور القاهره وبنى لهم أسواقاً تخصهم ، وكان مقدم الفرنج الملك مرى وابن

نيرزان ، فأقام أسد الدين على الجيزه شهرين ، وعدا إلى بر مصر والقاهره ، فى خامس عشرين جمادى الآخره ، وخرج إليه شاور والفرنج ، ورتب شاور عساكره فجعل الفرنج على الميمنه مع ابن نيرزان ، وعسكر مصر فى الميسره ، وأقام الملك مرى الفرنجى فى القلب فى عسكره من الفرنج ، ورتب أسد الدين عساكره ، فجعل صلاح الدين فى الميمنه وفى الميسره الأكراد ، وأسد الدين فى القلب ، فحمل الملك مرى على القلب فتعته ، وكانت أثقال المسلمين خلفه فاشتغل الفرنج بالنهب ، وحمل صلاح الدين على شاور فكسره وفرق جمعه ، وعاد أسد

الدين إلى ابن أخيه صلاح الدين وحملا على الفرنج فانهزموا ، فقتلا منهم ألوفاً ، وأسرا مائه وسبعين فارساً ، وطلبوا القاهره ، فلو ساق أسد الدين خلفهم فى الحال ملَكَ القاهره ، وإنما عدل إلى الإسكندريه ، فتلقاه أهلها طائعين فدخلها وولَّى عليها صلاح الدين ، فأقام صلاح الدين بها ، وسار أسد الدين إلى الصعيد فاستولى عليه ، وأقام يجمع أمواله .

وخرج شاور والفرنج من القاهره ، فحصروا الإسكندريه أربعه أشهر ، وأهلها يقاتلون مع صلاح الدين ويقوونه بالمال ، وبلغ أسد الدين فجمع عرب البلاد وسار إلى الإسكندريه ، فعاد شاور إلى القاهره ، وراسل أسد الدين حتى تم الصلح بينهم ، وأعطى شاور أسد الدين إقطاعاً بمصر، وعجل له مالاً ، فعاد أسد الدين إلى الشام ومعه صلاح الدين ، واعتذر أسد الدين إلى الملك العادل نور الدين محمود بكثره الفرنج...

ثم إن الفرنج طلبوا من شاور أن يكون لهم شحنه بالقاهره، وتكون أبوابها بأيدى فرسانهم ، وتحمل إليهم فى كل سنه مائه ألف دينار، ومن سكن منهم بالقاهره يبقى على حاله ، ويعود بعض ملوكهم إلى الساحل، فأجابهم شاور إلى ما طلبوا منه . كل ذلك تقرر بين شاور والفرنج ، والعاضد لا يعلم بشئ منه... هذا وقد تلاشى أمر الديار المصريه من الظلم ، ولم يبق للعاضد من الخلافه سوى الإسم والخطبه لا غير!

ص: ٢٠٥

فلما بلغ شاور فعل الفرنج بالأرياف، أخرج من كان بمصر من الفرنج بعد أن أساء فى حقهم قبل ذلك ، وقتل منهم جماعه كبيره وهرب الباقون ، ثم أمر شاور أهل مصر بأن ينتقلوا إلى القاهره ، ففعلوا ، وأحرق شاور مصر، وسار الفرنج من بلبيس حتى نزلوا على القاهره فى سابع صفر وضايقوها وضربوها بالمجانيق ، فلم يجد شاور بداً أن كاتب الملك العادل نور الدين محموداً بأمر العاضد ».

وفى طبقات الشافعيه للسبكى(٧/١٩): « فاعترضه صلاح الدين يوسف بن أيوب وجماعه من الأمراء النوريه فقبضوا عليه ، فجاءهم رسول العاضد يطلب رأس شاور ، فذبح وحمل رأسه إليه ، واستقل أسد الدين (صار الوزير الأول) ولم يلبث أن حضرته المنيه بعد خمسه وستين يوماً من ولايته ، فقلد العاضد صلاح الدين يوسف ، ولقبه الملك الناصر ، وكتب تقليده القاضى الفاضل ، وبدت سعاده صلاح الدين ، وضعف أمر العاضد ».

وفى طبقات الشافعيه(٧/١٤) أن صلاح الدين خاف من الخطبه لبنى العباس حذراً من الشيعه ، فوقف الخبوشانى أمام المنبر بعصاه ، وأمر الخطيب أن يذكر بنى العباس ففعل ولم يكن إلا الخير ، ووصل إلى بغداد الخبر فزينوها، وأظهروا من الفرح فوق الوصف...

ثم قال السبكى:« وتوفى العاضد بعد ذلك فى يوم عاشوراء بالقصر ، وجلس السلطان صلاح الدين بعد ذلك للعزاء وأغرب فى الحزن والبكاء ، وتسلم القصر بما فيه من خزائن ودفائن وأموال لا تعد ولا تحصى وأمتعه ، استمر البيع فيها بعدما أهدى ووهب وأطلق وادخر ، عشر سنين .

ويحكى أن صلاح الدين قال: لو علمت أن العاضد يموت بعد عشره أيام ما قطعت خطبته ، وأنه قال: ما رأيت أكرم من العاضد ، أرسلت إليه مده مقام الإفرنج على دمياط ، أطلب منه نفقه ، فأرسل إلى ألف ألف دينار مصريه ، نصفها خمس مائه ألف دينار ، غير الثياب والأمتعه .

ثم أودع صلاح الدين أقارب العاضد السجن وقرر لهم النفقات ...

حكى أن العاضد رأى فى منامه أن حيه خرجت من مسجد معروف بمصر، ولسعته ، فأرسل جماعه فى صبيحه ليلته إلى ذلك المسجد فما رأوا فيه إلا شخصاً أعجمياً فقيراً ، فردوا إليه وقالوا: لم نرَ إلا فقيراً أعجمياً. وتكررت الرؤيا وهو يرسل فلا يرون إلا ذلك الأعجمى ، فقيل له: هذه أضغاث أحلام ، وكان الأعجمى هو الخبوشانى ».

وفى تاريخ أبى الفدا:٣/٤٨: « لما فوض الأمر إلى صلاح الدين ، تاب عن شرب الخمر ، وأعرض عن أسباب اللهو». ونحوه سير الذهبى:٢١/٢٨٢.

وقال الذهبى فى سيرأعلام النبلاء:١٥/٢٠٧: « ثم سيَّر العاضد يستنجد بشيركوه على الفرنج ، فسار وهزم الفرنج بعد أن كادوا يأخذون البلاد ، وهمَّ شاور باغتيال شيركوه وكبار عسكره ، فناجزوه وقتلوه فى ربيع الآخر سنه أربع وستين ، قتله جرد يک النورى وصلاح الدين...فاستوزر العاضد شيركوه فلم يطول ومات بالخانوق بعد شهرين وأيام ، وقام بعده ابن أخيه صلاح الدين... شرع صلاح الدين يطلب من العاضد أشياء ، من الخيل والرقيق والمال ، ليقوى بذلک ضعفه، فسيرنى إلى العاضد أطلب منه فرساً ، فأتيته وهو راكب فى بستانه الكافورى فقلت له ، فقال: مالى إلا هذا الفرس ونزل عنه ، وشق خفيه ورمى بهما ، فأتيت صلاح الدين بالفرس.

قلت (الذهبى): تلاشى أمر العاضد مع صلاح الدين ، إلى أن خلعه وخطب لبنى العباس ، واستأصل شأفه بنى عبيد ، ومحق دوله الرفض... وكانت دولتهم مئتى سنه وثمانياً وستين سنه ، وقد صنف القاضى أبو بكر بن الباقلانى كتاب كشف أسرار الباطنيه ، فافتتحه ببطلان انتسابهم إلى الإمام على ، وكذلک القاضى عبد الجبار المعتزلى .

هلک العاضد يوم عاشوراء سنه سبع وستين وخمس مئه بذرب مفرط... وقيل سقىَ ، وقيل مص خاتما له مسموماً .

ص: ٢٠٨

وتسلم صلاح الدين القصر بما حوى من النفائس والأموال ، وقبض أيضاً على أولاد العاضد وآله ، فسجنهم فى بيت من القصر ، وقمع غلمانهم وأنصارهم ، وعفى آثارهم .

قال العماد الكاتب:وهم الآن محصورون محسورون لم يظهروا ، وقد نقصوا وتقلصوا ، وانتقى صلاح الدين ما أحب من الذخائر ، وأطلق البيع بعد فى ما بقى ، فاستمر البيع فيها مده عشر سنين » .

أقول: لا يترك الذهبى تعصبه ، ولا يأخذ فى الإعتبار أن الخليفه العاضد هو الذى استدعى القوه الكرديه من الشام للدفاع عن مصر، وأمدهم بالمقاتلين والمال حتى انتصروا على الفرنج وحليفهم شاوُر، ثم غدروا به وأجبروه على استيزار شيركوه ، ثم صلاح الدين ، ثم غدروا به فخلعوه ، وأعلنوا مصر تابعه للخلافه العباسيه .

ومن تعصب الذهبى أنه يغطى على خيانه شيركوه ، وقبضه مبلغاً من شاوُر والفرنج وانسحابه من مصر مرتين ، وأنه عندما رجع فى المره الثالثه أبرم معهم اتفاقاً أيضاً أعطاهم بموجبه امتيازات فى مصر! وكان كل ذلك بدون علم العاضد ، كما صرح المؤرخون .

ومن تعصبه أيضاً نفيه نسب الفاطميين الى على (عليه السّلام) تعصباً لبنى أميه وبنى العباس، واستشهاده بالباقلانى الذى ألف كتابه تقرباً للعباسيين فى بغداد .

ص: ٢٠٩

بينما نجد المؤرخين والنسابين أثبتوا نسبهم ، ويكفينا شهاده الشريف الرضى فى أبياته ، كما فى شرح النهج:١/٣٨:

(ما مُقامى على الهَوَانِ وعندى

مِقْوَلٌ صارمٌ وأنفٌ حَمِيٌّ

وإباءٌ محلقٌ بى عن الضيم

كما زاغ طائرٌ وحشٌّى

أى عذر له إلى المجد إن

ذلَّ غلاماً فى غمده المشرفى

أحمل الضيم فى بلاد الأعادى

وبمصرَ الخليفه العلوى

من أبوه أبى ومولاه مولاى

إذا ضامنى البعيد القصى

لف عرقى بعرفه سيدا الناس

جميعاً محمدٌ وعلى».

ص: ٢١٠

الفصل الرابع: علاقه المصريين بأئمه العتره (عليه السّلام)

فى عهد أمير المؤمنين (عليه السّلام)

دخل عدد من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) الى مصرأول فتحها، مثل مالك الأشتر، والمقداد بن عمرو ، وأبى ذر الغفارى ، وعباده بن الصامت ، وعمار بن ياسر، ومحمد بن أبى بكر، ومحمد بن أبى حذيفه ، وغيرهم ، رضى الله عنهم ، ثم لم ينقطع التشيع من مصر .

وكان المصريون يلتقون بعلى (عليه السّلام) فى المدينه ، وفى موسم الحج ، ثم وسَّطه الوفد المصرى فى حل مشكلتهم مع عثمان .

ثم اتسعت العلاقه بين على (عليه السّلام) والمصريين ، وكان بعضهم يقصد الكوفه فى شهر رمضان ليتعبد فى مسجدها . فقد جاء فى روايه مقتل أمير المؤمنين (عليه السّلام) (روضه الواعظين للنيسابورى/۱۳۳) عن عبد الله بن محمد الأزدى قال:« إنى لأصلى فى تلك الليله فى المسجد الأعظم ، مع رجال من أهل مصر ، كانوا يصلون فى ذلك الشهر من أوله إلى آخره ، إذ نظرت إلى رجال يصلون فى تلك

الليله فی المسجد قریباً من السده ، وخرج علی بن أبی طالب (علیه السّلام) لصلاه الفجر ، فأقبل ینادی: الصلاه الصلاه ، فما أدری أنادی ، أم رأیت بریق السیف..»!

سکن النسائی فی مصر وقتله أهل الشام !

نلاـ حظ أن الشافعی والنسائی لما سکنا مصر تأثرا بأهلها ، فصارا محبین للعتره النبویه (علیه السّلام) . وبعض الناس یتصور أن الأمر بالعکس ، وأنهما أثرا علی أهل مصر.

قال الحاکم النیسابوری فی معرفه علوم الحدیث/۸۲: «ومع ما جمع أبو عبد الرحمن من الفضائل، رُزق الشهاده فی آخر عمره ، فحدثنی محمد بن إسحاق الأصبهانی قال:سمعت مشایخنا بمصر یذکرون أن أبا عبد الرحمن فارق مصر فی آخر عمره وخرج إلی دمشق ، فسئل بها عن معاویه بن أبی سفیان وما روی من فضائله؟ فقال: لا یرضی معاویه رأساً برأس حتی یفضل! قال: فما زالوا یدفعون فی خصییه حتی أخرج من المسجد ، ثم حمل إلی الرمله ومات بها سنه ثلاث وثلاث مایه ، وهو مدفون بمکه » !

وفی الوافی للصفدی:۶/۲۵۶: « أنکر علیه قوم کتاب الخصائص لعلی رضی الله عنه ، وترکه تصنیف فضائل الشیخین، فذکر له ذلک فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن علی کثیر ، فصنفت الخصائص رجاء أن یهدیهم الله

تعالى ، ثم صنف بعد ذلك فضائل الصحابه فقيل له: ألا تخرج فضائل معاويه؟ فقال: أى شئ أخرج: اللهم لا تشبع بطنه ! فسكت السائل» !

وفى تاريخ أبى أبى الفداء:٢/٦٨: « ثم عاد إلى دمشق فامتحن فى معاويه ، وطُلب منه أن يروى شيئاً من فضائله فامتنع ، وقال: ما يرضى معاويه أن يكون رأساً برأس حتى يفضل » .

وفى فيض القدير للمناوى:١/٣٣: « دخل دمشق فذكر فضائل على رضى الله عنه فقيل له:فمعاويه؟ فقال: ماكفاه أن يذهب رأساً برأس حتى نذكر له فضائل! فدفع فى خصيتيه حتى أشرف على الموت ، فأخرج فمات بالرمله أو فلسطين » . وتهذيب الكمال:١/٣٣٩، وسير أعلام النبلاء:١٤/١٣٢ ، والمنتظم:١٣/١٥٦، ووفيات الأعيان:١/٧٧.

وفى تذكره الحفاظ للذهبى:٢/٧٠٠ ، وغيرها: « قال الدارقطنى: خرج حاجاً فامتحن بدمشق ، وأدرك الشهاده فقال: إحملونى إلى مكه ».

« سئل عن مولده فقال: أشبه أن يكون سنه٢١٥»(معجم البلدان:٥/٢٨٢)

مصر ملجأ العلويين المضطهدين

قال البلاذرى فى أنساب الأشراف:٣/١٣٧، ونحوه الطبرى: ٦/٤١٦: « كان إدريس بن عبد الله بن حسن فى وقعه فخ مع الحسين بن على ، فهرب فى خلافه الهادى إلى مصر، وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن منصور ، الذى

يعرف بالمسكين ، وكان واضح يتشيع ، فحمله على البريد إلى المغرب فوقع إلى أرض طنجه وأتى بعض مدنها ، فاستجاب له من بها من البربر، فلما استخلف الرشيد بعد موسى الهادى أُعلم ذلك، فضرب عنق واضح ودس الشماخ مولى المهدى ، وكتب له إلى إبراهيم بن الأغلب وهو عامله على إفريقيه ، فأنفذه إلى بلاد طنجه ، فادعى الشماخ الطب ، فدعاه إدريس ليسأله عن وجع عرض له فى أسنانه فأعطاه سنوناً فيه سُمٌّ كان معه ، ثم هرب فطلب فلم يُقدر عليه ، ومات إدريس وصار مكانه ابن له يقال له إدريس ».

وقال القاضى النعمان فى شرح الأخبار:٣/٣٣١: « أخرجه مولى له يقال له راشد، مختفياً حتى سار به إلى مصر... وخلف إدريس حملاً بأم ولد ، فولدت ولداً سمى إدريس ، وبلغ وضبط الأمر ، وولد له فسماه محمد فتناسلوا وكثروا ، وهم فى المغرب ».

وفى مقاتل الطالبيين/٣٢٥:«فخرج به فى جمله حاج مصر وإفريقيهوكان إدريس يخدمه ويأتمر له ، حتى أقدمه مصر فنزلها ليلاً فجلس على باب رجل من موالى بنى العباس فسمع كلامهما وعرف الحجازيه فيهما فقال: أظنكما غريبين. قالا: نعم. قال: وحجازيين. قالا: نعم . فقال له راشد: أريد أن ألقى إليك أمرنا على أن تعاهد الله أنك تعطينا خله من خلتين: إما أن تؤوينا

وتؤمننا ، وإما سترت علينا أمرنا حتى نخرج من هذا البلد . قال: أفعل . فعرفه نفسه وإدريس بن عبد الله ، فآواهما وسترهما.

وتهيأت قافله إلى إفريقيه ، فأخرج معها راشداً إلى الطريق وقال له: إن على الطريق مسالح ومعهم أصحاب أخبار تفتش كل من يجوز الطريق ، وأخشى أن تعُرف ، فأنا أمضى به معى على غير الطريق، حتى أخرجه عليك بعد مسيره أيام وهناك تنقطع المسالح ، ففعل ذلك وخرج به عليه».

الكعبه لا تأكل ولا تشرب

روى فى الكافى:۴/۲۴۲، بسنده عن سعيد بن عمرو الجعفى ، عن رجل من أهل مصر قال: « أوصى إلىَّ أخى بجاريه كانت له مغنيه فارهه ، وجعلها هدياً لبيت الله الحرام ، فقدمت مكه فسألت فقيل: إدفعها إلى بنى شيبه وقيل لى غير ذلك من القول ، فاختلف علىَّ فيه ، فقال لى رجل من أهل المسجد: ألا أرشدك إلى من يرشدك فى هذا إلى الحق؟ قلت: بلى، قال: فأشار إلى شيخ جالس فى المسجد فقال: هذا جعفر بن محمد(عليهماالسّلام)فسله .

قال: فأتيته فسألته وقصصت عليه القصه فقال: إن الكعبه لا تأكل ولا تشرب ، وما أهدى لها فهو لزوارها . بِعِ الجاريه ، وقم على الحجر فناد هل من منقطع به ، وهل من محتاج من زوارها ، فإذا أتوك فسل عنهم ،

وأعطهم واقسم فيهم ثمنها. قال فقلت له: إن بعض من سألته أمرنى بدفعها إلى بنى شيبه ؟

فقال: أما إن قائمنا لو قد قام لقد أخذهم وقطع أيديهم ، وطاف بهم وقال: هؤلاء سراق الله فاعرفوهم ».

أقول: يقصد (عليه السّلام) ببنى شيبه المستأكلين باسم الكعبه ، سواء كانوا من بنى شيبه نسباً ، أو مثلهم عملاً وحسباً .

زنديق يؤمن على يد الإمام الصادق (عليه السّلام)

روى الصدوق فى التوحيد/۲۹۳ ، عن على بن منصور قال: « قال لى هشام بن الحكم: كان زنديق بمصر يبلغه عن أبى عبد الله (عليه السّلام) علم ، فخرج إلى المدينه ليناظره فلم يصادفه بها ، فقيل له: هو بمكه ، فخرج الزنديق إلى مكه ونحن مع أبى عبد الله (عليه السّلام) ، فقاربنا الزنديق ونحن مع أبى عبد الله فى الطواف فضرب كتفه كتف أبى عبد الله ، فقال له أبو عبد الله (عليه السّلام) : ما اسمك؟قال: إسمى عبد الملك. قال: فما كنيتك؟ قال: أبو عبد الله. قال: فمن الملك الذى أنت له عبد ، أمن ملوك السماء أم من ملوك الأرض؟! وأخبرنى عن ابنك أعبد إله السماء؟ أم عبد إله الأرض؟

فسكت. فقال أبو عبد الله (عليه السّلام) :قل ماشئت تخصم !

قال هشام بن الحكم: قلت للزنديق: أما ترد عليه ؟! فقبح قولى . فقال له أبو عبد الله (عليه السّلام) : إذا فرغت من الطواف فأتنا .

فلما فرغ أبو عبد الله (عليه السّلام) أتاه الزنديق فقعد بين يديه ونحن مجتمعون عنده ، فقال للزنديق: أتعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً ؟ قال: نعم ، قال: فدخلت تحتها ؟ قال: لا ، قال: فما يدريك بما تحتها ؟ قال: لا أدرى إلا أنى أظن أن ليس تحتها شئ .

قال أبو عبد الله (عليه السّلام) : فالظن عجز ما لم تستيقن . قال أبو عبد الله (عليه السّلام) : فصعدت السماء ؟ قال: لا ، قال: فتدرى ما فيها ؟ قال: لا ، قال: فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما ؟ قال: لا .

قال: فعجباً لك ، لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ، ولم تنزل تحت الأرض ولم تصعد السماء ، ولم تخبر هنالك فتعرف ما خلفهن وأنت جاحد ما فيهن ، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف ؟ فقال الزنديق: ما كلمنى بهذا أحد غيرك !

قال أبو عبد الله (عليه السّلام) : فأنت فى شك من ذلك ، فلعل هو أو لعل ليس هو. قال الزنديق: ولعل ذاك .

فقال أبو عبد الله (عليه السّلام) : أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجه على من يعلم ، فلا حجه للجاهل على العالم .

يـا أخـا أهـل مصـر تَفَهَّمْ عنى ، فإنـا لا نشك فى الله أبـداً ، أما ترى الشـمس والقمر والليل والنهار يلجان ولا يشـتبهان ، يـذهبان ويرجعـان قـد اضـطرا ، ليس لهمـا مكـان إلاـ مكانهـا ، فإن كانا يقـدران على أن يـذهبا فلا يرجعان فلمَ يرجعان ؟ وإن لم يكونا مضطرين فلمَ لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً ؟

اضطُرًا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما ، والذى اضطرهما أحكم منهما وأكبر منهما . قال الزنديق: صدقت .

ثم قال أبوعبـد الله (عليه السّـلام) :يا أخا أهل مصـر، الذى تذهبون إليه وتظنونه بالوهم، فإن كان الدهر يذهب بهم لم لايردهم ، وإن كان يردهم لم لايذهب بهم . القوم مضـطرون يا أخا أهل مصـر، السـماء مرفوعه والأرض موضوعه لمَ لا تسقط السماء على الأرض ، ولمَ لا تنحدر الأرض فوق طاقتها؟ فلايتماسكان ، ولايتماسك من عليهما ؟

فقـال الزنـديق: أمسـكهما والله ربهما وسـيدهما. فآمن الزنـديق على يـدى أبى عبـد الله (عليه السّـلام) . فقال له حمران بن أعين: جعلت فداك إن آمنت الزنادقه على يديك ، فقد آمنت الكفار على يدى أبيك .

فقال المؤمن الـذى آمن على يدى أبى عبد الله (عليه السّـلام) : إجعلنى من تلامذتك. فقال أبو عبد الله (عليه السّـلام) لهشام بن الحكم: خذه إليك فعلمه ، فعلمه هشام ،

فكان معلم أهل مصر وأهل الشام ، وحسنت طهارته ، حتى رضى بها أبو عبد الله (عليه السّلام) ».

أقول: نبّهه الإمام (عليه السّلام) الى خطأ الملحدين بنفى وجود الله تعالى ، بدون علم ولا إحاطه بهذا الكون المادى ، فضلاً عما وراءه .

ثم نبهه الى دليل النظم فى الكون الذى يدل على القصد والحكمه والهدف ، وأن القاصد الهادف عز وجل لا بد أن يكون أقوى من الطبيعه الماديه حتى يجبرها ويضطرها للخضوع لقوانينه وأنظمته .

ذو النون المصرى يروى عن الإمام الصادق (عليه السّلام) فلسفه الحج

فى علل الشرائع للصدوق:۲/۴۴۳: « قال: سألت ذا النون المصرى ، قلت: يا أبا الفيض ، لِمَ صيَّر الموقف بالمشعر ، ولم يصيره بالحرم ؟

قال: حدثنى من سأل الصادق (عليه السّلام) ذلك فقال: لأن الكعبه بيت الله والحرم حجابه والمشعر بابه ، فلما أن قصده الزائرون أوقفهم بالباب حتى أذن لهم بالدخول ، ثم أوقفهم بالحجاب الثانى وهو مزدلفه ، فلما نظر إلى طول تضرعهم ، أمرهم بتقريب قربانهم ، فلما قربوا قربانهم وقضوا تفثهم وتطهروا من الذنوب التى كانت لهم حجاباً دونه ، أمرهم بالزياره على طهاره .

قال فقلت: فلم كره الصيام فى أيام التشريق؟ فقال لأن القوم زوار الله وهم أضيافه ، ولا ينبغى للضيف أن يصوم عند من زاره وأضافه .

قلت: فالرجل يتعلق بأستار الكعبه ما يعنى بذلك؟ قال: مثل ذلك مثل الرجل يكون بينه وبين الرجل جنايه ، فيتعلق بثوبه يستخذى له ، رجاء أن يهب له جرمه ».

مصريون مع الإمام الرضا والجواد(عليه السّلام)

فى بصائر الدرجات/۲۵۸، والكافى:۱/۳۸۴، عن على بن أسباط قال: «رأيت أبا جعفر (عليه السّلام) قد خرج علىَّ فأحددت النظر إليه والى رأسه والى رجله ، لأصف قامته لأصحابنا بمصر ، فخرَّ ساجداً فقال: إن الله احتج فى الإمامه مثل ما احتج فى النبوه ، قال الله تعالى: وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وقال الله: حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً . فقد يجوز أن يؤتى الحكمه وهو صبى، ويجوز أن يؤتى وهو ابن أربعين سنه ». ومعناه أن الراوى المصرى كان فى المدينه ورأى الإمام الجواد(عليهماالسّلام) ، وتأمل صفته ليخبر الشيعه فى مصر عن إمامهم بعد الرضا (عليه السّلام) .

مصريون يزورون قبر الإمام الرضا (عليه السّلام)

فى عيون أخبار الرضا (عليه السّلام) :۲/۳۱۳ ، عن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن الفضل التميمى الهروى قال: «سمعت أبا الحسن على بن الحسن القهستانى قال: كنت بمرو الرود فلقيت بها رجلاً من أهل مصر مجتازاً إسمه حمزه ،

فذكر أنه خرج من مصر زائراً الى مشهد الرضا (عليه السّلام) بطوس ، وأنه لما دخل المشهد كان قرب غروب الشمس فزار وصلى ، ولم يكن ذلك اليوم زائرٌ غيره ، فلما صلى العتمه أراد خادم القبر أن يخرجه ويغلق الباب ، فسأله أن يغلق عليه الباب ويدعه فى المشهد ليصلى فيه ، فإنه جاء من بلد شاسع ولا يخرجه وأنه لا حاجه له فى الخروج ، فتركه وغلق عليه الباب وأنه كان يصلى وحده إلى أن أعيا ، فجلس ووضع رأسه على ركبتيه ليستريح ساعه ، فلما رفع رأسه رأى فى الجدار مواجهه وجهه رقعه عليها هذان البيتان:

من سره أن يرى قبراً برؤيته

يفرج الله عمن زاره كُرَبَهْ

فليأت ذا القبر إن الله أسكنه

سلالةٌ من نبى الله مُنتجبهْ

قال فقمت وأخذت فى الصلاه إلى وقت السحر، ثم جلست كجلستى الأولى ووضعت رأسى على ركبتى ، فلما رفعت رأسى لم أرَ على الجدار شيئاً وكان الذى أراه مكتوباً رطباً ، كأنه كتب فى تلك الساعه . قال: فانفلق الصبح وفتح الباب وخرجت من هناك ».

مصريون يبحثون عن ولاده الإمام المهدى(عجل الله تعالى فرجه الشريف)

فى الكافى:۱/۵۲۳: « عن الحسن بن عيسى العريضى أبى محمد ، قال: لما مضى أبو محمد (عليه السّلام) (الإمام الحسن العسكرى) ، ورد رجل من أهل مصر بمال إلى مكه للناحيه (للإمام) فاختُلف عليه ، فقال بعض الناس إن أبا محمد مضى من غير

خلف ، والخلف جعفر ، وقال بعضهم: مضى أبو محمد عن خلف ، فبعث رجل يكنى بأبى طالب، فورد العسكر (سامراء) ومعه كتاب ، فصار إلى جعفر وسأله عن برهان فقال: لا يتهيأ فى هذا الوقت. فصار إلى الباب وأنفذ الكتاب إلى أصحابنا فخرج إليه: آجرك الله فى صاحبك ، فقد مات وأوصى بالمال الذى كان معه إلى ثقه ليعمل فيه بما يحب ، وأجيب عن كتابه ».

وفى كمال الدين/۴۹۱، والهدايه/۳۶۹: « عن الأعلم المصرى ، عن أبى رجاء المصرى قال: خرجت فى الطلب ، بعد مضى أبى محمد (عليه السّلام) بسنتين ، لم أقف فيهما على شئ ، فلما كان فى الثالثه كنت بالمدينه فى طلب ولد لأبى محمد (عليه السّلام) بصرياء(قرب المدينه) وقد سألنى أبو غانم أن أتعشى عنده ، وأنا قاعد مفكر فى نفسى وأقول: لو كان شئ لظهر بعد ثلاث سنين ، فإذا هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه ، وهو يقول: يا نصر بن عبد ربه ، قل لأهل مصر: آمنتم برسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) حيث رأيتموه ؟ قال نصر: ولم أكن أعرف إسم أبى ، وذلك أنى ولدت بالمدائن فحملنى النوفلى وقد مات أبى ، فنشأت بها . فلما سمعت الصوت قمت مبادراً ولم أنصرف إلى أبى غانم ، وأخذت طريق مصر فقلت إن صاحب الزمان بعد أبيه حق ، وإن غيبته حق ، وإنه الهاتف بى . فزال عنى الشك وثبت اليقين ».

الفصل الخامس: المصريون ينصرون الإمام المهدى (عليه السّلام)

مصر فى عصر ظهور الإمام المهدى (عليه السّلام)

وردت عده أحاديث عن مصر فى عصر ظهور الإمام المهدى (عليه السّلام) وفيها أحاديث ضعيفه ، وفيها ما يتعلق بحركه الفاطميين ودخولهم الى مصر وقد خلطها بعضهم بأحاديث خروج السفيانى وظهور المهدى (عليه السّلام) .

لكن بعض أحاديثها صحيح ، وهو يمدح نجباء مصر وأنهم وزراء للإمام المهدى (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ومنها ما يذكر أن الإمام (عليه السّلام) سيجعل مصر منبراً عالمياً للإسلام. وقد عقدنا لها فصلاً فى: المعجم الموضوعى لأحاديث الإمام المهدى (عجل الله تعالى فرجه الشريف) .

نجباء مصر وزراء الإمام المهدى (عليه السّلام)

وقد روت حديث نجباء مصر مصادر الطرفين . فمن مصادرنا: غيبه الطوسى/٢٨٤ : «عن جابر الجعفى، عن الإمام الباقر (عليه السّلام) قال: يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاث مائه ونيف عده أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام ، والأخيار من أهل العراق ، فيقيم ما شاء الله أن يقيم ».

ص: ٢٢٣

وفی دلائل الإمامه للطبری الشیعی/۲۴۸، بسنده عن أمیر المؤمنین (علیه السّلام) قال:« قال رسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) :یا علی، عشر خصال قبل یوم القیامه ، ألا تسألنی عنها؟ قلت: بلی یا رسول الله، قال: اختلافٌ وقتل أهل الحرمین ، والرایات السود وخروج السفیانی ، وافتتاح الکوفه ، وخسف بالبیداء ، ورجل منا أهل البیت یبایع له بین زمزم والمقام ، یرکب إلیه عصائب أهل العراق ، وأبدال الشام ، ونجباء أهل مصر، ونصیر أهل الیمن ، عدتهم عده أهل بدر ».

وفی الإختصاص للمفید/۲۰۸: «عن حذیفه قال:سمعت رسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) یقول: إذا کان عند خروج القائم ، ینادی مناد من السماء: أیها الناس قُطع عنکم مده الجبارین ، وولی الأمر خیر أمه محمد فالحقوا بمکه . فیخرج النجباء من مصر والأبدال من الشام وعصائب العراق ، رهبانٌ باللیل لیوثٌ بالنهار ، کأن قلوبهم زبر الحدید ، فیبایعونه بین الرکن والمقام .

قال عمران بن الحصین: یا رسول الله صف لنا هذا الرجل ، قال: هو رجل من ولد الحسین کأنه من رجال شنوءه ، علیه عباءتان قطوانیتان ، إسمه إسمی ، فعند ذلک تفرح الطیور فی أوکارها ، والحیتان فی بحارها، وتمُد الأنهار ، وتفیض العیون ، وتُنبت الأرض ضعف أکلها ، ثم یسیر ، مقدمتُه جبرئیل ، وساقته إسرافیل ، فیملأ الأرض عدلاً وقسطاً کما ملئت جوراً وظلماً ». ومجمع البیان:۴/۳۹۸ ،وإثبات الهداه:۳/۶۲۱، ونحوه عقد الدرر للسلمی/۸۳ .

ورواه ابن حماد فی الفتن:۱/۳۵۶:«قاده المهدی خیر الناس ، أهل نصرته وبیعته ، من أهل کوفان ، والیمن ، وأبدال الشام . مقدمته جبریل وساقته میکائیل ، محبوب فی الخلائق ، یطفئ الله تعالی به الفتنه العمیاء ، وتأمن الأرض ، حتی إن المرأه لتحج فی خمس نسوه ما معهن رجل. لایتقی شیئاً إلا الله تعطی الأرض زکاتها والسماء برکتها ».

وفی سنن الدانی/۱۰۴ ، بسنده عن حذیفه قال: «قال رسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) .. بنحو حدیث الإختصاص ، وفیه: « فقام عمران بن الحصین الخزاعی فقال: یا رسول الله کیف لنا بهذا حتی نعرفه ؟ فقال: هو رجل من ولدی کأنه من رجال بنی إسرائیل ، علیه عباءتان قطوانیتان ، کأن وجهه الکوکب الدری فی اللون ، فی خده الأیمن خال أسود ، ابن أربعین سنه ، فیخرج الأبدال من الشام وأشباههم، ویخرج إلیه النجباء من مصر ، وعصائب أهل المشرق وأشباههم ، حتی یأتوا مکه فیبایع

له بین زمزم والمقام...الخ.». وفردوس الأخبار للدیلمی:۵/۵۲۳ ح۸۹۶۳ ، بعضه ، کما فی الدانی . وتفسیر الطبری:۱۵/۱۷ ، بعضه ، عن حذیفه ، کما فی الدانی . والفائق للزمخشری:۱/۸۷ ، وتهذیب ابن عساکر:۱/۶۲، و۶۳، و۹۶، وفیه: « عن علی (علیه السّلام) : الأبدال من الشام ، والنجباء من أهل مصر ، والأخیار من أهل العراق». « قبه الإسلام بالکوفه ، والهجره بالمدینه ، والنجباء بمصر ، والأبدال بالشام، وهم قلیل».

أقول: هذه فضیله کبیره لمصر وأهلها، لأن أصحاب المهدی (علیه السّلام) الخاصین لهم مقام عظیم ، فهم ممدوحون علی لسان النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) وأهل بیته (علیهم السّلام) . وهم فی

دوله العدل الإلهی حکام فی العالم .

وفی تاریخ بغداد:۳/۲۸۹: « عبید الله بن محمد العیشی قال: سمعت الکتانی یقول: النقباء ثلاث مائه ، والنجباء سبعون ، والبدلاء أربعون ، والأخیار سبعه ، والعُمَد أربعه ، والغوث واحد . فمسکن النقباء المغرب ، ومسکن النجباء مصر ، ومسکن الأبدال الشام ، والأخیار سیاحون فی الأرض ، والعمد فی زوایا الأرض ، ومسکن الغوث مکه ، فإذا عرضت الحاجه من أمر العامه ابتهل فیها النقباء ، ثم النجباء ، ثم الأبدال ، ثم الأخیار ، ثم العمد ، ثم أجیبوا وإلا ابتهل الغوث، فلایتم مسألته حتی تجاب دعوته»وتاریخ دمشق:۱/۳۰۰، والشعرانی/۱۷۸، والعجلونی:۱/۲۵، والدانی۵/۱۰۹۲ .

وفی الفائق:۱/۸۷ ، وتهذیب ابن عساکر:۱/۶۲، عن علی (علیه السّلام) :« قبه الإسلام بالکوفه ، والهجره بالمدینه ، والنجباء بمصر ، والأبدال بالشام وهم قلیل» .

أقول: هذا فضیله کبیره لمصر وأهلها ، لأن أصحاب المهدی (علیه السّلام) الثلاث مئه وثلاثه عشر لهم مقام عظیم ، فهم ممدوحون علی لسان النبی وأهل بیته (صلّی الله علیه و آله وسلّم) . وهم وزراء المهدی (علیه السّلام) وحکام العالم فی دوله العدل الإلهی.

وفد مصر الذى يحمل البيعه للإمام المهدى (عليه السّلام)

فى الإرشاد/۳۶۰: « عن الإمام الرضا (عليه السّلام) قال: كأنى برايات من مصر مقبلات خضر مصبغات ، حتى تأتى الشامات فتؤدى إلى ابن صاحب الوصيات ». وفى روايه: تهدى البيعه .

وهذا الوفد غير النجباء من أصحابه ، الذين يأتون اليه عند ظهوره فى مكه . ومعنى تؤدى اليه البيعه أو تهديها: أنها تبايعه نيابه عن أهل مصر ، وهو إشاره الى أن حكومه مواليه للمهدى (عليه السّلام) تقوم فى مصر .

أمير الأمره فى مصر سنه ظهور المهدى (عليه السّلام)

روى النعمانى فى كتاب الغيبه/۲۸۳، بسنده عن عبيد الله بن العلاء ، عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: « إن أمير المؤمنين (عليه السّلام) حدث عن أشياء تكون بعده إلى قيام القائم ، فقال الحسين: يا أمير المؤمنين ، متى يطهر الله الأرض من الظالمين ، فقال أمير المؤمنين: لا يطهر الله الأرض من الظالمين حتى يسفك الدم الحرام ثم ذكر أمر بنى أميه وبنى العباس فى حديث طويل، ثم قال: إذا قام القائم بخراسان ، وغلب على أرض كوفان والملتان ، وجاز جزيره بنى كاوان . وقام منا قائم بجيلان ، وأجابته الآبر والديلمان ، ظهرت لولدى رايات الترك متفرقات فى الأقطار والجنبات ، وكانوا بين هنات وهنات . إذا

خربت البصره وقام أمير الإمره بمصر».

وتـدل الفقره الأخيره على أن حركه أمير الإمره مؤيده للإمام (عليه السّـلام) ، وأمير الأمره أى الأمير المطاع من الجميع ، فهو قائدٌ لقاده ، وقد يكون صاحب رتبه فى الجيش أو أنه بعد نجاحه يكون حاكم مصر .

وقد جعل قيامه علامه لظهور الإمام (عليه السّلام) ، فيكون قبله من مقدماته والتمهيد له ، أو مرافقاً لظهوره (عليه السّلام) .

ويؤيد ذلك ذكر القائم بخراسان وجيلان ورايات الترك بآذربيجان ، وقد ورد أنها فى سنه ظهور الإمام (عليه السّلام) .

الإمام المهدى (عليه السّلام) يدخل مصر ويجعلها مركزه الإعلامى

روت مصادرنا عن على (عليه السّـلام) أنه قال: «لأبنين بمصر منبراً ، ولأنقضن دمشق حجراً حجراً ، ولأخرجن اليهود من كل كور العرب ، ولأسوقن العرب بعصاى هـذه . فقال الراوى وهو عبايه الأسـدى: قلت له: يا أمير المؤمنين كأنك تخبر أنك تحيا بعـدما تموت ؟ فقـال: هيهـات ياعبـايه ، ذهبـت غير مـذهب . يفعلـه رجـل منى ، أى المهـدى (عليـه السّـلام) ».(معـانى الأخبـار:۴۰۶، والإيقاظ/۳۸۵).

وهو يشـير الى معركه المهـدى (عليه السّـلام) مع السـفيانى فى دمشق ومن وراءه من اليهود ، فينتصـر عليهم ويـدخل القدس كما نصت الروايات ، وأنه بعد انتصاره يُخرج اليهود من بلاد العرب ، ويجعل مصر مركزاً إعلامياً عالمياً .

وقد وصفت خطبه رويت عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) تسمى خطبه المخزون ، حركه المهدى (عليه السّلام) وحروبه ، وذكرت دخوله الى مصر ، وهى خطبه طويله رواها الحسن بن سليمان فى مختصر بصائر الدرجات/۱۹۵، وفى طبعه/۲۱۰، وطبعه/۵۱۹ ، عن السيد بن طاووس بسنده عن الإمام الصادق (عليه السّلام) ، جاء فيها:

«وإن لكل شئ إنّاً يبلغه ، لا يعجل الله بشئ ، حتى يبلغ أناه ومنتهاه ، فاستبشروا ببشرى ما بشرتم به ، واعترفوا بقربان ما قرب لكم ، وتنجزوا من الله ما وعدكم .

إن منا دعوه خالصهً ، يظهر الله بها حجته البالغه، ويتم بها النعمه السابغه، ويعطى بها الكرامه الفاضله، من استمسك بها أخذ بحكمه منها ، آتاكم الله رحمته ومن رحمته نور القلوب ، ووضع عنكم أوزار الذنوب ، وعجل شفاء صدوركم وصلاح أموركم ، وسلام منا لكم دائماً عليكم تسلمون به فى دول الأيام ، وقرار الأرحام أين كنتم ، وسلامه لسلامه عليكم فى ظاهره وباطنه ...فإن الله عز وجل اختار لدينه أقواماً انتجبهم للقيام عليه ، والنصره له ، بهم ظهرت كلمه الإسلام ، وأرجاء مفترض القرآن ، والعمل بالطاعه فى مشارق الأرض ومغاربها...

إن أمرنا صعب مستصعب ن لا يحتمله ملك مقرب أو نبى مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان. لايعى حديثنا إلا حصون حصينه ، أو صدور أمينه أو أحلام رزينه . ياعجباً كل العجب بين جمادى ورجب...

ألا- أيها الناس سلونى قبل أن تشرع برجلها فتنه شرقيه ، وتطأ فى خطانها بعد موت وحياه أو تشب نار بالحطب الجزل غربى الأرض، ورافعه ذيلها تدعو يا ويلها ، بذحله أو مثلها ، فإذا استدار الفلك قلتم مات أو هلك ، بأى واد سلك ، فيومئذ تأويل هذه الآيه: ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّهَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ...

ولذلك آيات وعلامات ، أولهن إحصار الكوفه بالرصد والخندق ، وتحريق الزوايا فى سكك الكوفه ، وتعطيل المساجد أربعين ليله ، وتخفق رايات ثلاث حول المسجد الأكبر يشبهن بالهدى ، القاتل والمقتول فى النار ، وقتل كثير وموت ذريع ، وقتل النفس الزكيه بظهر الكوفه فى سبعين ، والمذبوح بين الركن والمقام...

ثم يسير إلى مصر فيعلو منبره ، ويخطب الناس ، فتستبشر الأرض بالعدل ، وتعطى السماء قطرها ، والشجر ثمرها ، والأرض نباتها ، وتتزين لأهلها ، وتأمن الوحوش حتى ترتعى فى طرف الأرض كأنعامهم ، ويقذف فى قلوب المؤمنين العلم ، فلا يحتاج مؤمن إلى ما عند أخيه من العلم...فيومئذ تأويل هذه الآيه: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ . فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ .

فیمکث فیما بین خروجه إلی یوم موته ثلاث مائه سنه ونیفاً ، وعده أصحابه ثلاث مائه وثلاثه عشر ».

وهـذا یـدل علی أن المهدی (علیه السّـلام) یحتل دمشق بعد معرکه کبری مع السـفیانی، ویکون الیهود متواجدین فی عصـره فی بلاد العرب ، فیخرجهم منها ، وأنه یجعل مصر مرکز إعلامیاً للعالم .

وروی فی مختصر البصائر/۲۱۰، وصف علی (علیه السّلام) دخول الإمام المهدی (علیه السّلام) الی مصر واستقبال أهلها له ، قال: «ویسیر الصدیق الأکبر برایه الهدی...ثم یسیر إلی مصر فیعلو منبره ویخطب الناس فتستبشر الأرض بالعدل..».

کمـا تـذکر روایه أن للإمام المهـدی (علیه السّـلام) فی هرمی مصـر ، کنوزاً وذخائر من العلوم ، رواها الصـدوق فی کتابه کمال الدین/۵۶۴ ، عن أحمد بن محمد الشعرانی ، الذی هو من ولد عمار بن یاسر رضی الله عنه ، عن محمد بن القاسم المصری، قال: «إن ابن أحمد بن طولون شغَّل ألف عامل فی البحث عن باب الهرم سنه ، فوجدوا صخره مرمر وخلفها بناء لم یقدروا علی نقضه ، وأن أُسْـقُفاً مـن الحبشه قرأهـا، وکـان فیهـا عن لسـان أحـد الفراعنه قـوله: «وبنیت الأهرام والـبرانی، وبنیت الهرمین وأودعتهما کنوزی وذخائری. فقال ابن طولون: هذا شـئ لیس لأحد فیه حیله إلا القائم من آل محمد (صـلّی الله علیه و آله وسـلّم) . ورُدَّت البلاطه کما کانت مکانها». وفی الروایه نقاط ضعف ، لکنها تصلح مؤیداً .

الأبقع الذى تسانده مصر

ذكرت روايات حركه السفيانى أن الأبقع يخرج قبله على حاكم الشام الأصهب ، ويكون بينهما صراع ، ثم يأتى بالسفيانى من جهه حوران فيقاتلهما وينتصر عليهما ، ويسيطر على سوريا . وورد فى وصف الأبقع أن أنصاره من مصر ، أو هو مصرى الأصل .

ففى فتن ابن حماد/٧٧ عن على (عليه السّلام) قال: « تخرج بالشام ثلاث رايات: الأصهب والأبقع من مصر ، فيظهر السفيانى عليهم ».

وفى تفسير العياشى(١/۶۵): «وإن أهل الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: الأصهب والأبقع والسفيانى ».

دخول جيش المغرب الى مصر

روى ابن حماد فى كتابه الفتن وغيره روايات عن علاقه مصر بأحداث خروج السفيانى ، تذكر دخول أهل المغرب الى مصر ، وغالبها مراسيل وأقوال أشخاص ، ويبدو انها من تحريف الرواه لأحاديث دخول جيش المغرب الفاطمى الى مصر والشام، ولا علاقه لها بظهور الإمام المهدى (عليه السّلام) .

قال ابن حماد:۱/۲۲۲: «عن عمار بن یاسر قال: وخروج ثلاثه نفر بالشام ، وخروج أهل المغرب إلی مصر، وتلک أماره السفیانی». والدانی/۷۸ .

وقال ابن حماد:۱/۲۸۵: « عن أرطاه قال: إذا اجتمع الترک والروم ، وخسف بقریه بدمشق وسقط طایفه من غربی مسجدها، رُفع بالشام ثلاث رایات: الأبقع والأصهب والسفیانی ، ویحصر بدمشق رجل فیقتل ومن معه ویخرج رجلان من بنی أبی سفیان فیکون الظفر للثانی ، فإذا أقبلت ماده الأبقع من مصر ، ظهر السفیانی بجیشه علیهم فیُقتل الترک والروم بقرقیسیا، حتی تشبع سباع الأرض من لحومهم ». والأبقع: فی وجهه بقع. والأصهب: إسم للأسد ، وصفه للأصفر الوجه . وماده الأبقع: أنصاره .

والصحیح أن حرکه الأبقع تکون فی الشام ، وهو مؤید من مصر، أو أصله من مصر . أما دخول جیش المغرب الی مصر ، فینطبق علی حرکه الفاطمیین ولا علاقه لها بظهور المهدی (علیه السّلام) . وأحادیث السفیانی قبیل ظهور المهدی (علیه السّلام) متواتره ، لکن لم یثبت علاقتها بدخول المغربیین الی مصر .

وکذلک الروایات التی تتحدث عن أزمه اقتصادیه فی الحجاز بسبب منع المواد التموینیه عنها من مصر، فهی تخص القرون الأولی ، حیث کانت مصر مصدر تموین الحجاز ، لکن الرواه خلطوها بأحادیث المهدی (علیه السّلام) ، کما فی مسند أحمد:۲/۲۶۲، عن أبی هریره: قال رسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) :« مَنَعت العراق

قفيزها ودرهمها ، ومَنَعت الشام مدها ودينارها ، ومَنَعت مصر إرْدَبَّها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتم «ثلاثاً» وقال: يشهد على ذلك لحم أبى هريره ودمه » ! والقفيز والمد والإردب: مكاييل للغلات . ونحوه مسلم:۴/۲۲۲۰ ، وأبو داود:۳/۱۶۶، والبيهقى:۹/۱۳۷، ودلائل النبوه:۶/۳۲۹، كلها عن أبى هريره .

وهى ترتبط بقطع التموين عن الجزيره يومذاك من العراق والشام ومصر .

ولعل من نوعها الروايه عن حاكم مصر الذى يأتى بالروم ويبسط يدهم فى حكمها ، رواها ابن المنادى/۳۳: « عن أبى ذر (رحمه الله) قال عن النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) : سيكون رجل من بنى أميه بمصر يلى سلطاناً ثم يغلب على سلطانه أو ينزع منه ، ثم يفر إلى الروم فيأتى بالروم إلى أهل الإسلام ، فذلك أول الملاحم».وتهذيب ابن عساكر:۴/۱۴۷، والجامع الصغير:۲/۶۳.

ومضافاً الى الإشكال فى سندها، فقد يكون حدثها وقع وانتهى ، ولا ينافى ذلك قوله: فذلك أول الملاحم ، فهو يستعمل بمعنى أحداث ظهور المهدى (عليه السّلام) ، وقد يقصد به ملاحم فى ذلك العصر.

والنتيجه: أنه لا يصح عد هذه الروايات من علامات ظهور المهدى (عليه السّلام) ، مضافاً الى ضعفها وإرسالها .

كذبه كعب فى أن الدجال من مصر

قال ابن حجر فى فتح البارى:١٣/٢٧٧: «وأخرج أبو نعيم أيضاً من طريق كعب الأحبار أن الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر قال: وبين مولده ومخرجه ثلاثون سنه ! قال: ولم ينزل خبره فى التوراه والإنجيل ، وإنما هو فى بعض كتب الأنبياء .

وأخلق بهذا الخبر أن يكون باطلاً ، فإن الحديث الصحيح أن كل نبى قبل نبينا أنذر قومه الدجال ، وكونه يولد قبل مخرجه بالمده المذكوره مخالف لكونه ابن صياد ، ولكونه موثوقاً فى جزيره من جزائر البحر... وأقرب ما يجمع به بين ماتضمنه حديث تميم وكون ابن صياد هو الدجال ، أن الدجال بعينه هو الذى شاهده تميم موثوقاً ، وأن ابن صياد شيطان تبدَّى فى صوره الدجال فى تلك المده ، إلى أن توجه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه إلى أن تجئ المده التى قدر الله تعالى خروجه فيها » !

ثم اعترف ابن حجر بتناقض أحاديثهم الصحيحه فى الدجال فقال: «ولشده التباس الأمر فى ذلك سلك البخارى مسلك الترجيح فاقتصرعلى حديث جابر عن عمر فى ابن صياد ، ولم يخرج حديث فاطمه بنت قيس فى قصه تميم، وقد توهم بعضهم أنه غريب فرده وليس كذلك ، فقد رواه مع فاطمه بنت قيس أبو هريره وعائشه وجابر . أما أبو هريره فأخرجه أحمد من

روایه عامر الشعبی عن المحرز بن أبی هریره عن أبیه بطوله ، وأخرجه أبو داود مختصراً وابن ماجه عقب روایه الشعبی عن فاطمه ».

أقول: یقصد کعب أن الدجال الذی هو ملك الیهود سیولد فی مصر کموسی (علیه السّلام) ، ویقود بنی إسرائیل !

وقد روی المسلمون قبل کعب أن الدجال یهودی ، ففی مسند أحمد:۳/۲۲۴ ، قال أنس: «قال رسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) : یخرج الدجال من یهودیه أصبهان(محله فی أصفهان) معه سبعون ألفاً من الیهود ، علیهم التیجان ». ونحوه مسلم:۸/۲۰۷.

لکن کعباً جعل الدجال عربیاً ، وجعل أنصاره عرباً ! ففی مصنف ابن أبی شیبه:۸/۶۷۱، و:۱۵/۱۸۲: «کأنی بمقدمه الأعور الدجال ست مائه ألف من العرب یلبسون السیجان».(والدر المنثور:۵/۳۵۴». وفی کنی البخاری/۶۵، وغیره ، عن ابن عمر: «یتبع الدجال أربعون ألفاً من صلب العرب ».

ثم جعل کعب الدجال عراقیاً ، لأن أهل العراق وخاصه القبائل الیمانیه کانوا یعرفون زیف کعب ویکذبونه ! فقال کعب کما فی عبد الرزاق:۱۱/۳۹۶: «یخرج الدجال من العراق» !

وقال کعب لعمر لما أراد أن یسکن العراق: «لا تفعل فإن فیها الدجال ، وبها مرده الجن ، وبها تسعه أعشار السحر، وبها کل داء عضال یعنی الأهواء». عبد الرزاق:۱۱/۲۵۱، والدر المنثور:۵/۳۵۴ .

وقد فصلنا حديث الدجال فی معجم أحاديث الإمام المهدی (علیه السّلام) . وبينا أن حركته بعد ظهور الإمام المهدی ونزول عيسی(علیهماالسّلام)، وبينا اضطراب روايات أتباع السلطه فيه وتناقضها .

والمشكله عندهم أنها كلها صحيحه ! فقد قال عمر إن الدجال هو ابن صياد المعاصر له ، وقال تميم الدارى إنه رآه موثقاً فی جزيره فی البحر ، وقال كعب إنه فی جزيره باليمن موثق من زمن سليمان (علیه السّلام) !

بغض كعب الأحبار لمصر وكذبه عنها

نشط كعب الأحبار فی نشر مدح الشام وذم الحجاز ومصر والعراق ، وتحولت أقواله علی يد تلاميذه الی أحاديث نبويه ! منها حديث ابن عمر أن النبی (صلّی الله علیه و آله وسلّم) قال: «دخل إبليس العراق فقضی حاجته ، ثم دخل الشام فطردوه ، ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ ، وبسط عَبْقَرِيَّه» ! أی فرش بساطه ، واستقر فی مصر !

(رواه الطبرانی فی الأوسط: ۶/۲۸۶، والكبير:۱۲/۲۶۲، ووثقه فی الزوائد:۱۰/۶۰).

وفی تاريخ دمشق:۱/۳۱۷ و۳۱۸: «ثم دخل الشام فطردوه حتی بلغ بُسَاق» وعقبه بُساق: فی طريق الذاهب الی مصر! (معجم البلدان:۱/۴۱۳).

وفی معجم الطبرانی الأوسط:۶/۲۸۶، والكبير:۱۲/۲۶۲، وتاريخ دمشق:۱/۹۹، عن إياس بن معاويه: قال رسول الله (صلّی الله علیه و آله وسلّم) : « إن الله تعالی قد تكفل لی بالشام وأهله ، وإن إبليس أتی العراق فباض فيها وفرخ ، وإلی مصر فبسط عبقريه واتكأ !

وقال: جبل الشام جبل الأنبياء ».

كما روى الحاكم:۴/۴۶۲ ، نبوءه كعب وأحلامه بخراب مصر ، قال: «الجزيره آمنه من الخراب حتى تخرب أرمينيه ، ومصر آمنه من الخراب حتى تخرب الجزيره، والكوفه آمنه من الخراب حتى تخرب مصر، ولا تكون الملحمه حتى تخرب الكوفه ، ولا تفتح مدينه الكفر حتى تكون الملحمه ، ولا يخرج الدجال حتى تفتح مدينه الكفر» .

وكل هذا من مكذوباته ، ولعله اتفق مع الروم فأشاع فى المسلمين أنهم إذا فتحوا القسطنطينيه فسيخرج الدجال ، وتخرب مكه والمدينه ، وتخرب مصر وبلاد المسلمين !

وروى ابن حماد:۱/۲۳۶: «عن كعب قال: رأس الأرض الشام وجناحاها. ولا مصر والعراق والذنباء أى الحجاز! وعلى الذنباء يسلح الباز » !

وهذا ذم يهودى خبيث لمصر والعراق والحجاز مركو النبوه ! والعجيب أن رواه الخلافه وعلماء المذاهب ، قبلوه ورووه ، ولم يردوا عليه !

ختام فى مشاهد أهل البيت وذرياتهم فى مصر

هـذا العنوان موضوع لكتاب أو كتب ، وإنما أردنا منه الإشاره الى هـذه الحقيقه المهمه التى تكشف عن العلاقه العقائديه العريقه لأهل مصـر بأهل البيت (عليه السّـلام) . ونكتفى هنا بإيراد موضوعات وصـفيه لمشـهد الإمام الحسـين (عليه السّلام) فى القاهره ، كتبها الأخ العزيز الصـحفى الدكتور نبيل شـرف الدين ، وهو من كُتَّاب صـحيفه الأهرام وغيرها من الصـحف المصريه والعربيه ، وكان يكتب بإسم « مالك الحزين» .

كتب هذه المقطوعات فى شبكه هجر الثقافيه ، منها بتاريخ (٣/٤/٢٠٠١) بعنوان: سَيِّدْنَا ، قال:

إنه لمركز صـميم البؤره ، والمنطلق إلى الجهات الأربع ، أصـليه وفرعيه فى القاهره أو غيرها من مدن مصـريه..تلك منزله مسجد وضريح سيدنا الحسين رضى الله عنه عند المصريين قاطبه .

إذا ما قيل على مسمع من القوم: سيدنا..فهذا يعنى الحسين. وإذا ما قيل مولانا.. فهذا يعنى الحسين .

وإذا ما قيل: الحسـين.. فهذا يعنى كثيراً.. يعنى الإستشهاد من أجل الحق ، وإقرار العدل ، وافتداء الجمع بحياه الفرد ، لكى يتحول الوجود المادى إلى معنوى ممتد ، فلا زمن يحده ، ولا مكان يقيده..

وقد شاء لى حظى أن أقيم سنوات على مقربه من مسجده ، الذى يحوى ضريحاً يضم رأسه الشريف ، فارتبطت حواسى كلها به ، بمعالمه ونقوشه ومعماره ، وما ينبعث من أرجائه.. ذلك العطر الخفى ، والظلال الهادئه ، وطوابير الساعين إلى الصلاه فى رحابه وزياره

مرقد الرأس الشريف ، لا ينقطعون ليلاً أو نهاراً ، يسعون إليه من القرى النائيه ، والواحات المعزوله فى الصحراء ، والمدن القريبه والبعيده ، تنتظم حوله الحياه فى أجمل مشاهدها ، يفيض المكان بالطمأنينه ، بالسكينه ، بالرضا .

منذ صدر شبابى كنت أتطلع إلى الآيه الكريمه: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى، مكتوبه بخط جميل ، حروف خضراء على خلفيه من اللون البنى، ومحفوره فى الجدران ، أقرأها فأرق ، وأرددها فأستكين، وقد صاحبتنى طوال مراحل عمرى ، ومع بلوغ العمر نقطه متقدمه أستعيدها.. فأحن وأفهم ، وأسترجع مغزى ودلالات استشهاد:سيدنا.. و.. مولانا .

إذا ما قيل: الحسين.. فهذا يعنى مكاناً أيضاً..تُعرف مناطق القاهره القديمه بمراقد آل البيت.. السيده زينب ، السيده نفيسه ، السيد عائشه ، سيدى زين العابدين . المركز هو: الحسين . إنه المركز الروحى لمصر كلها وليس القاهره فقط بل فى العالم الإسلامى كله . وانظر لما يقوله المقريزى فى موسوعه المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ، ما نصه: « قال الفاضل

محمد بن على بن يوسف بن ميسر: وفى شعبان سنه إحدى وتسعين وأربع مائه خرج الأفضل ابن أمير الجيوش بعساكر جمه إلى بيت المقدس وبه « سكان» والغازى « أرفق» فى جماعه من أقاربهما ورجالهما وعساكر كثيره من الأتراك ، فراسلهما الأفضل يلتمس منهما تسليم القدس إليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك ، فقاتل البلد ونصب عليها المنجنيق ، وهدم منها جانباً ، فلم يجدا بداً من الإذعان له وسلماها إليه ، فخلع عليهما وأطلقهما ، وعاد فى عساكره ، وقد ملك القدس .

فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما فأخرجه..وعطره وحمله فى سفط إلى أجلِّ دارٍ بها، وعمر المشهد ، فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشياً إلى أن أحله فى مقره.

وقيل إن المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالى ، وكمله ابنه الأفضل.. وكان حمل الرأس إلى القاهره من عسقلان ووصوله إليها فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخره سنه ثمان وأربعين وخمس مائه ، وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكه تميم واليها ، والقاضى المؤتمن..ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان ، وجد دمه لم يجف ، وله كريح المسك ، فقدم به الأستاذ مكنون فى عشارى

من عشاريات الخدمه ، وأنزل به إلى الكافورى ، ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ، ثم دفنه عند قبه باب الديلم بباب دهليز الخدمه ، فكان كل من يدخل الخدمه يقبل الأرض أمام القبر ، وكانوا ينحرون فى يوم عاشوراء عند القبر الإبل والبقر والغنم . هذا ما ذكره المقريزى فى خططه الشهيره .

وكتب الدكتور شرف الدين بتاريخ(١٩/١٢/ ١٩٩٩) بعنوان: مسجد الحسين ومنزلته فى نفوس المصريين:

يُعَدُّ جامع سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب من أهم معالم القاهره الذى يحرص أى مسلم زائر لمصر على زيارته وبلغ تقديس المصريين له أقصى المدى مما دفع الكثير من المؤرخين إلى إطلاق اسم مسجد الحرم المصرى عليه ، نظراً لإيمان المصريين المطلق بأن رأس الحسين مدفون فى هذا المسجد الذى يقع فى قلب القاهره ، رغم اختلاف الروايات حول هذه الحقيقه.. ففى مظفر التذكره للشعرانى: أنه قد ثبت أن الصالح طلائع ، الذى بنى المشهد الحسينى بالقاهره ، نقل الرأس إلى هذا المشهد ودفع فى ذلك نحو أربعين ألف دينار، وخرج هو وعسكره فنقلوه من خارج مصر .

كما يذكر الرحاله العربى ابن جبير أن من مشاهد القاهره المشهد العظيم الشأن ، حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وهو فى تابوت فضه مدفون تحت الأرض، وقد بنى عليه بنيان مجلل بأنواع الديباج، فيه من أنواع الرخام المجزع غريب الصنع ، بديع الترصيع مالا يتخيله المتخيلون .

ويقع جامع الحسين قرب الجامع الأزهر الشريف ، وسوق خان الخليلى الشهير ، وأنشأه الفاطميون سنه٥٤٩ هجريه، تحت إشراف الوزير الصالح طلائع.. بنى الجامع بالحجر المنحوت ، ويضم ثلاثه أبواب مبنيه بالرخام الأبيض ، تطل على خان الخليلى ، وباباً آخر بجوار القبه ، ويعرف بالباب الأخضر .

ويضم الجامع منبراً خشبياً دقيق الصنع مطلياً بالذهب ، نقل إليه من جامع أزبك بك بالعتبه الخضراء أربعه وأربعون عموداً ، عليها بوائك تحمل السقف المصنوع من الخشب ، متقن الصنع والمنقوش باللازورد ، والمطعَّم بالذهب . وفى السقف ثلاث مناور مرتفعه مسقوفه ، بها ثلاثون شباكاً من النحاس المطلى بالذهب ، يعلوها فى الجهه البحريه شبابيك صغيره ، دوائرها من الرخام .

وعلى المشهد الشريف نقش من الأبنوس المكسو بالإستبرق الأحمر

المزركش ، فى أعلاه كمامه من الحرير الأخضر ، وبجوانبه أربعه عساكر من الفضه ، وبدائره مقصوره الجامع ، وقبته ألواح مزخرفه بخطوط مذهبه ، مكتوبه بالخط الثلث والكوفى . وبأعلى الباب الذى يلى المنبر نقشت العبارات البليغه: الشفاء فى تربته ، والإجابه تحت قبته ، والأئمه فى ذريته .

وقد اهتم أمراء وأكابر مصر فى كل عصر بهذا الجامع الكبيرفنمَت عمارته وزخرفته، وأُضيئت قاعاته وطرقاته وممراته ، وفرشت أرضياته بالسجاجيد النفيسه . وقد عمره الأمير عبد الرحمن كتخدا فى سنه ١١٧٥ميلاديه .

كما عزم والى مصر عباس باشا على توسعته وزياده مساحته ، فقام بشراء الأملاك المجاوره له وهدمها، وشرع فى بناء الأساس ثم توقفت الإنشاءات بعد أن وافته المنيه ، وبقى الحال على ما هو عليه حتى تقدم مصطفى بك العنانى لشراء الأرض التى كان اشتراها عباس باشا ، وعمرها لنفسه وأقام عليها فنادق وخانات وبنايات لحسابه . ويقال أنه اكتشف كنزاً خلف قبه المشهد الحسينى .

وفى سنه ١١٩٩ميلاديه أمر الخديوى إسماعيل باشا بتجديد الجامع وتوسعته ، وكلف على مبارك باشا برسم التصور المعمارى لتجديد الجامع ، بحيث يتسع لاستقبال أحباء ومريدى الإمام الحسين رضى الله عنه ، وكلف الأمير راتب باشا ناظر ديوان الأوقاف المصريه أن يشرف بنفسه على تنفيذ

إنشاءات الجامع الجديده ، التى صممها على

باشا مبارك . وفى إطار هذا التجديد هدم كل الجامع ، ما عدا القبه والضريح الشريف .

وبدأت الإنشاءات فى سنه١٢٨٢هجريه وانتهت فى١٢٩٠هجريه بالشكل الذى سبق وصفه، ومن العناصر التى تخلفت من المشهد القديم حتى الآن:

الباب المعروف باسم الباب الأخضر ، ومبنى من الحجر وعلى يساره دائره مفرغه بزخارف ، وتعلوه بقايا شرفه جميله . كما تخلف من المناره الأيوبيه التى أنشأها فوق هذا الباب أبو القاسم السكرى القسم الأسفل منها وهو المربع الذى يحتوى على زخارف جصيه نادره وعلى تاريخ الإنشاء .

أما التابوت الخشبى ، فهو أيوبى الطراز ويعتبر تحفه نادره تمثل طراز الحفر على الخشب فى عصر الأيوبيين فى مصر ، وهو محفوظ حالياً بمتحف الفن الإسلامى بالقاهره .

وهناك الحجره التى شيدت عام١٨٩٣ميلاديه لتحتوى على الآثار النبويه ، وهى مجاوره للقبه من الجهه القبليه وتشمل من الآثار النبويه الشريفه على قطعه من قميصه الشريف ، ومكحله ، وقطعه من العصا الشريفه وشعرتين من اللحيه الشريفه ، وبها أيضاً مصحفان بالخط الكوفى .

وإلى الآن يعتبر مسجد سيدنا الحسين من أهم المزارات الدينيه التى يحرص المصريون والمسلمون عموماً على زيارتها والتبرك بها ، فكثيراً ما نرى داخل

المسجد أو المشهد أشخاصاً يقومون بإيقاد الشموع لسيدنا الحسين بعد شفاء مريض لهم ، أو خروجه من أزمه ما ، كما يلجأ العامه للدعاء بداخله .

أما مولد سيدنا الحسين ، فيعد من المناسبات التى ينتظرها الكثيرون ، حيث تتحول ساحه المسجد والميدان الذى يطل عليه إلى مهرجان عظيم ، يكتظ بحلقات الذكر والإنشاد الدينى وقراءه القرآن.. وهو يجتذب الزائرين والمريدين ، من جميع أنحاء مصر والعالم العربى .

فاتنى أن أذكر اللوحه الرخاميه الكبيره المعلقه على باب المسجد المؤدى للمشهد الحسينى ، وقد كتب عليها بالذهب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين منى ، من أحبهما أحببته ، ومن أبغضهما أبغضته .

وللعلم هناك أضرحه لاحصر لها لآل البيت فى القاهره ، ومنهم: السيده زينب ، والسيده نفيسه ، والسيد أحمد البدوى فى طنطا ، ولهذه الأضرحه منزله عاليه فى نفوس المصريين . وقد حاول بعض المتطرفين من عينه «السلفجيه» فلم تفعل الحكومه شيئاً ، بل تصدى لهم الناس ، ولما كادت تحدث فوضى ، تدخلت الشرطه لوقف هذه المشاكل ، حدث ذلك فى السبعينات إبان ظهور هؤلاء الهمج .

والمصريون البسطاء يذهبون لأضرحه الحسين والسيده نفيسه ، وغيرهما

للتبرك بهما ، ولم نسمع أن ذلك شركٌ وحرامٌ ، إلا مع ظهور هؤلاء الهمج !

هناك قدر هائل من العادات الشيعيه فى مصر ، كالإحتفال بيوم عاشوراء والأذكار ، والتبرك بآل البيت ، وغير ذلك مما يتطلب جهداً بحثياً كبيراً لرصده وتحليله ودراسه ما إذا كانت تلك من بقايا تراث العصر الفاطمى ، أول دوله شيعيه فى التاريخ.. ولذلك تجد المصريين السنه ، بما فيهم علماء الأزهر لايكفرون الشيعه ، ولا يحملون كل هذا العداء الذى صدمت حينما رأيته فى مواقع الحوار عبر الشبكه ! فإذا سألت مصرياً عن الشيعه فسيرد عليك ببساطه ، هذا مذهب الذين تشيعوا لعلى وآل البيت .

كل ما أريد أن أقوله إن هناك بالفعل تجارب عمليه وإنسانيه على التقارب بين السنيين والشيعه ، وتعالوا مصر لتروها ، ولعل البعض لايعرف أن الأزهر الشريف نفسه كان أول جامعه شيعيه فى العالم ، قبل مدينه قم وغيرها ، وأدعو المهتمين بدراسه التاريخ أو علم الاجتماع ، أو التأصيل أن يولوا هذه الفكره اهتمامهم باعتبارها تجربه هامه ، ربما لا يلتفت إليها الكثيرون .

وكتب بتاريخ (٤/٥/٢٠٠٠) بعنوان: المشهد الحسينى فى القاهره:

على باب ضريح الإمام الحسين فى القاهره لوحه رخاميه كبيره كتب عليها بالذهب الحديث النبوى الشريف: الحسن والحسين منى.. من أحبهما

أحببته ، ومن أبغضهما أبغضته..

وداخل المسجد أكبر ثريا « نجفه » فى العالم العربى ، كما يؤكد إمام المسجد ، وهى للحق آيه فى الجمال والبهاء ، ووزنها كما هو مثبت فى دليل تاريخ الضريح وصاحبه يصل إلى خمسه أطنان ، من الكريستال المحلى بالذهب الخالص ، وقوائمه من الفضه الخالصه..

أما السجاد فحدث ولاحرج ، فقد تبرع العام الماضى أحد كبار التجار من طائفه البهره « يقيمون حول الضريح» بسجاده فارسيه تعود إلى القرن العاشر الميلادى ، وحجمها يبلغ١٦متراً مربعاً، وهى من الحرير الخالص ، وقد فرشت فى المقام « الضريح» الذى يقع فى الجانب الشرقى داخل المسجد..

ويعقد داخل المسجد يومياً أكثر من خمس مائه عقد قران ، تصل أيام الخميس والجمعه إلى الألف ، حيث يحرص آلاف المصريين على عقد قرانهم داخل المسجد الحسينى ، وبعضهم يأتى من مدن مصريه بعيده ، قد تبتعد عن القاهره أكثر من سبع مائه كيلو متراً .

للحسين ، ومسجده ، وضريحه ، ومشهده ، منزله خاصه فى نفوس المصريين . وفى شهر رمضان يستحيل على المرء أن يجد موضعاً لقدم فى هذا الميدان المعروف بالمشهد الحسينى .

باعه المصوغات الذهبيه للتحف والفنون اليدويه.. مكتبات ضخمه.. مقاهى شديده الجمال.. مطاعم شهيره.. حلقات ذكر.. ندوات دينيه وأخرى ثقافيه.. مواكب زواج.. سياح أجانب يقفون مذهولين لروعه المكان وتلك الأعداد الغفيره من الزوار..

كل هذا فى كفه.. و..مجاذيب الحسين.. فى كفه أخرى ، فهناك حول الضريح تجد عشرات ممن ارتدوا الخرقه الصوفيه.. وتركوا بيوتهم وأعمالهم واستأنسوا بالحسين..أقاموا حول الضريح يلتحفون السماء ويفترشون الأرض.. يأكلون ما يجود عليهم به أهل الخير.. وما أكثرهم هناك.. ويصلون الصلوات الخمس فى المسجد..

فى رمضان لست مضطراً لأن تدفع نقوداً لكى تفطر ، إذا ما كنت فى ميدان الحسين ، فأهل الخير يحملون آلاف الوجبات ، ويقدمونها مجاناً للصائمين وعابرى السبيل.. وفى كل شهور السنه يحرص الكثير من الأغنياء على توزيع زكواتهم وصدقاتهم على الناس حول الضريح..

أما فى صلاه العيدين فحدث ولاحرج.. تغسل الأرض والله العظيم غسلاً.. لا تكاد تميز بين عامل النظافه الموظف رسمياً لهذا الغرض ، وبين مئات الشباب والشيب ، الذين يشمرون عن سواعدهم ويحملون المقشات ليكنسوا الميدان.. بعضهم أطباء ومهندسون وضباط وأساتذه جامعات

وتجار أثرياء..

وكلهم يعتقدون أن الله تعالى سيبارك لهم ، عندما يتواضعون ويكنسون الميدان ، ويرشون الماء..

فى الفجر يحضر الركب الرسمى لرئيس الجمهوريه ، ومعه كل الوزراء وشيخ الأزهر.. ويحظر سير السيارات فى هذا الميدان ، وكافه الشوارع المؤديه إليه.. لكن يتجاوز عدد المصلين المليون شخص كل عيد... طيله الوقت تستمع لابتهالات الشيخ سيد النقشبندى.. وإنشاد الشيخ ياسين التهامى.. حتى يرفع المؤذن الآذان.. الله أكبر الله أكبر..فيتحول الكون كله لمستمعين لهذا النداء السماوى الجليل..

عجائز أتين من أقصى الصعيد ، حملن بضع قروش يوزعنها وفاء لنذر تحقق.. سيدات يتعلقن بأستار الضريح راجيات تحقيق أملهن فى إنجاب طفل حرمن منه ، أو عوده ابن غريب اضطرته الحياه الصعبه للرحيل فى بلاد الله..وثمه رجل طاعن فى السن يذرف دمعه حرى وهو يناجى صاحب الضريح قضاء حاجه يعلمها الله وحده..

يتعامل الناس هنا فى مصر مع الحسين ، كأنه ما زال حياً داخل الضريح.. يتحاكمون إليه فى منازعاتهم.. يتحدثون إليه فى كروبهم.. بعضهم يرسل إليه خطابات عبر البريد..

وصلت خلال العام الماضى إلى أكثر من مليون رساله كما أكدت هيئه البريد المصريه ، التى تسلمها لخادم الضريح..

المرسل:... المرسل إليه: حضره الإمام سيد شهداء الجنه الحسين بن على رضوان الله عليهما.. العنوان: القاهره... مسجد الإمام الحسين .

رائحه العطور تغمر أنوف زوار الضريح.. وأنوار لا تنطفئ.. ولم تنطفئ منذ قرون.. وجلال لايضاهيه حتى ضريح السيده زينب التى يحلو للمصريين إطلاق عده ألقاب عليها.. منها أم العواجز.. ورئيسه الديوان..و.. الطاهره .

فى المسافه الممتده بين الضريحين تقع أجمل وأبهى أحياء القاهره.. الدرب الأحمر.. القلعه.. الحسينيه.. باب الخلق.. باب النصر.. باب الفتوح.. الباطنيه.. الجماليه.. الكحكيين.. المغربلين.. الخ .

لأهل البيت فى مصر منزله ، لايشعر بها إلا من يعرف المصريين جيداً.... فحينما حاول بعض المتطرفين ذات يوم تفجير قنبله فى منطقه الحسين.. خان الخليلى.. لم يسلمهم الناس للشرطه ، بل فتكوا بهم.. فحينما وصلت قوات الأمن لم تجد سوى جثث هامده.. ولم يزل الفاعل مجهولاً حتى اليوم ، فقد تفرقت دماؤهم بين القبائل..

تعقيب المرجع الشيخ الصافى على الموضوع

نشرنا هذه المواضيع فى المجلد التاسع من كتاب الإنتصار، وهوقطاف من مناظراتنا مع الوهابيه ، مع تعقيبات عدد من الإخوه الكتاب على الموضوع . وقد اطلع عليه يومها المرجع الدينى الكبير الشيخ لطف الله الصافى حفظه الله ، فكتب ما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلاه ، فإنى لا أقدر على وصف ما حصل لى من الوجد والشوق ، والإحساس بالقرب والحضور ، والجلوس على بساط المحبه والأنس والخشوع لله تعالى..عندما طالعت ما كتبه بعض الأدباء العارفين عن الحالات العطره والروحانيه القدسيه ، التى تحصل لزوار مشهد مولانا سيد أهل الإباء ، وواحد أهل المباهله والعباء ، أبى عبد الله الحسين (عليه السّلام) فى مصر ، القطعه الشريفه من وطننا الإسلامى الكبير ، التى حازت شرف ولاء أهل البيت (عليه السّلام) من أول ما أشرق عليها نور شمس الدعوه المحمديه والرساله الإلهيه .

لقد كررت مطالعه هذا التصوير الجميل لمظاهر الولاء ومحبه النبى والآل صلوات الله عليهم ، والإجتماعات والإحتفالات والحلقات فى مشاهدهم النورانيه ، العامره بذكر الله تعالى وعبوديته .

إن مشهد الإمام الحسين (عليه السّلام) ، من البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، بل هو من أفاضلها كما رواه السيوطى ، ولو لم يكن بيت على وفاطمه الزهراء وسيدى شباب أهل الجنه ، بعد بيت النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أفضل تلك البيوت ، فبيت من يكون ؟

وجدت نفسى بعد قراءه هذا المقال ، مفعمةً شوقاً وحضوراً وأنساً بالله تعالى ، ورغبةً فى زياره هذا الضريح الشريف ، والمشهد الجليل ، الذى تسطع منه أنوار الجمال المحمدى ، والجلال العلوى ، المشعه من جلال الله تعالى وجماله الأزلى السرمدى.. وهى معان يدركها ويشعر بها من يدرك بحقيقه إيمانه بالله ورسوله ما لهذه المشاهد

المرفوعه التى تخدمها ملائكه الله تعالى ، من قدر عند الله تعالى ورسوله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) .

وجدت نفسى كأنى فى مصر، فى جوار الضريح الشريف والحضره الحسينيه ، بين إخوانى الزائرين المصريين الوالهين ، الموالين لأهل البيت (عليه السّلام) ، وهم يتبركون بالمقام ويغتنمون الفوز فيه بالصلاه والإبتهال ومناجاه الله تعالى ، يطلبون حاجاتهم من ربهم عنده ، ويصلون على النبى وعلى شهيد الإخلاص والإباء ، شهيد معالم الإنسانيه الكبرى ، شهيد كل المكارم ، أبى عبد الله الحسين.. حسين التضحيه والجهاد والإيثار ، حسين الصبر والشجاعه ، حسين الإسلام والإنسانيه .

اللهم كحِّل بصرى بمشاهده تراب ضريحه فى مصر وكربلاء .

نعم ، وجدت نفسى فى هذه البقعه المباركه التى شرفها الله تعالى بكرامه الإنتساب إلى سبط النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ، فرأيت بعين قلبى ملائكه الله تعالى محدقين بها.. فهنيئاً لزوار تلك البقعه المباركه ، مركز تقرب أولياء الله ، ومهبط ملائكه الله.. وهنيئاً لإخواننا أهل مصر ما هم فيه من جوار ضريح سيد شباب أهل الجنه. هنيئاً لهم هذا الفوز العظيم ، ثم هنيئاً لهم ما هم فيه من ولاء أهل البيت (عليه السّلام) . هنيئاً لشيوخهم وشبانهم ، رجالهم ونسائهم ، علمائهم وتلاميذهم ، أساتيذهم وطلاب جامعاتهم . فياليتنا معهم فنفوز بما يفوزون به عند هذا الضريح المبارك .

ويا مولاى يا حسين ، يا أبا عبد الله ، يا ابن رسول الله ، يا من استنقذت عباد الله بتضحيتك الكبرى من جهاله الضلاله.

أشهد أنك رفعت أعلام الدين، وكسرت صوله المستكبرين والمستعبدين ، ونصرت الله ورسوله ، مجاهداً صابراً .

وأشهد أن الله يحب من أحبك ، ويبغض من أبغضك ، وأن الله طهركم يا أهل البيت من الرجس تطهيراً . والسلام عليك ورحمه الله وبركاته .

١٢صفر المظفر- ١۴٢١ه- . لطف الله الصافى

فهرس موضوعات الكتاب

مقدمه- ٣

الفصل الأول: معانى تفضيل البلاد وأهلها-٥

حديث الصحابى عمرو بن الحمق الخزاعى رضى الله عنه ٨

أحاديث نبويه أخرى فى مدح مصر وأهلها..... ١١

جواب ملك مصر المؤدب للنبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ١٢

علاقه المصريين بعثمان وعلى (عليه السّلام)..... ١٥

تفضيل على (عليه السّلام) لمصر على بلاد الشام.....١٧

مدح نهر النيل.....١٨

الفصل الثانى: مصر فى خلافه وعمر وعثمان-١٩

تم فتح مصر بدون قتال وأسلم قسم من أهلها ١٩

سبب ادعاء الحكام أن مصر فتحت عُنوه..... ٢٥

أول حركه رقابه على نظام الحكم الإسلامى كانت مصريه ٢٨

صبيغ التميمى ناشط مصرى وقع فى قبضه عمر ٣١

حركه المصريين ضد الخليفه عثمان..... ٣٣

المحمدان يحركان مصر..... ٣٥

أرسل عثمان وفوداً الى مصر..... ٣٩

معركه ذات الصوارى..... ٤٠

ملاحظات..... ٤٦

زاد نشاط المحمديْن فی جيش ذات الصواری ۴۹

طرد أهل مصر واليهم وبايعوا محمد بن أبی حذيفه ! ۵۱

وأرسل أهل مصر رساله نصيحه الی الخليفه عثمان ۵۳

وذهب المصريون فی جيش صغير الی عثمان ۵۴

الحرکه ضد عثمان من غير المصريين..... ۵۵

محاصره الجيش المصری لعثمان التی انجرت الی قتله ۵۷

تظاهره المهاجرين والأنصار يهتفون باسم علی (عليه السّلام) ۶۸

الفصل الثالث: مصر فی عهد أميرالمؤمنين علی (عليه السّلام) – ۷۱

اهتمام علی (عليه السّلام) بمصر.....۷۱

مصر عند مقتل عثمان وخلافه علی (عليه السّلام) ۷۲

الخطأ الذريع الذی وقع فيه قيس بن سعد !..... ۷۸

نقاط عن شخصيه قيس بن سعد بن عباده رضی الله عنه ۸۳

ولايه محمد بن أبی بکر علی مصر.....۱۰۳

أسره محمد بن أبی بکر رضی الله عنه ۱۰۳

ولايه محمد بن أبی بکر لمصر..... ۱۰۶

رساله أمير المؤمنين (عليه السّلام) الی أهل مصر ووواليهم ۱۰۷

ملاحظه علی هذه الرساله..... ۱۱۷

أجوبه أمير المؤمنين (عليه السّلام) علی مسائل محمد بن أبی بکر ۱۱۷

کُتُب علی (عليه السّلام) لمحمد بن أبی بکر تقع فی يد معاويه ۱۲۰

رساله محمد بن أبی بکر الی معاويه وجوابه ۱۲۳

رساله الإمام (علیه السّلام) الی محمد عندما عین الأشتر مکانه ۱۲۵

غزو معاویه لمصر بعد معرکه صفین..... ۱۲۶

ص: ۲۵۶

محاوله على (عليه السّلام) نصره محمد بن أبى بكر رضى الله عنه ۱۳۹

حزن أمير المؤمنين (عليه السّلام) على محمد بن أبى بكر ۱۴۵

منشور أمير المؤمنين (عليه السّلام) فى أبى بكر وعمر ۱۵۰

حزن أسماء على ابنها وعائشه على أخيها محمد ۱۵۱

معاويه خال المؤمنين ومحمد بن أبى بكر ليس خالهم ! ۱۵۳

لم يتهنأ ابن العاص بملك مصر !..... ۱۵۶

شخصيه محمد بن أبى حذيفه رضى الله عنه ۱۵۹

ولايه مالك الأشتر على مصر ۱۷۲

رساله الإمام (عليه السّلام) الى أهل مصر لما أراد معاويه غزوها ۱۷۴

رساله أخرى بعثها الإمام (عليه السّلام) الى أهل مصر ۱۷۷

شهاده مالك الأشتر رضى الله عنه..... ۱۷۸

حزن الإمام (عليه السّلام) على مالك الأشتر..... ۱۸۰

قبر مالك الأشتر رضى الله عنه فى مصر..... ۱۸۲

عهد الإمام (عليه السّلام) الى مالك الأشتر..... ۱۸۳

الفصل الرابع: علاقه المصريين بأئمه العتره (عليه السّلام)

الإمام يرسل الملك الصالح والياً على مصر ! ۱۹۹

علاقه المصريين بأئمه العتره (عليه السّلام) ۲۱۱

فى عهد أمير المؤمنين (عليه السّلام) ۲۱۱

سكن النسائى فى مصر وقتله أهل الشام !..... ۲۱۲

مصر ملجأ العلويين المضطهدين..... ۲۱۳

الكعبه لا تأكل ولا تشرب ٢١٥

زنديق يؤمن على يد الإمام الصادق (عليه السّلام) ... ٢١٦

ذو النون المصرى يروى عن الإمام الصادق (عليه السّلام) فلسفه الحج ۲۱۹

مصريون مع الإمام الرضا والجواد(عليهماالسّلام)..... ۲۲۰

مصريون يزورون قبر الإمام الرضا (عليه السّلام) ۲۲۰

الفصل الخامس:المصريون ينصرون الإمام المهدى (عليه السّلام)

مصريون يبحثون عن ولاده الإمام المهدى(عليه السّلام) ۲۲۱

مصر فى عصر ظهور الإمام المهدى (عليه السّلام) ۲۲۳

نجباء مصر وزراء الإمام المهدى (عليه السّلام) ۲۲۳

وفد مصر الذى يحمل البيعه للإمام المهدى (عليه السّلام) ۲۲۶

أمير الأمره فى مصر سنه ظهور المهدى (عليه السّلام) ۲۲۷

الإمام المهدى (عليه السّلام) يدخل مصر ويجعلها مركزه الإعلامى ۲۲۸

الأبقع الذى تسانده مصر..... ۲۳۱

دخول جيش المغرب الى مصر..... ۲۳۲

كذبه كعب فى أن الدجال من مصر..... ۲۳۴

بغض كعب الأحبار لمصر وكذبه عنها..... ۲۳۷

مشاهد أهل البيت وذرياتهم فى مصر ۲۳۹

تعقيب المرجع الشيخ الصافى على الموضوع ۲۵۲

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛
١.JAVA
٢.ANDROID
٣.EPUB
٤.CHM
٥.PDF
٦.HTML
٧.CHM
٨.GHB
إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
١.ANDROID
٢.IOS
٣.WINDOWS PHONE
٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹